أثر أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي

إعداد
هناء مصطفى نافع أبو الرّب

المشرف
الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في
اللغة العربية و آدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني ، ٢٠٠٥

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (**أثر أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلـــسي**)
وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٥/١/٩.

أعضاء لجنة المناقشة **التوقيع**

الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرّار **مشرفا ورئيسا** .....
أستاذالأدب الأندلسي والمغربي

الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي **عضوا** .....
أستاذ الأدب العباسي والفاطمي والأيوبي
و المملوكي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الدكتور عبد الكريم الحياري **عضوا** .....
أستاذ مساعد في البلاغة العربية

الدكتورة آمنة سليمان البدوي **عضوا** .....
أستاذ مساعد في الأدب الأندلسي والمغربي

الدكتورفايز عبد النبي القيسي **عضوا** .....
أستاذ مشارك في الأدب الأندلسي والمغربي (جامعة مؤتة)

الشكر والتقدير

لا يسعني في البداية إلا أن أتقدم بخالص شكري ، وعميق تقديري وعرفاني ، ووافر امتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور صلاح جرّار الذي منحني من وقته وجهده ، وقدّم لي كلّ ما احتجت إليه من توجيهات صادقة وإرشادات سديدة كان لها الدور الكبير في إخراج هذه الدراسة على شكلها الحالي .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي على ما قدمه لي من مساعدة في إعداد الخطة واختيار موضوع البحث ، وعلى تفضله بمناقشة هذه الدّراسة ، وإغنائها بالملاحظات القيمة . وأتقدم بالشكر إلى الدكتور عبد الكريم الحياري والدكتور فايز القيسي والدكتورة آمنة بدوي على تفضلهم بالموافقة على مناقشة هذه الدراسة وتحملهم عناء قراءتها .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهرس المحتويات

الصفحة

قرار لجنة المناقشة ب
شكر وتقدير ج
فهرس المحتويات د
الملخص باللغة العربية و
المقدمة ١
الفصل الأول : ملامح التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي ٦ -٤٤
تشابه الألقاب ١٦
تسمية المدن ٢١
حركة التأليف ٢٢

ملامح من الحركة الثقافية والأدبية في الأندلس ٢٣
أهمية الرحلات ٢٩
انتقال أدب أبي العلاء المعرّي إلى الأندلس وذيوعه ٣١
الفصل الثاني: أثر المعرّي في الأدب الأندلسي ٤٦-١٠٤
النزعة الفلسفية ٤٧
الرثاء ، الاعتبار بالماضي ٥٩
فنون شعرية أخرى ٧٥-١٠٤

-الفخر والاعتداد بالنفس ٧٥
-وصف الديك ٨٣
-المعاني الجزئية والألفاظ ٨٦
الفصل الثالث: معارضات الأندلسيين لتآليف المعرّي ١٠٥-١٥٢
المعارضات النثرية ١٠٨-١٣٧
أولا- ملقى السبيل ١٠٨
ثانيا- خطبة الفصيح ١٢٠
ثالثا- الصّاهل والشّاحج ١٢٩
رابعا- مقدمة سقط الزند ١٣٥
خامسا- كتاب السجع السلطاني ١٣٦
المعارضات الشعرية ١٣٨-١٥٢
الفصل الرابع : أدب المعرّي في أنظار النقاد الأندلسيين ١٥٣-٢١٠
أولا- ابن بسام الشنتريني ١٥٩
ثانيا- ابن عبد الغفور الكلاعي ١٦٧
ثالثا - ابن السّيد البطليوسي ١٧٤
الألفاظ ١٧٧

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المعاني ١٨٦
المسائل النحوية والصرفية ١٩٠
المسائل البلاغية ١٩٦
موقف ابن السيد من عقيدة المعري ٢٠١
رد البطليوسي على ابن العربي ٢٠٤
الخاتمة ٢١١
المصادر والمراجع ٢١٣
الملخص باللغة الانجليزية ٢٢٥

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أثر أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي

إعداد
هناء مصطفى أبو الرّب
المشرف
الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

الملخص

حظي أبو العلاء المعرّي بشهرة واسعة ومكانة مرموقة في الأوساط الأدبية عامة والأندلس خاصة ، فأقبل الأدباء على أدبه ينهلون منه وينسجون على منواله ، متأثرين ومعارضين .

وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول .. تتبعت في فصلها الأول أثر المشرق في الأدب الأندلسي الذي تمثل في مظهرين : أولهما ؛ تشابه الألقاب ومناهج التأليف بين المشرق والأندلس ، وثانيهما ؛ الحركة الثقافية التي عمت الأندلس بفضل حركة الرحلات التي أسهمت في إدخال الكثير من المؤلفات المشرقية إلى الأندلس ، من بينها مؤلفات أبي العلاء المعرّي الشعرية والنثرية .

كما توقفت الدراسة ، في فصلها الثاني ، عند ثلاثة مؤلفين ، مبينة آراءهم النقديّة في أدب المعرّي شعراً ونثراً ، وهم ابن بسام ، وابن عبد الغفور الكلاعي ، وابن السِّيد البطليوسي

وخلصت الدراسة في فصليها الأخيرين إلى إثبات تأثر الأندلسيين بأدب المعرّي سواء أكان التأثير في المضامين الشعرية أم في المعاني الجزئية أم في القوالب اللفظية .

كما عمدت الدراسة إلى المنهج التحليلي في قراءة النصوص ومعالجة المعارضات ، وإيجاد التشابهات والتماثلات فيما بينها وبين أدب المعرّي .

المقدمة

بدأت صلتي بهذه الأطروحة في مرحلة الدكتوراه عندما أعددت دراسة تتعلق بأبي العلاء المعرّي ضمن متطلبات مساق موضوع خاص في الأدب . ولما جاء موعد تسجيل الأطروحة ظلَ نتاج أبي العلاء وفكره وسعة اطلاعه حاضرا في ذهني ، ورغبت في تتبع أثره في الأدب الأندلسي ، وقد أشارعليّ أستاذي الدكتور عبد الجليل عبد المهدي الكتابة في هذا الموضوع وشجعني على المضي فيه ، وأسهم في إعداد الخطة وتقسيم الفصول . كما أثنى على هذا الموضوع أستاذي الدكتور إحسان عباس رحمه الله .

إلا أني اكتشفت أن خوض غمار هذا الموضوع هو مغامرة علميّة كما عبر أستاذي الدكتور صلاح جرَار ، ولولا متابعته وتشجيعه الدؤوب لآثرت الابتعاد عن السير في هذه الطريق الشائكة والسير في طريق أقلّ وعورة . لكنَ تشجيعه المستمر لي ونصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة جعلتني أبذل غاية جهدي في إنجاز هذه الدراسة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

الدراسات السابقة :

لم أعثر على دراسة شاملة وافية تتناول أثر أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ، غير أن ثمة مجموعة من الدراسات تناولت هذا الأثر بإيجاز وضمن الحديث عن موضوعات أخرى ، باستثناء دراسة واحدة وهي دراسة أيمن ميدان . فعقدت العزم على المضي قدما للكشف عن أثر المعرّي في الأدب الأندلسي ، مظهرة أهم الجوانب التي تأثر بها الأندلسيون. ومن أهم تلك الدراسات :

تاريخ الأدب الأندلسي "عصر الطوائف والمرابطين " لإحسان عباس ، فقد جاء حديث إحسان عباس عن أثر أبي العلاء ضمن حديثه عن عناوين متعددة ، و أشار في ثنايا كتابه إلى

معارضة بعض كتَاب الأندلس لنثر أبي العلاء المعرَي لاسيّما ابن عبد الغفور الكَلاعي الـــذي بدا أشدهم إعجابا حتى حاكى المعرَي في كثير من كتبه .

كما تطرق في أثناء حديثه عن فن الرثاء والاتجاه الفلسفي في الأدب الأندلسي ، إلـــى ذكر بعض من تأثر بأبي العلاء المعرّي من الأندلسيين في هذين الاتجاهين .

ومن الدراسات التي تناولت النقد في الأندلس كتاب" تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري" لمصطفى عليان ، إذ تطرق في جزء منه إلى الحديث عن أثر المتنبي والمعرَي في الأدب الأندلسي ، مشيراً إلى أهم من رحل من الأندلسيين إلى المشرق ولقـــي المعرّي ، ومن وفد من المشرق إلى الأندلس راويا شعر المعرّي . ويرى المؤلف أن المعرّي عُرف في الأندلس في مجال المعارضة ناثراً أكثر منه شاعراً ، كما يتحدث عن المعارضات النثرية ويشير إلى اهتمام الشعراء بالشكل أكثر من المضمون .

ومن الدراسات كذلك "الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة " لمنجد مـــصطفى بهجت ، يشير المؤلف في طيّات كتابه ، و في أثناء حديثه عن الرثاء إلى تشابه بعض شعراء الأندلس مع المعرّي في هذا الفن ، كما يتحدث عن ابن عبد الغفور الكَلاعي وكتابـــه إحكـــام صنعة الكلام ، وتأثره بنثر أبي العلاء بمعارضته في أكثر من كتاب ، كما تنـــاول الخـــلاف الدائر حول تأثر ابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع برسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي ، بالإضافة إلى إشارته إلى بعض من تأثر بأبي العلاء من الأدباء والشعراء .

أما الدراسة الخامسة فهي لجودت الركابي بعنوان " في الأدب الأندلسي " يشير الركابي في أثناء حديثه عن فهرسة ابن خير إلى وصول كتابي سقط الزند واللزوميات إلى الأندلس ، وإغفال ابن خير الحديث عن باقي آثار أبي العلاء ، على الرغم من احتذاء عدد مـــن أدبـــاء

الأندلس لرسائل المعرّي . كما يتحدث عن رسالتي الغفران والتوابع والزوابع والخلاف الدائر حولهما .

ويتحدث هنري بيرس في كتابه "الشعر الأندلسي في عصر الطوائف "عن الشعر الأندلسي عامة في عصر الطوائف ، وقد جاء ذكره لأبي العلاء وأثره في الأدب الأندلسي ضمن حديثه عن مواضيع عدة ، إذ يشير إلى أن كتابي سقط الزند واللزوميات كانا يدرّسان في الأندلس في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، ويُبدي استغرابه من أن تكون هذه الدواوين هي فقط التي وصلت إلى الأندلس ، ويتحدث في ثنايا كتابه عن رسالتي الغفران والتوابع والزوابع مشيراً إلى رحلتي أبي العلاء المعرّي وابن شهيد إلى السماء .

ومن الدراسات السابقة مقدمة حامد عبد المجيد في تحقيقه كتاب" الانتصار ممن عدل عن الاستبصار" لابن السِّيد البَطَلْيَوْسي ، فقد تحدث حامد عبد المجيد في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب عن رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق ولقائهم المعرّي ، ووفادة من يروي شعر المعرّي إلى الأندلس . ويؤكد حامد ذيوع شعر أبي العلاء المعرّي في الأندلس ، كما يشير إلى من حذا حذو أبي العلاء من أدباء الأندلس في مؤلفاته ، وواصل الخطو على ما رسم ، وأفرد عنوانا للحديث عن ابن السيّد وأبي العلاء ، متناولاً شروح ابن السيّد لسقط الزند واللزوميات وبعض آرائه في شعر أبي العلاء .

ومن الدراسات كذلك مقدمة تحقيق رسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد الأندلسي ، حيث تناول بطرس البستاني في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ، تاريخ كتابة رسالة التوابع والزوابع . وقد أشار إلى رأي بروكلمان القائل بأن هذه الرسالة كتبت قبل رسالة الغفران ، وبذلك يكون المعرّي هو من تأثر بابن شهيد ، غير أنه لم يأت بدليل يثبت ما توصل إليه . كما يفصح البستاني في مقدمة الرسالة عن رأيه في هذا الموضوع مورداً أدلة تثبت أسبقية ابن شهيد في

كتابة رسالته واطلاع المعرّي عليها عن طريق عقد مقارنة بين الرسالتين وإظهار الفروق بينهما .

أما الدراسة الأخيرة فهي مقال لأيمن ميدان يحمل عنوان " تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ". وهي دراسة موجزة وغير شاملة تخلو من التحليل والموازنة في كثير منها ، بالإضافة إلى افتقاد بحثه لنصوص نثرية وشعرية لكتاب وشعراء أندلسيين عارضوا أدب المعرّي أو تأثرو به .

وقد جاءت دراسة ميدان في تمهيد وثلاثة محاور أشار في المحور الأول إلى مظاهر عناية الأندلسيين بأدب المعرّي ، وجاء المحور الثاني بعنوان المعرّي وكتاب الأندلس ، أما المحور الثالث فجاء بعنوان المعرّي وشعراء الأندلس ، وكل ذلك عرضه بشكل موجز .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما هذه الدراسة فقد جاءت بمقدمة وأربعة فصول خُصص الفصل الأول لإلقاء الضوء على علاقة الأندلسيين بالمشارقة ، مبينا ملامح تأثير المشرق في الأدب الأندلسي ومبينا آراء القدماء والمحدثين بقضية التأثر والتأثير .

كما توقف هذا الفصل عند مظهرين من مظاهر التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي يتمثل الأول في إطلاق الكثير من ألقاب المشارقة على شعراء وأدباء أندلسيين ، أما المظهر الثاني فيتمثل في ازدهار الحركة الثقافية خاصة في عصور الإمارة والخلافة والطوائف . كما بين دور الرحلات في إدخال الكثير من الكتب المشرقية إلى الأندلس من بينها مؤلفات أبي العلاء المعرّي ،وتوقف كذلك عند رواية الأندلسيين لأدب المعرّي متتبعا سند الراوية .

أما الفصل الثاني فقد عرض لرأي النقاد في أدب أبي العلاء المعرّي ، وقد تجلى هذا النقد عند ثلاثة كتّاب ، وهم ابن بسام في كتابه الذخيرة ، وابن عبد الغفور الكَلاعي في كتابه

إحكام صنعة الكلام ، وابن السيّد البطليوسي في شرحه لسقط الزند ، مبديا رأي كل واحد منهم في أدب المعرّي ومبينا موقفهم من أدبه ومن عقيدته .

وجاء الفصل الثالث في قسمين تناول في قسمه الأول أهم المضامين التي بدا تأثر شعراء الأندلس بها جليا بشعر المعرّي ،فتوقف عند النزعة الفلسفية والاعتبار بالماضي والوصف والفخر ، وتناول في قسمه الثاني أنماطا متنوعة من التأثير ، فشمل التضمين والإشارة والإلمام والنظر والأخذ لمعانيه الجزئية وألفاظه .

أما الفصل الرابع فقد تناول معارضات الأندلسيين لأدب أبي العلاء المعرّي ، فتوقف عند المعارضات النثرية والشعرية وعمد إلى أسلوب الموازنة بين نصوص أبي العلاء ونصوص من عارضه من الأندلسيين موضحا نقاط الالتقاء والاختلاف بينها .

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج التحليلي في استقراء النصوص للكشف عن مدى التأثر بأدب أبي العلاء المعرّي من الناحيتين المضمونية والشكلية عند الشعراء والناثرين الأندلسيين.

ومهما قدمت هذه الدراسة من نتائج فهي لا تخلو من التقصير ، إذ الكمال لله وحده ، وما جاء في هذه الدراسة من صواب فهو بتوفيق من الله ، وما جاء فيها من نقص فهو مني

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

ملامح التأثير المشرقي في

الأدب الأندلسي

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ذهبت ممالك الأندلس ، مخلفة وراءها حضارة عريقة تنطق بأمجاد العرب المسلمين ، وتفصح عن هويتهم وفنهم وذوقهم ، الذي يبدو جليا فيما خلّفوه من تراث . وقد عمد كثير من الباحثين إلى تحقيق المصادر الأندلسية ، ودراسة ما جاء فيها دراسة فاحصة ، أفرزت العديد من الآراء والتساؤلات التي تدور حول الحضارة الأندلسية ، بجوانبها المختلفة . ولعل قضية التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي من أكثر القضايا التي أثارت جدلاً واسعاً، واستوقفت عدداً من النقاد والباحثين قديما وحديثا ، لا سيما فيما يتعلق بالشخصية الأندلسية ، وهي القضية الأساسية التي يدور حولها هذا الفصل .

ولا بُدّ – بدءاً – من القول إنه لا يمكن دراسة الأدب الأندلسي بمعزل عن المؤثرات المشرقية ، لأنه يشكل جزءاً من الأدب المشرقي "ويُكوّن مرحلة من مراحل تاريخ الأدب العربي ، فهو يمثل خلية حيوية في كيانه ، نشأت وارتقت ونضجت دون اعتبار لهذه المؤثرات ، مع الاحتراس بأن هذا الأدب لم يكن ليخضع لكل تطور وتغيير في الأدب المشرقي ، لأسباب متعددة أخصها الذوق الأدبي "[١] .

فمن الطبيعي أن نجد تشابها كبيراً بين الأدبين الأندلسي والمشرقي عامة والعباسي خاصة ، نظراً للمعاصرة ولطبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الدولتين العباسية والأندلسية ، بالإضافة إلى أسباب أخرى سنأتي على ذكرها لاحقا.

ولو أنعمنا النظر لوجدنا المؤثرات المشرقية واضحة المعالم ، فلا تقتصر على الأدب فقط ، بل نجدها ماثلة أمامنا في العمارة والحياة الاجتماعية والفنون . ولعل الفضل في نقل كثير من العادات المشرقية في الأكل واللبس والاحتفالات وغيرها يعود إلى المُغني المشرقي

---

١ مصطفى عليان : تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ٢، ١٩٨٤م ، ص ١١ .

زِرْياب[١] ، الذي لمع اسمه في سماء الأندلس بعد وفوده على عبد الرحمن بن الحكم ، فاستطاع أن يؤثر في طبيعة الحياة الأندلسية ، ويعمل على تطويرها ، حيث نقل كثيراً مما كان يقام في قصور الخلفاء العباسيين إلى قصور حكام الأندلس ، من مجالس الغناء ، وطرق إعداد الطعام وتقديمه ، و ما يقدم به من أوان ، بالإضافة إلى تأثرهم بقَصَّة شعره التي عرفوا بها فيما بعد [٢].

وقد شغلت هذه القضية – قضية التأثير المشرقي – كثيراً من النقاد ، فتوقفوا عندها لإبداء الرأي ، فجاءت آراؤهم متباينة خاصة فيما يتعلق بتقليد الأندلسيين للمشارقة في كل شيء . ولعل ما دفعهم إلى ذلك ما لمسوه من ولع الأندلسيين بالمشارقة ، وسعيهم إلى تقليدهم ومجاراتهم في معظم أعمالهم الأدبية ، وهذا ما أنكره ابن بسام على أبناء قومه ، فرسم صورة بليغة تبين شدة إقبالهم على كل ما هو مشرقي إذ يقول : " إلاّ إنّ أهلَ هذا الأفق أبَوْا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوعَ الحديثِ إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذُباب ، لَجَثَوْا على هذا صنما ، وتَلَوْا ذلك كتابا مُحكماً "[٣]. ودعاه موقفه ذاك إلى تأليف كتابه الذخيرة ، فقد رأى أن أهله يملكون من الفصاحة والبيان ما يفوقون به أهل المشرق ، فقال معلقاً : " فغاظني منهم ذلك ، وأنِفْتُ ممّا

---

[١] زِرْياب : هو أبو الحسن علي بن نافع رئيس المغنيين مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي ، ومن الواردين على الأندلس من المشرق. وزرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وشمائله ، شُبه بطائر أسود غرِد عندهم ، وكان شاعراً مطبوعاً وتلميذاً لإسحاق الموصلي ببغداد ، توفي زرياب سنة ٢٣٨هـ قبل وفاة الأمير عبد الرحمن بأربعين يوماً . انظر ترجمته في المغرب : ابن سعيد ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط١٤ ، ١/ ٥١ ، النفح ، ٣ / ١٢٢.

[٢] المقّري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، طبعة جديدة ، ١٩٩٧ ، ٣/١٢٦–١٢٨ .

[٣] ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ١/١/١٢ .

هنالك ، وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري ، وتَتبُّع محاسن أهل بَلَدي وعَصْري ، غَيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلّة ، وتُصبح بحارُه ثِماداً مُضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، و وفور علمائه ، ففيه من فرسان الفنين الذين لعبوا بأطراف الكلام"[١] . وهو بهذا يشهد لأهل أفقه بالبلاغة والتفوق ، على الرغم من تأثرهم بالمشارقة .

ولم يكن ابن بسام الوحيد الذي تنبه إلى مقدرة أهل الأندلس على التأليف ، بل نجد ابن حزم الفقيه الأندلسي يؤلف رسالة في الدفاع عن الثقافة الأندلسية ، مبينا فيها تفوق أهل الأندلس في مجالات كثيرة ومساهمتهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية . وكان قد شكا في بعض أبيات له إعراض قومه عن مآثر أدبائهم وعلمائهم ، واستهانتهم بما لديهم ، فيقول :[٢]

أنا الشّمْسُ في جو العلوم منيرة ولكنّ عيبي أنَّ مَطْلَعيَ الغربُ

ولوْ أنّني من جانبِ الشْرقِ لَجدَّ على ما ضاع من ذكريَ النهبُ

طالعٌ

جميع الحقوق محفوظة
جامعة الازهر
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهذا إقرار من ابن حزم بإهمال أنباء قومه لأدبه ، وعدم تقديرهم لأدبائهم ، وأن أهل المشرق أكثر تقديراً للعلوم والآداب ، وقد أشار إلى هذه الظاهرة ابن درّاج بقوله [٣]:

فإن غَرَّبَتْ أرض المغارب مَوْئلي وأنكرني فيها خَلِيطٌ وخِلاَّنُ

فكَمْ رَحَّبَتْ أرْضُ العراقِ وأَجْزَلَتِ البُشْرى عَليَّ بِمَقدمِي خُراسان

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ١٢/١/١.

[٢] المصدر نفسه ، ١٧٣/١/١.

[٣] ابن درّاج القسطلي : ديوان ابن درّاج ، تحقيق محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي – دمشق ، ط١ ، ١٩٦١، ص٨٩

وقال أبو بكر بن بقي :[١]

أقمتُ فـيكم علـى الإقتـار والعَـدَم ... لو كنتُ حُرّاً أبيّ الـنفس لـم أقـمِ

فـلا حـديقتكم يجنـى لهـا ثَمَـرٌ ... ولا سـماؤكُمُ تَنهَـلُّ بالـدِّيمِ

أنـا امـرؤ إنْ نَبَـتْ بـي أرض أندلـسٍ ... جـئتُ العراقَ فقامـتْ لـي علـى قـدمِ

وتعد هذه الأبيات شهادة صريحة تبين مكانة بغداد العلمية والأدبية ، التي كانت ترنـو إليها عيون العلماء والأدباء من كل حدب وصوب ، كما تـشهد بفـضل العباسـيين وحـسن رعايتهم للعلم والعلماء ، ونستطيع أن نَسْتشِفَ من خلالها علاقة الأندلسيين بالمشارقة ، التـي تعكس نظرة المشارقة لنتاج الأندلسيين الأدبي ، إذ تتفـاوت بـين الإعجـاب والاسـتنكار ، كإعجاب المتنبّي بأبيات شعريّة لابن عبد ربه[٢] ، واستنكار الصاحب بن عباد لما ورد فـي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه عندما وصله ، فما كان منه إلا أن قال " بضاعتنا رُدّت إلينا "

ولم تتوقف حملة تأليف الكتب في الدفاع عن نتاج أهل الأندلس عند ابن بسام وابن حزم ، فهذا الحميري يؤلف كتابه الموسوم بالبديع في وصف الربيع ؛ ليبين فيه تفوق أهل أفقه في التشبيهات ووصف الطبيعة تحديداً ، مع عدم إغفاله فضل أهل المشرق على أهـل الأنـدلس "لأهل

---

[١] المقّري : النفح ، ٣ / ٤٤٨ . ابن بقيّ : هو أبو بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن بقيّ الطليطلي ، وينسب إلى سرقسطة وإشبيلية وسلا في المغرب ، و كانت وفاته في وادي آش سنة ٥٤٠هـ أو ٥٤٥هـ ، وهـو شاعر وشّاح له ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطعات .انظر ترجمتـه فـي القلائـد ص٩١٩ ، الذخيرة ،٢/ ٢ / ٦١٥ ، وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صـادر – بيروت ، ٦/ ٢٠٢ ، النفح ٤ / ٢٣٦، انظر صلاح جرّار يحيى بن بقي حياته وأدبـه ، إشـراف : عبـد الكريم خليفة ، رسالة ماجستير ، ١٩٧٧ ، الجامعة الأردنية – عمان .

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ / ٤٤٩

المشرق في تأليف أشعار شعرائهم ، وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا والسبق لنا "[١] .

غير أنه يحتفظ برأيه الخاص في أشعار أهل المشرق فيقول : " وأما أشعار أهل المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر إليها حتى ما تميل نحوها النفوس ، ولا يروقها فيها العِلق النفيس ، مع أني استغني عنها ، ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتدع ، والنظم المخترع وأكثر ذلك لأهل عصري إذ لم تغب نوادرهم عن ذكري "[٢].

وقد أشار إلى هذا الرأي ابن بسام في قوله عن الشعر المشرقي ." كل مُرَدَّد ثقيل ، وكلٌّ متكرر مملول ، وقد مَجّت الأسماع : " يا دار ميّة بالعلياء فالسّند " ، وملّت الطبّاع :" لِخَولة أطلال بُبرْقة ثهمد " ... والإحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور "[٣].

كما يؤكد رأيه هذا في موضع آخر يقول فيه : " وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخصّ أهل المشرق بالإحسان ؟ "[٤] ومع ذلك فإننا نجده يناقض نفسه في مواضع كثيرة من كتابه ، إذ يتمثل بآراء كثير من المشارقة ، بل حاول في أكثر من موضع إثبات ما أخذه أهل الأندلس عن المشارقة واظهاره ، وهذا ما سيبدو جليا أثناء تتبعنا لمن تأثر بالمعرّي من شعراء الأندلس .

---

[١] الحميري : البديع في وصف الربيع ، تحقيق عبدالله عبد الرحيم عسيلان ، دار المدني – جدة ، ط ١ ، ١٩٨٧، ص٤. ومن الذين ألفوا كتبا في إبراز محاسن أهل الأندلس والتي تظهر قي كثير من تعليقاته على القصائد التي اختارها ابن دحيه في كتابه المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق مصطفى عوض الكريم ، مطبوعات جامعة الخرطوم ، ط١ ، ١٩٥٤ .

[٢] المصدرنفسه ، ص٤ .

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ١ / ١٣

[٤] المصدر نفسه ، ١ / ١ / ١٢

ومن هنا نلاحظ أن بعض أدباء الأندلس ونقّاده لم يَهُن عليهم إهمال أدب أهل أفقهم ، وجريهم وراء كل ما يأتيهم من المشرق على أنّه الأمثل والأفضل ، فألفوا الكتب إنصافا لأبناء وطنهم مظهرين إبداعاتهم ومقدرتهم على التأليف .

هذا فيما يتعلق بنظرة القدامى من مؤرخي الأدب إلى الأدب الأندلسي ومدى علاقته بالأدب المشرقي . أما نظرة النقد الحديث فقد ابتعد كثير من النقّاد عن الإنصاف في إطلاق الحكم على الأدب الأندلسي ، إذ أرجع بعض الدارسين تقليد الأندلسيين للمشارقة إلى الإحساس بالنقص ، منهم أحمد أمين الذي يرى أن الأندلسيين وسعوا الإنتاج في أدبهم أكثر مما نوعوه ، فلم يأتوا بجديد وكل ما فعلوه إضافة ألف جديدة إلى الألف القديمة مشابهة لها في الوزن والموضوع والقافية ،نتيجة إحساسهم بالنقص ، فعمدوا إلى مجاراة الأدب المشرقي بدعوى التفوق لكنهم لم يتفوقوا[١]. ويسانده في رأيه هذا محمد زكريا عناني حين يقول : "إن الناظر إلى أحوال أهل الأندلس يلحظ بسهولة إحساسهم بالنقص العميق ، على الرغم من كثرة ما ألفوه من كتب ورسائل في المباهاة ببلادهم " [٢].

فهذان الرأيان لا يخلوان من المبالغة الواضحة . فما ينسب للأندلسيين من عدم الإتيان بجديد، وبأن كل ما قدموه إنما توسعة في الإنتاج ، يعود إلى إحساسهم بالنقص على الرغم من كثرة مؤلفاتهم التي تُظهِر مزايا بلادهم ، وتُعرِّف الأمم بحضارتهم وإنجازاتهم ، مجانب للصواب إذ يمكن عده نوعاً من إثبات الذات ، ومحاولةً لإبراز مقدرتهم على إنتاج أدب شبيه بأدب المشارقة شكلاً ومضموناً ، من قبيل الإعجاب والتقدير لا العجز والتقصير ، و مما دعا

---

[١] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٢ ، ٣ / ٢٣٠

[٣] محمد زكريا عناني : في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص٤٠

ابن عبد الغفور الكَلاعي إلى معارضة المعرّي في كثير من رسائله ، عندما ذُكر في أحد المجالس أن المعرّي لا يعارض ولا يبارى ولا يُجارى ، فعارضه الكَلاعي ليثبت مقدرته [١].

أما قوله بدعوى التفوق ولم يتفوقوا ، هذا إذا ما قارناه بأعلام الأدب المشرقي كالمتنبّي والمعرّي والجاحظ ..... ، غير أننا لو ابتعدنا عن المقارنة ، ونظرنا إلى الأدب الأندلسي نظرة المتذوق ، لاستطعنا أن نكون أكثر دقة في حكمنا ؛ لأنهم أجادوا فعلاً فاشتهرت أعلام كثيرة كابن خفاجة ، وابن حزم ، وابن حيان[٢] ، وابن زيدون، وابن درّاج الذي قال فيه ابن حزم : " لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي "[٣]

فتقليد الأندلسيين للمشارقة لم يكن تقليداً أعمى ، إنّما قلدوا ما وجدوه مثالاً يحتذى ، ويتقبله ذوقهم الرفيع ؛ لذلك جاء حكم شوقي ضيف بأن الأندلسيين قرأوا هؤلاء الشعراء وأمثالهم ، وحاكوهم دون أن يفهموا مذهبهم فهماً واضحاً [٤] ، حكماً قاسياً ، فمن يقرأ الأدب الأندلسي وينعم النظر فيما وصل إلينا منه يستطيع أن يلمس ثقافة الأندلسيين ، ويدرك ما وقع فيه شوقي ضيف "فلم يكن تأثير المتنبي وأبي العلاء ليحجر على بروز العنصر الذاتي في

---

[١] ابن عبد الغفور الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة – بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦

[٢] ابن حيان : من علماء التاريخ ، هو أبو مروان حيّان بن خَلَف بن حسين بن حيّان بن محمد بن حيّان بن وَهْب ابن حيّان مولى الأمير عبد الرحمن بن مُعَاوية من أهل قرطبة وصاحب تاريخها كان قوي المعرفة ، مستبحراً في الآداب بارعا فيها ، صاحب لواء التاريخ بالأندلس أفصح الناس فيه وأحسنهم نظما له .انظر ترجمته في الصلة : ابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ٢٤٧/١ ،المغرب ، ١١٧/١

[٣] المقّري : النفح ، ١٧٨/٣ ، ابن دحية : المطرب ، ص١٤٦

[٤] شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف – القاهرة ، ط١١ ، ص٤٣٨

اختيار المثال المحكي "[٥]؛ لذلك نؤكد مرة أخرى أننا لا ننكر تأثر الأندلسيين بالمشارقة ، لكن لا بدّ أن نكون أكثر إنصافا في أحكامنا كالحُميدي – صاحب الجذوة – الذي اعتذر عن وضع مؤلف يضم أخبار أهل الأندلس ، خوفا من عدم الإنصاف لسببين : إما أن يبخس القوم حظهم وينقصهم فضلهم، فيتعرض للائمتهم فيما أورد ويقف موقف المعتذر ، وإما أن يوهم من يرى قلة جمعه أنه ليس من أهل الفضل من تلك البلاد إلاّ نزر من الأعداد[١].

فعلى الرغم من كون الحُميدي أندلسيا إلا أنه اعتذر عن وضع مؤلفٍ مخافة ظلم الأندلسيين. ومن هنا فالأجدى بنا ونحن الذين نبعد زمانا ومكانا أن نكون أكثر حرصاً فيما نصدره من أحكام ؛ لأن الانفتاح " على الآخرين لا ينافي الأصالة مطلقا ، فليست الأصالة تدفع إلى العزلة السطحية ، وإدارة الظهر للإنجازات ، بل تعني الأخذ بقدر ما تطيق الهضم والتمثيل والاستيعاب والإبداع "[٢].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتضح لنا هذا الأمر من قراءة الأدب الأندلسي ، فنحن لا نبحث عن حياة مستقلة في الأندلس تعتمد على ما نعرفه من آثار لاتينية ، غير تلك الموجودة في المشرق ، ولا نريد حواجز وفوارق بين الأندلس والمشرق لإنتاج أدب جديد كما ينادي شوقي ضيف[٣]، إنما نريد أدبا مبدعا ومتميزاً حتى لو كان متأثراً بغيره . فالتأثير المشرقي لم يكن عائقا أمام إبداعات الأندلسيين وابتكارهم لعلوم جديدة كما ذكر أ حمد أمين[٤]، فهم لا يقلون علماً وفطنة وثقافة

---

[٥] مصطفى عليان : تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، ص٣٥

[١] الحُميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩م ، ٢٩/١-٣٠

[٢] صلاح فضل : تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الالهية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٣٥

[٣] شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٤١٢

[٤] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ٢٦/٣

عن المشارقة ، خاصة أن العناصر التي كونت الثقافة العربية في المشرق والأندلس كانت واحدة ، وهي العنصر الديني والبشري ، والسياسي ، واللغوي [٥]. وبما أن الجداول التي مر بها العلم والأدب في الأندلس هي نفسها الجداول التي مرّ بها العلم في المشرق [١]، فمن الطبيعي أن يتشابه الأدبان ، وأن لا نعثر على علوم عديدة مبتكرة ، ولا يعد هذا تقصيراً من جانب الاندلسيين ؛ لأن العلوم في معظمها جاءتهم جاهزة ، قاموا بتطويرها والزيادة عليها وإخراجها إخراجا حسنا يشهد لهم ، ويميزهم عن غيرهم .

" فظاهرة التأثر والتأثير بين الآداب القومية والعالمية حقيقة لا مجال للشك فيها ، فكيف إذا كانت بين أدب عربي واحد "[٢]. ولهذا نتعجب من أحمد أمين لاتهامه الاندلسيين بالتقليد ، وعدم الإتيان بالجديد ، مع أنّه يؤكد تقليد المشارقة لمن سبقهم ، وسيرهم على طريقهم ، ومن ثم تقليد الأندلسيين والسير على طريقهم [٣]، فيشهد للمشارقة بالابتكار والإبداع ، ولا يشهد للأندلسيين بذلك على الرغم من أنّ كليهما تأثرا بمن سبقهما .

ولم تكن الغاية من هذا البحث الدفاع عن الأدب الأندلسي وتفضيله على الأدب المشرقي ، إنما الدعوة إلى تتبع مواضع تأثر الأندلسيين بالمشارقة ودراستها ، والدعوة إلى إنصاف الأدبين معاً دون التعصب لأحدهما كما لمسناه من آراء بعض الباحثين ، ونراه في قول مصطفى السيوفي الذي ألغى فضل المشارقة بقوله :" كما كانت من جانب الأندلسيين حيرة وبلبلة حين خدعهم السراب من خلال رحلاتهم إلى المشرق ، فلم يجدوا ما تطلعت إليه

---

[٥] عبد الله شريط : تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر ، ط٣ ، ١٩٨٣ ص ١٤٧ . نافع محمود : اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص١٠١ .

[١] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ٢٦/٣ .

[٢] محروس منشاوي الجالي : أبو نواس الأندلسي ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص٥٢ .

[٣] أحمد أمين : ظهر الاسلام ، ٢٧/٣ .

نفوسهم ، وما ارتسم في خيالهم فانكفأوا على ذواتهم يستنطقونها بكل قدراتهم ، وبدأوا يتدارسون ويؤلفون ويكتبون عن الأدباء والشعراء الأندلسيين ، فظهرت المصنفات والمعارضات ، وقد كونت تلك المصنفات في مجموعها المقدمات الحقيقية للشخصيات الأندلسية "[١].

فانتقاصه من قدر المشارقة ، ونكران فضلهم على الحضارة الأندلسية ، يبدو جليا دون أدنى ريب ، وأكثر ما يظهر في قوله " خدعهم السراب ، ولم يجدوا ما تطلعت إليه نفوسهم "، وهذا الكلام يحمل كثيراً من المبالغة ، وينافي الواقع وما أوردته المصادر ، وإعجابهم به لا يحتاج إلى من يظهره ، خاصة أن العلاقات الثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية بقيت قوية مدة طويلة من الزمن على الرغم من بعد المسافة بينهما ، بفضل حركة الرحلات المتواصلة بين الأندلس والمشرق التي سنتطرق إليها فيما بعد .

وقبل الوقوف على الرحلات سنتوقف عند مظهرين من مظاهر التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي ، أحدهما تشابه الألقاب والمناهج ، والآخر ملامح من الحركة الثقافية في الأندلس .

أ – تشابه الألقاب :

إنّ المتتبع للمصادر الأندلسية يمكنه أن يلمس بوضوح مظهراً من مظاهر تأثير المشارقة في الأندلسيين ، يتمثل في إضفاء ألقاب مشرقية على أدباء الأندلس وعلمائه ، تعكس إعجابهم الشد يد بالمشارقة ، وفيما يأتي سنعرض بعض الألقاب وأشهر من لُقِب بها للتوضيح لا للحصر منها :

---

[١] مصطفى السيوفي : ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، عالم الكتب – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص٣٧ .

إطلاق لقب المُتَنبِّي على أكثر من شاعر فابن قزمان في الزّجالين بمنزلة المتنبي بين الشعراء[٢]، وأبو عمر بن درّاج القسطلي قال عنه الثعالبي هو بالصقع الأندلسي كالمتنبي بصقع الشام [١]، كما لُقب بالمتنبي أبو طالب عبد الجبّار الجزيري[٢]، وابن هانئ الأندلسي. ولقب الرصافي بابن رومي الأندلس من حسن اختراعه وتوليده [٣]، وابن زيدون بحتري الأندلس لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه [٤]، وأبو الأجرب جَعْوَنَة الكِلابي

---

[٢] المقري : النفح ، ٣٨٥/٣ . ابن قزمان : هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك ، كان اديبا بارعا ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزا في نظم الزجل حتى عدّه ابن سعيد إمام الزّجالين في الأندلس ، ولد سنة ٤٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٥٥ هـ ، انظر ترجمته في المغرب ، ١٠٠/١ ، المطمح ، ص٧٤ ، النفح ، ٢٤/٤ .

[١] ابن سعيد : المُغرب في حُلى المغرب ، ٦٠/٢ ، المقري : النفح ، ١٩٥/٣. وقد ذكر إميليوغرسّية مجموعة من الشعراء بدا تأثرهم جلياً بالمتنبي منهم أبو إسحاق الإلبيري ، والشاعر الطليق ، وابن زمرك ، وابن الزقاق بالإضافة إلى ابن قزمان . أنظر إميليوغرسّية غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبي ، مكتبة وَهبَة – عابدين ، ط١ ، ١٩٧٤ .

[٢] ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين خريوش ، مكتبة المنار – الزرقاء ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ١٩٢/١ . ابن بسام : الذخيرة ، ٩١٦/٢/١ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق عمر الدسوقي ، وعلي عبد العظيم ، الجزء الثاني ، القسم الرابع ص ٩٣ . ابن سعيد : المغرب ، ٣٧١/٢ ،. وأبو طالب عبد الجبار الجريري كان أبرع أهل وقته أدبا ، وأعجبهم مذهبا ، وأكثرهم تفننا في العلوم ، وأوسعهم دَرعا في المنثور والمنظوم ، انظر ترجمته في الجذوة ، ص١٧٧، بغية الملتمس ، ص ٣٢١ ،المغرب ٢ / ١٣١ ، النفح ٢ / ١٣٠

[٣] عبد الواحد المراكشي : المُعجب في تلخيص أخبار الغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني – القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٤٥ ، وانظر ابن سعيد : المُغرب ، ٣٤٣/٢ ، المقري : النفح ، ٤٨٦/٣ .

[٤] المقري : النفح ، ٥٦٦/٣ .

بعنترة لفروسيته وشجاعته[٥] كما شُبّه بعنترة أبو الخطار حسام بن ضرار . ولُقِب أبو بكر الأعمى المخزومي[٦] ببشار الأندلس انطباعا ولسنا وأذاة ، كما شُبِه بالمعرّي[٧] .

وشُبِه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك الناصر[١] بابن المعتز ملاحة شعر وحُسن تشبيه، ومَدْغَلِّيس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة[٢]. وممن لُقِب بأبي تمام من شعراء الأندلس غالب بن رباح المعروف بالحجَّام[٣].

ووصف ابن سعيد اليكّي بقوله : " هو ابن روميّ عصرنا وحُطيئة دهرنا لا تجيد قريحته إلا بالهجاء "[٤]. وشُبِه الشاعر مرْج الكُحْل بالوأواء الدمشقي[٥]، وجعل الحجاري

---

[٥] ابن سعيد : المغرب ، ١٣١/١ .أبو الأجرب : هو جَعْوَنَة بن الصمَّة الكِلابي ، كان مدّاحا للصُّميل وزير يوسف ابن عبد الرحمن الفهري سلطان الأندلس ، أفنى فيه قوافيه وهو من قدماء شعراء الأندلس . أنظر ترجمته الجذوة ، ص١٧٧، البغية ، ص٣٢١ ، المغرب ، ١٣١/٢ ، النفح ، ١٢٠/٢ ،.

[٦] ابن الأبار : الحلة السّيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ٢٢١/١ ، المقري : النفح ، ٣/ ٥٨٦ . والأعمىالمخزومي : هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي ، كان أعمى شديد الشعر معروفا بالهجاء ، ومسلطا على الأعراض ، لا يسلم من هجوه أحد . انظر ترجمته المغرب ، ٢٨٨/١ ، النفح ، ١٩٠/١ .

[٧] العماد الأصفهاني : الخريدة ٥٤/٢/٤، ابن سعيد : المُغرب ، ٢٢٣/١ ، المقري : النفح ، ١٩١/١ .

[١] المقري : النفح ، ٣ / ٥٨٦ . ومروان بن عبد الرحمن : هو أبو عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر المشهور بالشريف الطَّليق ، ولقب الطليق لأنه سجن أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك . كان أديبا شاعراً مكثراً . سجن وهو ابن ست عشرة سنة ومكث في السجن ست عشرة سنة مات قريبا من سنة أربعمائة . أنظر ترجمته الذخيرة ١ / ٢ / ٨١ ، الحلة ١ / ٢٢٠ ، المغرب ١ / ١٨٦، النفح ٣ / ٥٨٦ .

[٢] المقري : النفح ، ٣/ ٣٨٥ . مَدْغَلِّيس : هو أبو عبد الله أحمد بن الحاج الزّجال صاحب الموشحات ، عاش في دولة الموحدين ، وكان مشهورا بالصنعة . انظر ترجمته المغرب ،٢١٤/٢ ، النفح ، ٤٨٦/٢ ،٣٨٥/٣

[٣] ابن سعيد : المغرب ، ٤٠/٢ .

[٤] المصدر نفسه ، ٢٦٦/٢ . اليكّي : هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن سهل ، أديب وشاعر مشهور بالهجاء ، توفي في القرن السادس الهجري . انظر ترجمته الخريدة ، ٦٦٩/٢/٤ ، بغية الملتمس ، ص٦٧٧ ، المغرب ، ٢٦٦/٢ .

[٥] ابن سعيد : المغرب ، ٣٧٣/٢ . مَرج الكُحْل : هو أبو عبد الله محمد بن الدمن ، كان شاعرا مفلقا ، بديع التوليد رقيق الغزل مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ، توفي ستة ٦٤٣ هـ . أنظر ترجمته المغرب ،

مؤمن بن سعيد دِعْبل الأندلس[١] ، ونُعِتَ ابن اللّبّانة بسموأل الشعراء[٢] . كما سُمي محمد بن سعيد الزّجالي بالأصمعي لذكائه وحفظه[١]، و لُقِبت حمدة ويقال حمدونة بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس[٢]. كما سمي الشاعر أبو بكر بن الحسن بالكُميت البطليوسي[٣]. ويقال أن أبا عبد الرحمن بن طاهر المرسي يماثل الصاحب بن عباد في البلاغة والبيان [٤]، وذُكِر أن ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي في الأدب يُشبه الجاحظ [٥]، وكذلك أبو مروان بن سراج كان بالأندلس

٣٧٣/٢ ،الإحاطة : لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، دار المعارف – مصر ، ٢٥٢/٢ .

[٦] ابن سعيد : المغرب ، ١٣٣/١ . ومؤمن هو مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس مولى الأمير عبد الرحمن المرواني الداخل ، فحل شعراء الأندلس . كان يُهاجي ثمانية عشر شاعرا فيعلوهم ، وكانت آفته التهكم بالناس وتتبع زلاتهم ، رحل إلى المشرق فلقي أبا تمام وروى عنه شعره ، توفي سنة ٢٦٧هـ .أنظر ترجمته الجذوة ، ص٥٦٣ ، بغية الملتمس ، ص٦٣٠، المغرب ، ١٣٢/١ ،.

[٧] ابن سعيد : المغرب ، ٤١١/٢ . ابن اللّبّانة : هوأبو بكر محمد بن عيسى الداني ، كان من جُلة الأدباء وفحول الشعراء ، تردد على ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس ، وأخبر بوفائه مع المعتمد بن عباد وتفجعه لدولته حين خُلع عن ملكه ، توفي بميورقة سنة ٥٠٧هـ . أنظر ترجمته القلائد ،٧٧٦ ،الذخيرة ، ٦٦٨/٢/٣ ، المغرب ، ٤٠٩/٢ ،

[١] المقري : النفح ، ٣/ ٥٣٩ . الزّجالي :هو محمد بن سعيد من بني يَطفت برابر تاكُرُنَّا ، ساد بقرطبة وفشا نسله وعظم عقبه ، وكان أول من استكتبه عبد الرحمن الأوسط .أنظر ترجمته المغرب ، ٣٣٠/١ .

[٢] المصدر نفسه ، ٤/ ٢٨٧ . وحمدة هي حمدونة بنت زياد – بن بقي بن العوفي – المؤدب ، من وادي آش شاعرة الأندلس ، كانت من ذوي الألباب وفحول أهل الأدب، وهي من نساء غرناطة المشهورات بالحسن والجلالة .أنظر ترجمتها النفح ٤ / ٢٨٧

[٣] المصدر نفسه ، ٣/ ٤٥٣ .والكميت البطليوسي من شعراء عماد الدولة أبي جعفر المستعين بن هود بسرقسطة ، وهو شاعر أديب كان ينتجع الملوك ويمدح الأمراء . أنظر ترجمته المغرب ، ٣٧٠/١ ، بغية الملتمس ، ص٥٩٧ .

[٤] ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢ / ١١٨ . وأبو عبد الرحمن هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر ، قام بأمر مرسية حتى ثار عليه أهلها ، واستغاثوا بالمعتمد بن عباد ، فأرسل إليه ابن عمار فأخذها منه ، عندئذ انحاز ابن طاهر إلى بلنسية وظل فيها حتى توفي سنة ٥٠٧هـ .انظر ترجمته القلائد ، ص١٧٠، المغرب ، ٢٤٧/٢ ،
النفح ، ٦٤١/١ .

[٥] ابن خاقان : القلائد ، ٣ / ٧٠٨ .ابن السِّيد هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد النحوي من أهل بَطَلْيَوْس ، سكن بلنسية ، وكان عالما بالآداب واللغات مستبحراً فيهما ، مقدما في معرفتهما واتقانهما ،

كعمرو بن بحر[٦]. و كان محمد بن يحيى الصائغ السرقسطي بمنزلة أبـي نـصر الفـارابي بالمشرق [٧] . وكان الخليفة المهدي يُشبّه الشاعرة الأندلسية مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري بالخنساء ، ويفضلها عليها[١] :

أشبهـــتِ مريماً العـــذراءَ في وَرَعٍ وفُقتِ خنـســـاءَ فـي الأشعـــارِ والمُثلِ

هذه بعض الألقاب المشرقيّة التي أطلقت على بعض أدباء الأندلس وعلمائه ، ولم نـأتِ على ذكرها كلها ؛ لأن الغرض يتحقق بالوقوف على بعضها . فمن الملاحظ أن الأندلـسيين كانوا دقيقي التشبيه ، واسعي الاطلاع ، وعلى ثقافة عالية . فهم يربطون بين الصفات التـي يشترك فيها الأديب أو العالم الأندلسي مع من لُقب به من المشارقة ، بالإضافة إلى أن أكثـر ما أطلقوه من ألقاب وتشابيه تتعلق بأدباء وعلماء عباسيين ، ويمكن إرجاع ذلك إلى التواصل الدائم والعلاقات الثقافية المتينة التي تربط الدولتين ، وإلى ما شهده العصر العباسي من ميلاد عمالقة الأدب العربي كالبحتري وأبي تمام والمتنبي والمعرّي وغيرهم ، وما أضـافوه إلـى الأدب من تطور وتجديد في الشكل والمضمون .

يجتمع الناس إليه ويقرءون عنه ويقتبسون منه ، كان حسن التعليم ثقة ضابطا .أنظر ترجمتـه الـذخيرة ، ٨٩٠/٢/٣ ، الصلة ، ص٤٤٣ المغرب ، ٣٨٥/١ .

[٦] ابن خاقان : القلائد ، ٣/ ٦٠٥ .أبو مروان بن سراج هو عبد الله بن سراج بن عبد الله بن محمد ، كانت الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب اللغات والآداب عليه ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ، ودونه يكون علـم العلماء ، ولد سنة ٤٠٠هـ وتوفي سنة ٤٨٩هـ . أنظر ترجمته المغرب ،١١٥/١ ، الذخيرة ، ٣٠٧/١/٢

[٧] ابن خاقان : القلائد ، ٤ / ٩٣١ .المقري : النفح ، ١٨٥/٣ .محمد بن الصائغ هو أبو بكـر بـن باجـة التُجيبي الأندلسي من فلاسفة الأندلس وإمامها في الألحان ، كان جليل المقدار ، استوزره أبـو بكـر بـن تِيفَلْويت ملك سرقسطة . انظر ترجمته القلائد ، ص ٩٣١ ، المغرب ، ١١٩/٢ .

[١] المقري : النفح ، ٤ / ٢٩١ .ومريم بنت أبي يعقوب أديبة و شاعرة مشهورة ، سكنت إشبيلية وأصلها من شِلْب ، كانت تعلم النساء الأدب ، وتحتم لدينها وفضلها . أنظر ترجمتها النفح ، ٢٩١/٤ .

ولم يقتصر الأمر في إطلاق الألقاب على الأدباء والعلماء فحسب ، بل تعداهم إلى الملوك والأمراء ، إذ استعاروا لأنفسهم ألقاب أمراء المشرق خاصة أمراء بني العباس ولقبوا أنفسهم بها تيمنا . فالمعتمد كان يُشبّه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس ذكاء نفس وغزارة أدب[٢]، وأن المعتضد والد المعتمد كان ذا سطوة كالمعتضد العباسي ببغداد يتخذ سيرته[٣] .

وقد درج استعمال ملوك الأندلس لألقاب المعتمد والمعتضد والمأمون والمتوكل والناصر والمستنصر ، غير أنهم لم يأخذوا منها إلا الاسم ، وقد تنبّه إلى ذلك ابن رشيق القيرواني ، فوجه لهم نقداً لاذعاً يقول فيه [١]:

مما يزهدني في أرضِ أندلس أسماءُ معتضدٍ فيها ومعتمدِ

ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضعِها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهم غير جديرين بحملها ، وإطلاق هذه الألقاب على أنفسهم ما هو إلا شكل من أشكال التقليد الذي حاولوا به اتباع ملوك بني العباس ، وتقليدهم في أمور عديدة كالاحتفالات واهتمامهم بالحركة الثقافية ، وفتح أبواب بلاطاتهم للأدباء . وهذا ما سنلحظه أثناء حديثنا عن الحركة الثقافية .

---

[٢] المراكشي : المعجب ، ص ٩٤

[٣] ابن عذارى المراكشي : البيان المُغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان و إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة – بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م ، ٢٤٨/٣ .

[١] المراكشي : المعجب ، ص ٧٣ . المقري : النفح ، ١ / ٢١٤ .

ب _ تسمية المدن :

ويبقى الإحساس بالمكان راسخا في نفوس الأندلسيين خاصة فيمن قَدِم من المشرق إلى الأندلس ؛ لأن قلوبهم بقيت متعلقة بمدنهم ، فربطوا بينها وبين المدن الأندلسية لما لمسوه من تشابه بينها ، من ذلك ما نقله المقّري من أنّ أبا الخطّار حسام الكلبي لمّا كثر عنده أهل الشام ولم تحملهم قرطبة فرقهم في البلاد ، وأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل أهل حمص إشبيلية وسماها حمص ، وأهل قنسرين جيّان وسماها قنسرين ، وأهل الأردن رية ومالقة وسماها الأردن ، وأهل فلسطين شذونة – وهي شريش – وسماها فلسطين ، وأهل مصر تُدْمير وسماها مصر [٢] ، وقيل إن غرناطة دمشق بلاد الأندلس ، وسميت بذلك لشبهها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء[٣] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جـ _ حركة التأليف :

وثمة مظهر آخر يعكس شغف الأندلسيين بما عند المشارقة والتأثر بهم ، يبرز في مؤلفاتهم العديدة التي اتخذت من منهج المشارقة في تأليف كتبهم نهجا تسير عليه في مختلف الميادين العلمية والأدبية ، منها ما استطاع الزمن أن يحفظها لنا ، ومنها ضاع ما ضاع من كتب لانعلم عنها إلا الاسم ، ككتاب " التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس " الذي ألفه ابن زيدون على منزع "التعيين في خلفاء المشرق " للمسعودي [١]، ومنها كتاب " سراج الأدب "

---

[٢] المقري : النفح ، ١٥٢/١، ١٦٤ ، ٢٣٧. لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبارغرناطة ، ١ / ١٠٩ .

[٣] ابن سعيد : المغرب ، ١٠٢/٢ ، المقري : النفح ، ٣/ ٢١٧

[١] المقري : النفح ، ٣ / ١٨٢

لأبي عبد الله بن أبي الخصال الذي صنّفه على منزع كتاب " النوادر " لأبي علي القالي[٢] ، وكتاب " سمط اللآلئ " لأبي عبيد البكري على كتاب " الأمالي " لأبي علي القالي [٣] .

وحذا ابن الفرج الجياني في كتابه الحدائق حذو كتاب الزهرة لابن أبي داوود الأصبهاني [٤]، وصيغ كتاب الذخيرة لابن بسام على شكل اليتيمة للثعالبي [٥] . بالإضافة إلى كتب الطبقات و المعارضات التي عارض بها أصحابها مؤلفات المعرّي ومقامات الهمذاني والحريري والكثير من الأشعار . وقد استمر الأندلسيون بتقليدهم للمشارقة والتأثر بطريقة تأليفهم بعد القرن السادس الهجري ، فأسهبوا في ذكر طرق الاحتذاء وألوانه دون إغفال أسماء المقلدين ومنازع تقليدهم وقد حفلت المصادر والمؤلفات الأندلسية بذكر أسماء الكتب والمؤلفين .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ملامح من الحركة الثقافيّة والأدبيّة في الأندلس :

شهدت الأندلس في ظل الحكم العربي الإسلامي حركة ثقافية وأدبية واسعة ، لا تقل قيمة عن تلك الحركة التي ظهرت في المشرق العربي ، إذ أسهمت الرحلات المتبادلة بين المشرق والأندلس والعلاقات المتينة بينهما في إغناء هذه الحركة وإثرائها ، خاصة أن هذه الحركة تعد امتداداً لما كان في المشرق ، فلا نكاد " نجد فروقا أساسية بين المغرب والمشرق

---

[٢] المصدر نفسه ، ٣ / ١٨٤ ، ابن أبي الخصال : هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال (٤٦٥ – ٥٤٠هـ) ، من " مرغليظ " من عمل شقورة ، درس على شيوخ عصره حتى أصبح متقنا في العلوم ، مستبحرا في الآداب واللغات ، عالماً بالأخبار شاعراً مترسلاً ، من مؤلفاته إلى جانب رسائله وأشعاره (ظل الغمامة وطوق الحمامة) و(سراج الآداب) . انظر ترجمته القلائد ٥١٨ ، الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٧٨٦، الصلة ، ص٨٥٤، الخريدة ، ٤ / ٢ / ٤٥٩ ، بغية الملتمس ص ١٧٠، المغرب ،٢ / ٦٦ ،

[٣] المقري : النفح ، ٣ / ١٨٤

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ١ / ١٣ .

[٥] المصدر نفسه ، ١ / ١ / ٣٢ .

في الثقافة والأدب ، وكل ما هنالك هو اختلاف في الألوان زاد في تنويع الأدب العربي وتوسيع ثروته "[١] على أيدي الأندلسيين الذين عرفوا بذكائهم وذوقهم وبلاغتهم وفكرهم ، بشهادة أبي علي القالي العالم الكبير الذي وفد على الأندلس زمن بني مروان ، وكان يظن أن أهلها من أشدّ الناس غباءً ، وهذا ما كان يعتقده كثير من المشارقة ، فكلما مرّ بمصر من الأمصار لاحظ هذه الصفة ولاحظ بروزها أثناء مكوثه في القيروان ، فقال لا بدّ أن أهل الأندلس أكثر غباءً ، وأنه سيحتاج إلى من يترجم كلامهم ، ولكنه تعجب فيما بعد من فطنتهم وذكائهم [٢] . وهذا ما نلمسه فيما وصل إلينا من أدب .

ونظراً لهذه الصفات التي اتسم بها أهل الأندلس ، ونشطت ثقافتهم نشاطا ملحوظا في مختلف المجالات ، من علوم وفنون وآداب ... ، ويمكننا إعادة هذا النشاط إلى عوامل عديدة [٣] نستطيع التوصل إليها بسهولة في أثناء اطلاعنا على ما ورد في المصادر الأندلسية ، حيث تبين أن عصري الإمارة والخلافة وعصر الطوائف من أكثر العصور التي نشطت فيها الحركة الثقافية وازدهرت ، فقد كان لاستقرار الأوضاع – أحيانا – في الأندلس خاصة في عصري الإمارة والخلافة دور مهم في ازدهار الحركة الثقافية وتطورها فيما بعد لاسيّما في عصر الطوائف .

وثمة عامل يمكننا أن نعده من أكثر العوامل بروزاً وتأثيراً في الحركة الثقافية في الأندلس ، وهو تشجيع ولاة الأمر من ملوك وأمراء للعلم والعلماء ، فقد حظي العالم بمكانة مرموقة ، واحتل مرتبة عالية لدى أهل الأندلس . وقد أشار المقّري إلى هذه المكانة مبينا احترامهم للعالم ومكانته عندهم، فالعالم مُقدَّر عند العامة والخاصة ، ويشار إليه ويَنْبُه ذكره

---

[١] عبد الله شريط : تاريخ الثقافة والأدب ، ص ١٤٥ .

[٢] المقري : النفح ، ٣ / ١٥٣ – ١٥٤ .

[٣] أنظر حامد الشافعي : الكتب والمكتبات في الأندلس ، دار قباء - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠ – ٣١ .

عند الناس . فالعالم فيهم بارع؛ لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه[١] .ولا يقل الأدباء مكانة عن العلماء فقد سعى الأمراء إلى تقريبهم من مجالسهم ، وأغدقوا عليهم الأموال .

وقد أسهبت المصادر في الحديث عن عناية الأمراء والملوك في الحركة الثقافية والأدبية ، من ذلك ما روي عن الحَكم المستنصر وإسهامه بشكل واضح في ازدهارها ، إذ كان محبا للعلوم مكرما لأهلها جامعاً للكتب على اختلاف أنواعها . وقد جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله إلاّ ما يذكر للناصر العباسي بن المستضيء . وقد بلغ عدد الفهارس في خزانة العلوم والكتب في دار بني مروان أربعة وأربعين فهرساً ، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين ، كما أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت أليها بضائع من كل قطر[٢]. وهذا يدل على مدى عناية الحكم بجمع الكتب وحرصه على نشر الثقافة ، فقد استطاع أن يجلب إلى الأندلس عدداً كبيراً من الكتب ، مكّن الأندلسيين من الاطلاع عليها والاستفادة منها ، كما سهّل عليهم الحصول على الكتب خاصة لمن يتعذر عليه الوصول إليها ، لأن الحصول عليها يتطلب أحياناً تكلفة مادية بالإضافة إلى مشقة السفر لطول المسافة .

ولم يكتف الحكم بهذا الأمر ، فقد بعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجّار ، وأرسل إليهم الأموال لشرائها ، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه . وبعث في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين ، فبعث الأصفهاني إلى الحكم بنسخة قبل أن يخرجه إلى العراق . وهذا يدل على حرصه الشديد على الوصول إلى الكتاب وقراءته والاطلاع على ما جاء فيه والاستفادة منه . كما استجلب من

---

[١] المقري : النفح ، ١ / ٢٢٠ – ٢٢١ .

[٢] المصدر نفسه ، ١ / ٣٨٥ – ٣٨٦ .

ديار المشرق عيون التآليف الجليلة والمصنفات الغريبة من العلوم القديمة والحديثة ، فكثر تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم [١]، التي حرموا جزءاً منها فيما بعد خاصة في عصر الموحدين . فهذه الحرية التي منحها الحكم للناس أسهمت في تنشيط الثقافة والآداب ، كما جمع في داره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد [٢] .

وكان الحكم ثقة فيما ينقله ، فقلما يوجد كتاب في خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته[٣]، فلم يكن همّ الحكم جمع الكتب فقط دون الاطلاع عليها ، فما جمع ما جمعه إلا لحبه العلم ، واهتمامه به ومتابعة ما يصدر من الكتب ، وهذا بدوره يعكس ثقافته الواسعة التي أثرت على الأندلس ، التي يُعزى لها الفضل فيما وصلت إليه الأندلس من ثقافة وفكر . وقد ورث هذه الصفة عن أبيه عبد الرحمن الناصر الذي أنشأ مكتبة القصر التي تدل على الدرجة العالية التي بلغتها الثقافة في عهد الناصر ، فجاءت مكتبة الحكم امتداداً لها وأكثر تطوراً .

غير أن تشجيع الأمراء لم يتوقف عند العناية بالعلماء وتقريبهم منهم ، بل يظهر في الحماس الذي أبدوه في بناء المؤسسات التعليميّة من مساجد ومدارس ، إذ كانت ملتقى لطلبة العلم بعلمائهم وأساتذتهم . ويضاف إلى هذه العوامل عامل آخر ، وهو الاتصالات العلميّة والثقافيّة بين علماء الأندلس وعلماء المشرق ، التي أسهمت في استمرارها الرحلات العديدة التي سنشير إليها لاحقا ، إلا أننا سنتوقف قليلاً عند رواية رواها ابن بشكوال ، نلقي الضوء

---

[١] صاعد بن أحمد التغلبي : طبقات الأمم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها بالنجف ، تقديم محمد بحر العلوم ، ١٩٦٨ ، ص ٨٦ .

[٢] المقري : النفح ، ١ / ٣٨٦ .

[٣] المصدر نفسه ، ١ / ٣٩٥ .

من خلالها على فضل بعض من رحل إلى المشرق من الأندلسيين وما أحضره معه من كتب . يقول أبو حفص الزهراوي : " ساق سَلَمة بن سعيد [١] (ت ٤٠٦ هـ) شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مَشدُودة من كُتُب ، وسافر من إسْتجة إلى المشرق ، واتخذ مصْر موئلاً ، واضطرب في المشرق سنين كثيرة جدّاً يجمع في الآفاق كُتبَ العلم ، وكانت في كل فن من فنون العلم ،... ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق "[٢].

فهذا واحد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق فلو قمنا بإحصاء الكتب التي دخلت الأندلس عن طريق الوافدين والراحلين مثل ما أدخله سلمة هذا ، لاستطعنا أن نتوصل إلى عدد هائل من الكتب التي أغنت الحياة الثقافية بمختلف مجالاتها . وما أن نصل إلى زمن العامريين يطالعنا المنصور بن أبي عامر الذي كان محبا للعلم ، ومؤثراً للآداب ، مفرطا في إكرام من ينسب إلى شيء من ذلك ، وهو بهذا ساهم في تنشيط الحركة الثقافية [٣] .

وبمجيء عصر الطوائف نهضت الثقافة والآداب نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامي نتيجة عوامل كثيرة [٤]، و يضاف إلى ما ذكر سابقا أن عصري الإمارة والخلافة كانا بمثابة إعداد طويل تجمعت خلالهما مواد وافرة وغزيرة في كل فرع من فروع الدراسات .

---

[١] سَلَمَة بن سعيد بن سَلَمَة بن حفص بن عمر بن يحيى ين سَعيد بن مُطرَف بن بُرْد الأنصاري أبو القاسم . من أهل إسْتجه ، سكن قُرطبة ، و رَحل إلى المشرق وحجّ ، أقام في المشرق ثلاثاً وعشرين سنة وعمل مؤدبا في بعض أحياء العرب ، فكان رجلاً فاضلا ، ثقة ، راوية للعلم ، حافظا للحديث .أنظر ترجمته ، الصلة ١ / ٣٥٠

[٢] ابن بشكوال : الصلة ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، ٣٥٠/١- ٣٥١

[٣] المراكشي : المعجب ، ص ٣٩ .

[٤] بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٣ وانظر مزيداً من العوامل حازم خضر : النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، دار الرشيد – بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٦٠ – ٦٢ .

كما كان لمغادرة علماء قرطبة أثناء الفتنة وانتشارهم في شتى نواحي الأندلس دور كبير في انتشار الثقافة ، وما رافقهم من تفريق الكتب التي كانت مختزنة في مكتبات قرطبة على مدن الأندلس ، لا سيما أن قرطبة كانت تعد أهم مركز علمي في الأندلس ، فقد وصفها المقّري بقوله : " وهي أكثر بلاد الأندلس كتبا ، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب ، وصار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة ، حتى إن الرئيس الذي لا يكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به[١] "

ومما يؤكد افتخار الأندلسيين وشغفهم بجمع الكتب ، ما رواه الحضرمي عن ملازمته لسوق قرطبة مترقبا وقوع كتاب كان يعتني بطلبه إلى أن وقع عليه ، وهو بخط جيد وتجليد مليح ، ووجد من ينافسه في شرائه ، فجعل يزيد في ثمنه إلى أن زاد عما يستحقه بكثير ، وعندما سأله عن سبب اهتمامه بالكتاب أخبره أنه ليس بفقيه ولا يعلم ما في الكتاب ، إلا أنه أقام مكتبة ليتجمل بها أمام أعيان بلده ، وبقي موضعا يسع هذا الكتاب ، فلما رآه حسن الخط وجيد التجليد ، استحسنه ولم يبالِ ما زيد فيه من الشعر [٢] .

وتعد هذه الرواية واحدة من الروايات العديدة التي أشارت إلى أهمية الكتاب في الأندلس ، وإلى اهتمام الأندلسيين به ، وحرصهم على الوصول إليه ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة أهل الأندلس واحترامهم للعلم والعلماء ، و سعيهم إلى الاطلاع على معظم ما يقع في أيديهم من كتب وصلت إليهم من المشرق أو ألفها مؤلفوهم ، فينكبون على قراءتها مطالعين ومتذوقين وناقدين . ومما يدل على أهمية الكتاب والعلم عندهم ، اتخاذ بعضهم الكتاب أداة للزينة

---

[١] المقري : النفح ، ١ / ٤٦٢ .

[٢] المصدر نفسه ، ١ / ٤٦٣ .

يجملون به بيوتهم ، مع إمكانية إيجاد أدوات أخرى تفوقه جمالاً ، لكنها لا تحمل مـــا يحملـــه الكتاب من دلالة ، فهو يعكس شخصية صاحب البيت ، ويرفع من مكانته عند الناس ؛ لـــذلك نجد هذا الاهتمام سُنة متبعة في عصور الأندلس المختلفة ، ولا تختص بعصر دون عصر إلا أنّها تتفاوت .

ويضاف إلى هذين العاملين عامل ثالث لا يقل أهمية عنهما – برز بوضوح زمن الحكم المستنصر– ألا وهو الحرية التي أباحها ملوك الطوائـــف للأندلـــسيين فـــي شـــتى نـــواحي الحياة – باستثناء الفلسفة – إذ عملت على دفع عجلة التقدم الثقافي إلى الأمام ، وأسهمت فـــي تشجيع حركة التأليف ، ورفد الحياة الثقافية مؤلفات تركت بصمات واضحة فـــي الحـــضارة الأندلسية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وثمة عاملان يظهران بوضوح في تاريخ الأدب الأندلسي وعصر الطوائف تحديـــداً ، هما العامل السياسي الذي ترتب على انقسام الأندلس إلى دويلات ، و ظهور جانبين أحـــدهما سلبي والآخر إيجابي . سلبي نتيجة الضعف الذي أصاب الأندلس وزعـــزع أمنهـــا الـــداخلي والخارجي أمام الأعداء . وإيجابي لما أداه هذا الانقسام من تنافس بين الأفراد في اســـتقطاب أكبر عدد من الأدباء والعلماء إلى مجالسهم ، مما شجع الحركة الثقافيّة والأدبيّة ،وأسهم فـــي ازدياد التنافس بين الأدباء أنفسهم ، لما عُرف به أمراء الأندلس مـــن حـــب للعلـــم والأدب ، بالإضافة إلى كونهم أدباء ألفوا العديد من الدواوين كالمعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، أو العديـــد من الكتّاب كالمظفر بن الأفطس الذي كان شاعراً وأديبا ، وعالما لبيباً ، وبطلا شجاعا ، وله التأليف المشهور بالتأليف الأكبر المسمى المظفري والذي يقع في خمسين مجلدة ، اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير وجميع علوم الآداب [١] .

---

[١] المقري : النفح ، ٣ / ١٨١ ، ١٩٤ – ٣٨٠ ، ٤ / ٤٦٦ .

وبهذا نجد أمراء الأندلس قد أسهموا بشكل واضح وكبير في تطـور الحيـاة الثقافيـة والأدبية ، والوصول بها إلى أعلى درجات الرقي التي صقلت الشخصية الأندلسية ، وجعلـت لها كيانا وحضوراً وسط الثقافات الأخرى .

أهمية الرحلات :

عرفت الأندلس الرحلات في وقت مبكر من قيامها ، إذ تنبّه أهلها إلى أهميّة المـشرق وما فيه من كنوز معرفيّة وأماكن دينيّة ، فرحل إليه العالم والطالب والغنـي والفقيـر ؛ لأداء فريضة الحج ، ورغم هذا الاختلاف في الراحلين إلى المشرق وفي دوافع الرحلـة ، فـإنهم التقوا – فيما يبدو – في الحرص على إحضار كتب المشارقة إلى الأندلس بمختلـف ألـوان المعرفة والعلوم[١].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبذلك أدّت الرحلات دوراً أساسيا في تنشيط الحركة الثقافية والأدبية فـي الأنـدلس ، وأسهمت بشكل بارز في انتشار التعليم والمكتبات وتطور العلوم والآداب ، وازدهارها علـى أيدي العلماء الذين وفدوا إلى الأندلس من المشرق كأبي علي القالي ، والـذين رحلـوا مـن الأندلس إلى المشرق للتبحر في العلوم ، ولقاء العلماء مباشرة والسماع منهم " لأن حـصول الكتاب عن المباشرة والتلقين أشد استحقاقا وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الـشيوخ يكـون حصول الملكات ورسوخها" كما يقول ابن خلدون [٣] .

ونظراً لأهمية الرحلة ودورها في نقل عدد كبير من الكتب إلى الأنـدلس فـي حيـاة أصحابها ، كشعر أبي تمام وبعض كتب الجاحظ وشعر المتنبّي والأغاني وغيرها ... التـي

---

[١] ابراهيم العكش : التربية والتعليم في الأندلس ، دار عمار – عمان ، دار الفيحاء – عمان ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٥٨ ، قصي عدنان : من المقامات بالأندلس ، دار الفكر – عمان ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٧ – ١٨ .

[٢] ابن خلدون : تاريخ العلامة ابن خلدون ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، طبعة فريدة ومنقحة ، ١٩٩٩ ، ٢/ ١٠٤٤ وانظر ٢ / ١٠٤٥ .

مكنت أدباء الأندلس من الاطلاع على ما لدى أهل المشرق من أسباب التقدم والرقي العلمي والثقافي [١]، والاحتذاء بهم فتأثر ابن هانئ بالمتنبي ،وتأثر عدد من شعراء الاندلس بالمعرّي كما ذكر ابن بسام في مواضع عديدة ، وما أتته هذه الرحلات من تعميق العلاقة بين المشرق والأندلس والمغرب بالطرق والمسالك والممالك والمدن ، وقربت بين اللهجات ، ونقلت العادات ما بين البلدان شرقا وغربا[٢]؛ لهذا كله تنبّه النقّاد والمؤرخون لهذه الظاهرة ، فشغلت الرحلات حيزاً من مصنفاتهم كالذخيرة والصلة والتكملة والنفح وغيرها ، أشار أصحابها إلى من وفد من العلماء إلى الأندلس ومن رحل منها ، وإلى من أحضر معه مصنفا لأول مرة إليها[٣] .

غير أن المقّري من أكثر المؤرخين توقفاً عند هذه الظاهرة ، فخصص الجزء الثاني من كتابه النفح للحديث عمن رحل من الأندلس إلى المشرق ، مبيناً أنه من الصعب حصرهم فالله أعلم بهم [٤] . ولم يغفل المقري عمن وفد من المشرق إلى الأندلس فخصص قسماً من جزئه الثالث للحديث عنهم ، مشيراً إلى ما أحضره هؤلاء العلماء من راحلين ووافدين من كتب أغنت الحياة الثقافية في الأندلس .

فالرحلة – غالباً – تمثل انطباعات من سنوات التجوال للعلماء والشباب الذين كان هدفهم قبل كل شيء التعريف بأساتذتهم ، وبالعلماء الذين التقوا بهم متجاهلين جوانب الحياة

---

[١] حازم خضر : النثر الأندلسي ، ص ٣٤٥ .

[٢] محمد رضوان الداية : في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص٢٦٩ .

[٣] أبو بكر الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف – القاهرة ، ط٢ ، انظر ص٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٢٦٧ ، جلال الدين القفطي : إنباه الرواة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٧٩ ، ١/ ١٣٩ ..

[٤] المقري : النفح ، ٢ / ٥ .

الأخرى [٥]. فمن هؤلاء الراحلين من وضع مصنفاً خاصاً فصّل فيه رحلته وخط سيرها وكل ما صادف في طريقه كابن بطوطة في المغرب ، أو تعرض لبعض التفاصيل كالعبدري وابن خير وابن جبير ، بالإضافة إلى مصنفات أخرى ضاعت بمرور الزمن . وثمة من رحل وتنقّل بين الأمصار دون أن يسجل رحلته في مؤلف خاص به ، إلا أنه جلب معه عدداً من الكتب اطلع عليها الأندلسيون .

ونصل في نهاية هذا العرض الموجز إلى القول : بأن الحديث عن التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي حديث أطال فيه النقاد والباحثون القدماء والمحدثون ، غير أن الهدف من هذا العرض ، لم يكن تكرار ما جاءوا به ، إنما ليبين قوة العلاقات بين المشرق والأندلس ، ويؤكد انتقال كثير لمن المصنفات والأعمال الأدبية المشرقية إلى الأندلس . والأهم من ذلك إنصاف الأديب الأندلسي ، وتوضيح علاقته بالمشرق التي تقوم على الاستفادة منه ، لا ليتحول إلى آلة صماء تكرر تكراراً أعمى ما فيه من نماذج ومواد فنية . فهو يزاوج بين القديم الموروث والجديد المستحدث .

ولتبين أن الشاعر الأندلسي لا يكتفي بما يطفو على سطح عقله من معان وصور مشرقية ، بل ما يزال يُنقب في طبقات أعمق من مشاعره وخياله ، حتى يستطيع أن يستخرج الصور المبتكرة الخاصة . فهو يستخدم الصور الموروثة ، ولكنه ينفث فيها من روحه وخياله ما يحولها إلى لوحات فنية رائعة [١] . وهذا ما سنراه لدى دراستنا لمَنْ تأثر بأبي العلاء المعري من أدباء الأندلس .

---

[٥] كراتشقوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧ ، ص ٢٩٧ .

[١] ابن سعيد : رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي ، لجنة إحياء التراث الاسلامي – القاهرة ، ١٩٧٣ م ، مقدمة المحقق ص٢٢ .

انتقال أدب أبي العلاء المعرّي إلى الأندلس وذيوعه : *

حظي أبو العلاء المعرّي بشهرة واسعة ومكانة مرموقة في الوسط الأدبي ؛ لما تمتع به من فطنة وثقافة ومعرفة باللغة ، فلم يكد يلمع اسمه حتى ذاع صيته ولهج الناس بذكره في الشام والعراق والحجاز ومصر ، فقصده الأدباء وطلاب العلم لينهلوا من علمه الغزير ويسمعوا منه . وكان المعرّي قد أشار إلى شهرته هذه بقوله : [١]

وقد سارَ ذِكري في البلاد فَمَنْ لَهُمْ ... بإخْفَاءِ شَمْسٍ ضوْءُها مُتَكامِلُ

ولم تكن الأندلس ببعيدة عما يجري في المشرق ، إذ كان لازدهار الحركة الثقافية والفكرية لاسيّما في القرن الخامس الهجري ، واستمرار الرحلات بين المشرق والأندلس – كما ذكرنا سابقاً– دور في معرفة الأندلسيين لعلماء المشرق وأدبائه ، فكان منهم أبو العلاء المعرّي الذي شغل أهل الأندلس بأدبه نظما ونثراً ، فأقبلوا عليه متناولين آثاره معارضة ومحاكاة وشرحاً ، سائرين على نهجه محاولين تقليده بمعارضة نصوص نثرية كخطبة الفصيح وملقى السبيل ، أو نصوص شعرية أو تضمين رسائلهم أبياتا من شعره ، وغير ذلك من مظاهر التأثر التي سنلحظها جلية في الفصول اللاحقة من هذا البحث .

---

* انظر أيمن محمد ميدان : تأثير أبي العلاء المعري في الأدب الأندلسي ، مجلة الأفق – القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد ٣٦ ، آب ٢٠٠٣ . وعبد العزيز الراجكوتي ، أبو العلاء والأندلس ، الزهراء – القاهرة ، ج١ ، م ٢ ، ١٣٤٤ هـ ، ص ٣٩ – ٤١ .

[١] ابن السيد البَطَلْيَوْسي : شروح سقط الزند ، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعرّي ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٤٦ ، ٢ / ٥٢٣ .

ويمكن تفسير إقبال الأندلسيين على أغلب موضوعات أدب أبي العلاء ، بوجـود بيئـة صالحة لبقائه ، والعناية به بعيداً عن تلك الخصومة التي دارت حوله في المـشرق ، فعـدم تأثرهم بذلك الخلاف [٢]، أسهم بطريقة أو بأخرى في شهرة أبي العلاء .

ويمكننا أن نستدل على إعجاب الأندلسيين بأبي العلاء من مواضع كثيـرة وردت فـي المصادر الأندلسية ، منها قول ابن عبد الغفور الكَلاعي الذي عارض المعرّي في كثير مـن أدبه ، ولعب دوراً بارزاً في تعريف الأندلسيين بالكثير من مؤلفات أبي العلاء التي أوردها في ثنايا كتابه الموسوم بإحكام صنعة الكلام ، يقول مظهراً إعجابه بأبي العلاء إلا أنه " عفـا الله عنه شهابَ فهم وعلم ، احتوى من المعارف على فنون . وأعرس بأبكار من العلوم وَعُون . إن شئت الفقه فلديه ، أو اللغة فموقوفة عليه ، أو الأدب فمنسوب إليه ، أو النحو فمن سيبويه ، أو العروض فرحم الله ابن أحمد ، أو الفلسفة فلم يُفقه فيها أحد ، أو النظم والنثر فقمر سمائه ، أو الحفظ والذّكر فهما من أسمائه[١] " .

وهذا كلام صريح يؤكد موسوعيّة المعرّي ومعرفته بعلوم كثيرة ، غير أن هذه المكانة التي تقترن بأبي الطيب المتنبي كما يذكر مصطفى عليان[٢] من حيث الإعجاب ، إلا أنهـا لا تجعل من التلميذ في مكانة استاذه ، وهذا ما أشار إليه الكَلاعي بقوله : " لم يكن في صـنعة النظم والنثر مثله لا قبله ولا بعده ، إلا ما كان من أبي الطيب في الشعر وحده[٣]" فـالكلاعي يشهد للمتنبي بتفوقه على المعرّي بالشعر فقط .

---

[٢] المصدر نفسه : شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (مقدمة المحقق) ، تحقيق وتقديم حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص٢٥. وانظر ثريا لهى : ألو الربيع الكَلاعي حياتة وآثاره، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٩٤ ، ص ١٧١ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ١٣٠ .

[٢] مصطفى عليان : تيارات النقد الأدبي ، ص ٣٤ .

[٣] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ١٣١ .

ويقابلنا معجب آخر عرف بثقافته ، وآرائه النقدية السديدة وهو ابن بسام الشنتريني ، فعلى الرغم من تحفظه على بعض أفكار أبي العلاء وآرائه ، إلا أنّ إعجابه بأبي العلاء يبدو واضحا في أثناء ترجمته للحُصري الذي سلك مسلك المعرّي في بعض شعره إذ يقول : " هيهات في قُدْرَة العمى ، أن يجمع بين الأرض والسما ، ولا بتقارب الصفات ،تقْتَرِنُ منازلُ الموصوفات :

أكلُّ أبي ذُؤَيْبٍ مِن هُذَيْلٍ ... وكلُّ أبي دوادٍ من إيادِ "(٤)

غير أن هذا الإعجاب لم يقتصر على النقّاد والأدباء ، بل تعداهم إلى الأمراء ، فهذا المظفر ابن الأفطس صاحب بَطَلْيَوْس الذي عُرف بثقافته وفهمه للشعر ينكر على الشعراء شعرهم إذ ما قورن بقوة شعر المعرّي ، الذي لا يقل شأنا عنده عن المتنبي فيقول : " ومن لم يكن شعره مثل شعر المتنبّي أو المعرّي فليسكت [١] ".

وعَمِد الأندلسيون إلى إطلاق لقب معرّي الأندلس على الأعمى التطيلي ، وتشبيه أبي بكر المخزومي بالمعرّي في حسن نظمه ونثره ، وعمق فهمه وفكره . يقول ابن سعيد [٢] في الإشارة

إلى أبي بكر المخزومي :

يا ثانيا للمَعَرّي ... في حُسن نَظْمٍ وَنَثْرِ

وفرط ظرفٍ ونُبلِ ... وغَوص فَهمٍ وفكر

---

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ٤/ ٢٤٧ .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٦٤١

(٢) المقري : النفح ، ١ / ١٩١ ، العماد الأصفهاني : الخريدة ، ٤ / ٢ / ١٥٤ .

وهذا اعتراف آخر من أديب أندلسي بذكاء المعرّي ، يظهر إعجابه بأدب المعرّي وثقافته التي نستطيع تلمسها بما وصل إلينا من أخبار عن معرفة المعرّي بشعر أهل المغرب والأندلس ، بما أبداه من آراء بشعر ابن هانىء متنبي المغرب أثناء سماعه له إذ يقول : " وما أشبهه إلا برحىً تطحن قرونا لأجل القعقعة التي في ألفاظه [٣] " . إذ ينصب جلّ اهتمامه على العناية بالألفاظ وإبرازها على حساب المعاني ، ويُرجِع ابن خلكان هذا الحكم إلى تعصب المعرّي للمتنبي فيقول : " ولعمري ما أنصفه في هذا المقال ، وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي [٤] " ، قد يكون تعصبه للمتنبي وراء هذا الحكم ، خاصة بعد علمنا بقضيته مع الشريف الرضي ، إلا أنّ هذا لا ينفي كون المتنبي يحظى بمكانة من الصعب على أي شاعر الوصول إليها حتى المعرّي نفسه .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والقصة الثانية التي نستدل بها على معرفة المعرّي بشعر أهل الأندلس و سعة محفوظه ، ما حكاه ابن العديم في تاريخ حلب[١] عن الأبيات التي عرضها المَنازيُّ[٢] على أبي العلاء ومطلعها :

وقانا لفحةَ الرّمضاء وادٍ ... وقاه مُضاعَفُ النبت العميم

---

[٣] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤ / ٤٢٤ .

[٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[١] المقري : النفح ، ٤ / ٢٨٩ ، ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ٣ / ١٢٨٤ .

[٢] المَنازيّ : هو أبو نصر أحمد بن يوسف السَّليكي المَنازيّ الكاتب ، كان من أعيان الفضلاء ، وأماثل الشعراء ، وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي ، وكان فاضلاً شاعراً ، توفي سنة ٤٣٧هـ ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ١٤٣

فكلما أنشد المنازي المصراع الأول من كل بيت ، سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ، وقد نقل صاحب النفح عن الرعيني قولـــه : " إن مـــؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المغازي الذي ينسبها إليه أهل المشرق " [٣] .

والسبب في إيراد هاتين القصتين يرجع إلى اســـتظهار علاقـــة المعـــرّي بـــالمغرب والأندلس التي لم تنقطع ، إذ يعزى الفضل في انتقال أدب المعرّي إلى الأندلس إلى من رحل من الأندلسيين إلى المشرق ، وإلى من وفد من المشرق إلى الأندلس . وبعد التتبع الدقيق لمـــا جاء في المصادر نجد أن أكثر من نقل أدب المعرّي ممن رحل من الأندلس إلى المشرق قـــد روى عن المعرّي مباشرة ، منهم أبو الخطاب بن حزم[٤] ، الذي لقي المعرّي وأخـــذ عنـــه ، ونستدل على ذلك من قوله " ذكر لي أبو العلاء المعرّي أنه ولد ... "[٥] ، وقال السمعاني : " حدث وروى عن أبي العلاء المعرّي ... أبو الخطاب بن حزم "[١] ، وممن روى عن المعرّي مباشرة أبو الربيع السَّرَقُسْطِيّ [٢] ، وأبو عمرو السَّفاقسي الذي عاد إلى الأندلس سنة ٤٣٦هـــ

---

[٣] المقري : النفح ، ٤ / ٢٨٨ .

[٤] أبو الخطاب بن حزم : هو العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن غالب ، كتب بالأندلس فأكثر ، ورحل إلى المشرق وحدّث في دمشق وبغداد ، ثم عاد إلى المغرب ، كان من أهـــل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية في طلب العلم ، توفي ببلدة المَرِيّة سنة ٤٥٤هـــ . أنظر ترجمته فـــي الجذوة ٢ / ٥٠٢ ، إنباه الرواة ١ / ٤٨، الصلة ، ٢ / ٤٢١ ، النفح ٢ / ٦٢٩ .

[٥] المقري : النفح ، ٣ / ٣٨٥ .

[١] السمعاني : الأنساب ، قدم له محمد أحمد حلاّق ، دار إحياء التراث العربي – بيـــروت ، طبعـــة جديـــدة مصححة ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ١ / ٣٥١ ، أنظر تعريف القدماء بأبي العلاء ، جمع وتحقيق لجنة من رجـــال وزارة المعارف العمومية باشراف طه حسين مطبعة دار الكتب المـــصرية – القـــاهرة ، ١٩٤٤م ، ص ١٣٢٧ .

[٢] محمد الجندي : الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، مطبوعات المجمع العلمـــي العربـــي – دمـــشق ، ص٤٦٢ ، أبو الربيع السّرَقسْطِيّ : هو سليمان بن أحمد . توفي سنة ٤٩٧هـــ عن ثمانين سنة . نقل الذهبي وابن حجر عن أبي القاسم الأرجي عن هبة الله بن علي المقري ، قال : أنشدنا أبو الربيع السرقـــسطي ، أنشدنا أبو العلاء لنفسه :

وروى عن أبي العلاء خطبة الفصيح [٣]، وأبو تمام غالب الأنصاري ذكره ابن حجر في جملة من روى عن المعرّي [٤]، ونُكِر ابن الأبار فيمن روى عن المعرّي ورُوي عنه[٥]، وقد لازم نصر بن صدقة أبا العلاء وأخذ عنه ديوانه سقط الزند وكتب منه نسخة جيدة [٦]، و روى أبو عبد الله بن جابر القرطبي عن أبي العلاء شعره ، وممن أخذ عن المعرّي أبو عبد الله بن خطاب التطيلي عن شيوخ أبي عامر بن رزق [٧]، وأبو القاسم بن خير القيرواني الذي لقي

أنا صائمُ طولَ الحياة وإنما فطري الحمام ويوم ذلك أعيّدُ

جميع الحقوق محفوظة

أنظر الجامع في أخبار أي العلاء ص ٤٦٢

[٣] ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٨٧ . أبو عمرو السَّفّاقسي : هو عثمان بن أبي بكر بن حمود بن أحمد الصدَّفي . رحل إلى المشرق بعد سنة ٤٢٠هـ قدم الأندلس سنة ست وثلاثين ، ودخل قرطبة ، وأسمع الناس بها . وحدّث عنه مشيختها وعلماؤها وتطوّف بسائر بلاد الأندلس نحو العامين ، كان حافظا للحديث . وكان عارفا باللغة والإعراب وعاد إلى الأندلس سنة ٤٣٦هـ . أنظر ترجمته الصلة ، الجندي : ٥٩٦ ، الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص٤٦٦

[٤] تعريف القدماء ص٣١٥ نقلا عن لسان الميزان لابن حجر . وغالب هو ابو تمام بن عيسى بن أبي يوسف الأنصاري الأندلسي ، جاور وحدّث عن أبيه وعن أبي الحسن بن جعفر المالكي وغيرهما ، لقي أبا العلاء المعرّي وسمع منه بعض منظومه ، أنظر ترجمته التكملة ٤ / ٥٠ ، الجامع في أخبار ابي العلاء ، ص٤٦٧

[٥] التكملة لكتاب الصلة ، ابن الآبار ، تحقيق عبد السلام الهّراس ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٥ ، ٤ / ٥٠

[٦] السيوطي : بغية الوعاة ٢ / ٤٢ / ٣١٣ ، تعريف القدماء ٤١٧ . نصر بن صدقة القابسيّ أبو عبد الله النّحويّ قدم مصر ، وأخذ عن علمائها ، ثم توجّه إلى المعرّة فلازم أبا العلاء . ورجع إلى مصر فقدّمها للحاكم ، فقرأ عليه فأعجبه نظمه ، وأرسل إلى عزيز الدولة الوالي بحلب أن يحمله إلى مصر ، فاعتذر فكفّ عنه " أنظر بغية الوعاة ، ٢ / ٣١٣

[٧] ابن الأبار : التكملة ، ٢ / ٣٠١ ، الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص ٤٧٣

المعرّي سنة ٤٢٣ هـ ، وقرأ عليه وسمع بالأندلس على جماعة[١]، ومن الراحلين أيضا إمام النحاة أثير الدين أبو حيان الذي روى عنه شعر السقط[٢] .

أما مَن وفد من المشرق إلى الأندلس بعد لقائه بأبي العلاء والأخذ عنه ابن الصّنّدير ، فقد روى شعر المعرّي وله فيه شرح[٣] . وأبو الفضل الدارمي البغدادي[٤] الذي كان لـه دور كبيرفي نشر شعر المعرّي في الأندلس ، خرج من بغداد سنة ٤٣٥ هـ رسولاً عن الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى صاحب افريقيا المعز بن باديس ، وقبل أن يخرج اجتاز بمعرة النعمان وبها المعرّي أحمد بن سليمان فوصل إليه ، وأنشده قصيدته اللاميّة فقبّل المعرّي بين عينيه وقال له : بأبي أنت من ناظم ، وما أراك إلا الرسول إلى المغرب [٥] .

ومن خلال ترجمتنا لهؤلاء الأعلام ، وتتبع تاريخ وفاة كل واحد منهم ، وتاريخ وصوله إلى الأندلس ، يمكننا القول : إن خطبة الفصيح ، وديوان سقط الزند ، قد دخلا إلى الأندلس في حياة أبي العلاء المعرّي ، لاسيّما بعد علمنا أن أبا عمرو السفاقسي قد عاد إلى الأندلس

---

[١] ابن دحية : المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق مصطفى عوض الكريم ، مطبوعات جامعة الخرطوم ، ط١ ، ١٩٥٤ ، ص ٤٨ . أبو القاسم بن خير القيرواني هو عبد الدائم بن مرزوق ، نحوي قديم روى عنه السقط أبو الحسن علي بن محمد أخو ابن السِّيد البطليوسي ، توفي بطليطلة سنة ٤٧٢هـ أنظر تعريف القدماء ، ص٣٨٦ ، الجامع ، ص٤٦٣

[٢] المقري : النفح ، ٢ / ٥٥٠ . محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ العلامة إمام النحاة . أثير الدين أبو حيّان القرطبي النفْزِيُّ . قرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس ... له نظم ونثر وله الموشحات البديعية ، وهو ثَبَتٌ فيما ينقله محرر لما يقوله ، عارفا باللغة ضابطا لألفاظها ، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ،انظر ترجمته نكت الهميان ص٢٨٠ .

[٣] ابن بشكوال : الصلة ، ١٤٥/١ . ابن الصّنّدير : هو أبو سالم أحمد بن الصّيّدير العراقي ، كان من أهل الأدب والشعر ، وروى عن المعرّي شعره ، وله فيه شرح ، وله مع الحُصري مُناقضات . ودخل الأندلس ، وكان عند بني طاهر ، ومدح الرؤساء . انظر ترجمته في الصلة ١ / ١٤٥

[٤] أبو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحوت بن أسد الدارمي البغدادي : ولد سنة ٣٨٨هـ وتوفي سنة ٤٥٥هـ ، وهو من بيت علم وأدب .انظر الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص٤٦٩ .

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٤ / ٨٨ ، المقري : النفح ، ٣ / ١١٢ .

سنة ٤٣٦هـ راويا خطبة الفصيح ، وأن أبا الفضل البغدادي الذي روى عنه ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي ديوان السقط كما ذكر في أكثر من موضع كقوله :" أخبرنا أبو الفضل شيخنا في شعر أبي العلاء ... "[١] وقوله في موضع آخر : " أخبرني أبو الفضل البغدادي شيخنا في شعره "[٢] قد خرج من بغداد سنة ٤٣٥ هـ ، ووصل إلى القيروان سنة ٤٣٦ هـ ، ومكث فيها بضع سنوات ، ثم وفد على الأندلس قبل سنة ٤٤٩ هـ وهي سنة وفاة أبي العلاء ، فهذا يعني وصول سقط الزند إلى الأندلس في حياة المعرّي .

وعند الرجوع إلى تواريخ الوفاة نستطيع القول : إن بعض مؤلفات أبي العلاء المعرّي قد وصلت إلى الأندلس قبل انتهاء القرن الخامس الهجري بفضل أبي بكر بن العربي ، الذي رحل إلى المشرق مع أبيه سنة ٤٨٥ هـ ، وعاد إلى الأندلس سنة ٤٩٣ هـ . وهو ممن رحل من الأندلس لكنه لم يحظَ بلقاء أبي العلاء ، فحرص على لقاء تلميذه أبي زكريا بن الخطيب التبريزي ، وأخذ عنه كل رواياته وعاد إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.[٣]

ويمكننا تتبع سند رواية* مؤلفات أبي العلاء المعري ، بتتبع ما ورد في كتب البرامج[٤] ،ولنبدأ بديوان سقط الزند وضوء سقط الزند كما جاء في رواية ابن خير في فهرسته .

---

[١] ابن السِّيد : الانتصار ممن عدل من الاستبصار ، تحقيق حامد عبد المجيد ، مراجعة إبراهيم الأبياري ، المطبعة الغربية – القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٤٥ .

[٢] ابن السيد البطليوسي : شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ، ص٨

[٣] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤ / ٢٩٦ – ٢٩٧ .

* طريقة تتبع السند جاءت على غرار ما صنعه محمد بن شريفة في كتاب " أبو تمام وأبو الطيب في أدب المقاربة"

[٤] البرنامج : هو سجل يكشف عن المنابع الثقافية التي ارتوى منها العالم والأصول التي اعتمد عليها والتي كانت بغير شك مراجع له فيما ألفه من كتب . أنظر عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١مج ، ١ح ، مايو ١٩٥٥ م ، ص ٩٢ .

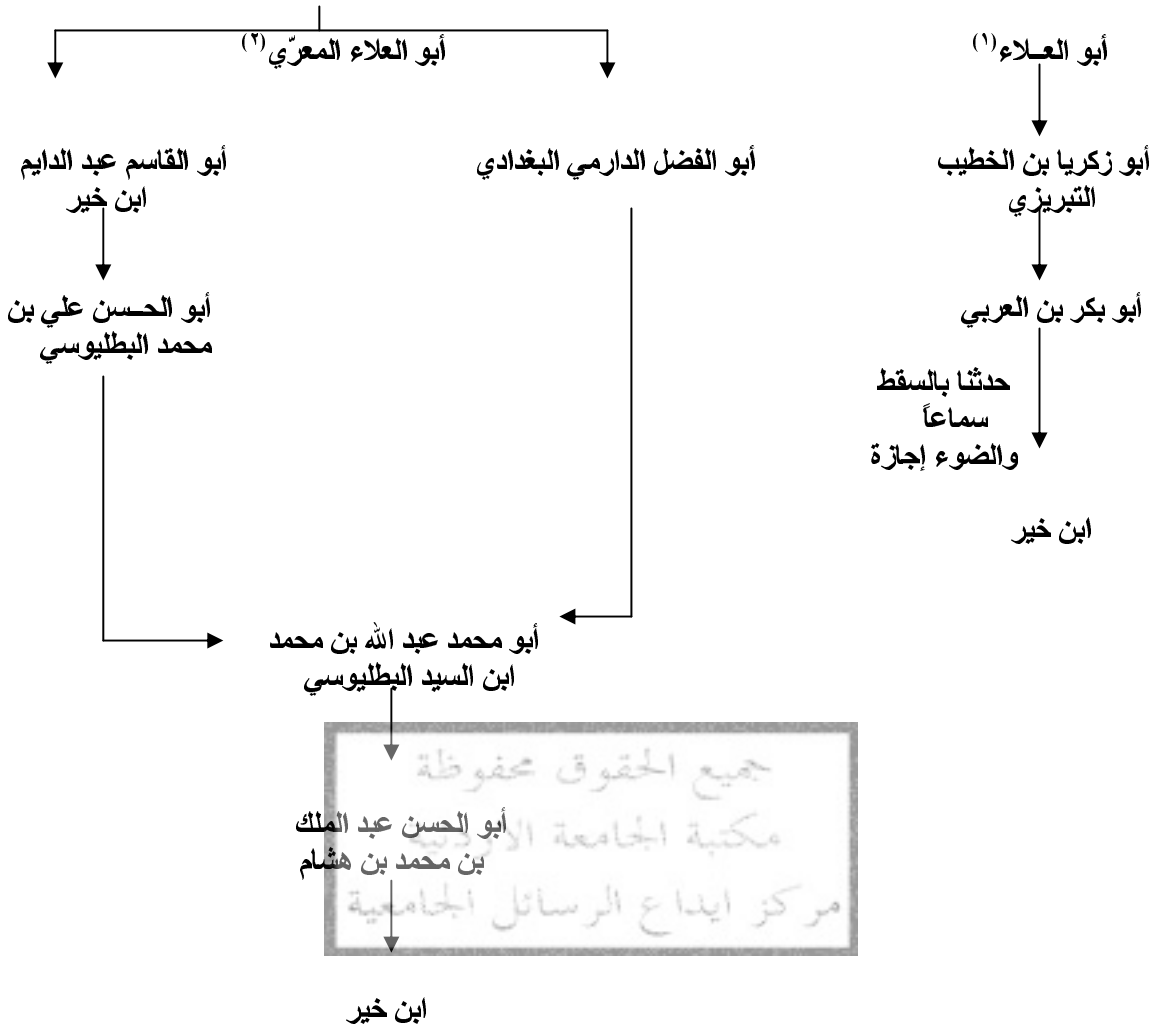

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونلاحظ من رواية ابن خير أن السند عنده متصل إلى أن يصل إلى المؤلف أبي العلاء ، وأنه اعتمد في روايته للسقط على رواية أبي بكر بن العربي وأبي الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام .

أما رواية محمد جابر الوادي آشي لسقط الزند فهي[١]

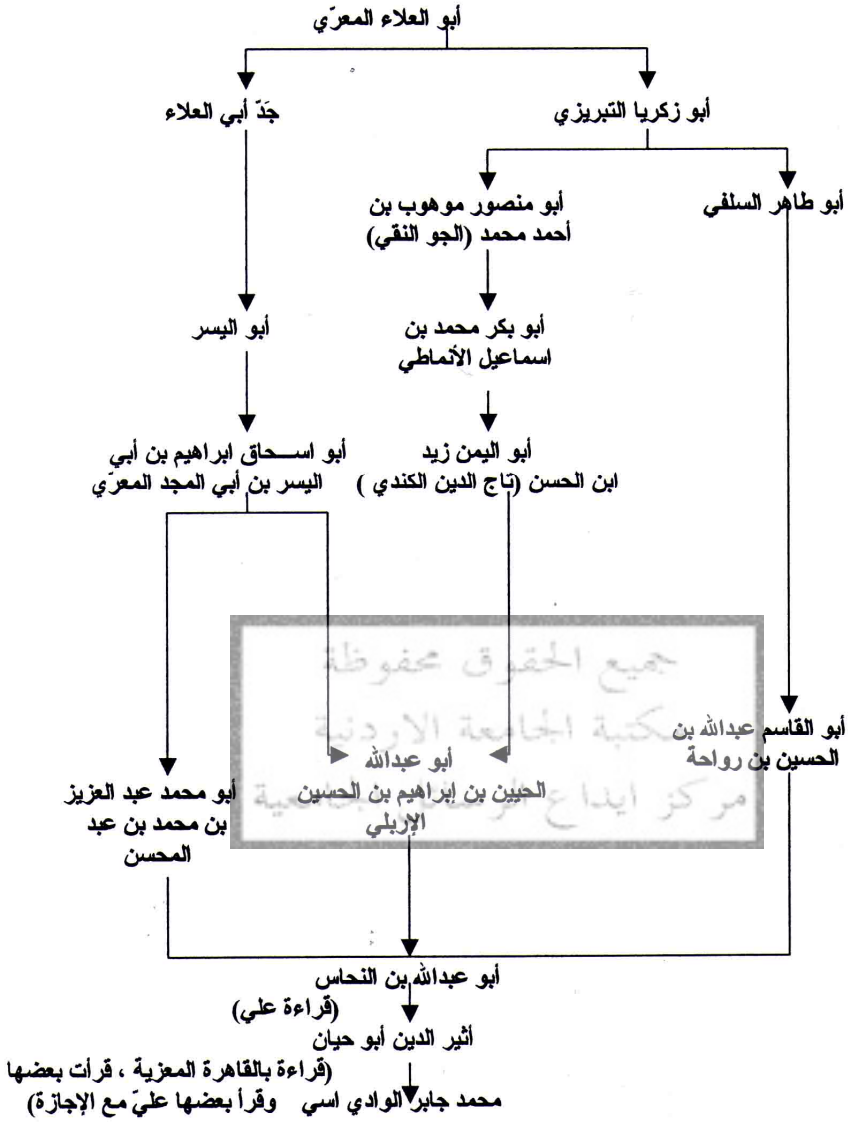

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[١] محمد جابر الوادي آشي : برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٣١٣ – ٣١٤ .

أما رواية ابن أبي الربيع للسقط جاءت كالتالي :[١]

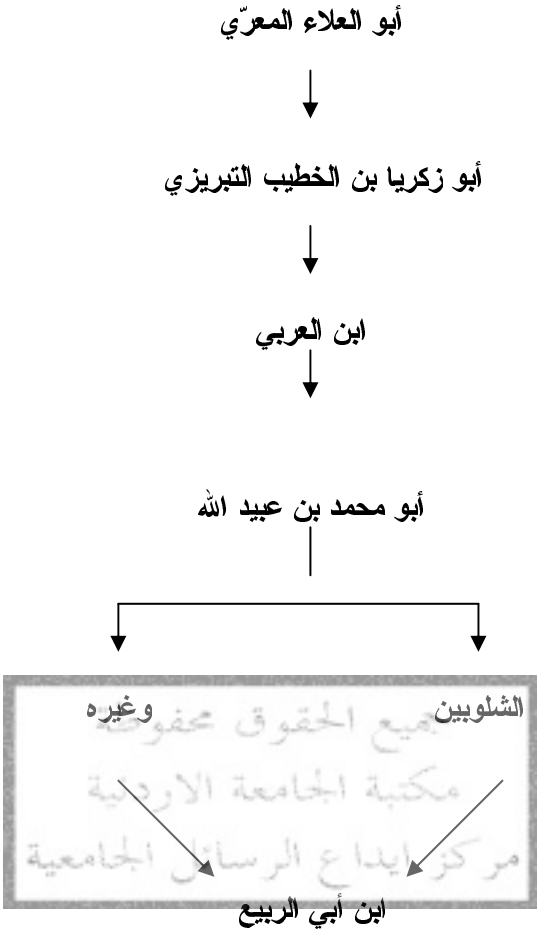

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد عرف الأندلسيون شعر السقط بشرح ابن السِّيد له ، فجاءت روايته كما في فهرسة ابــن خير [٢]

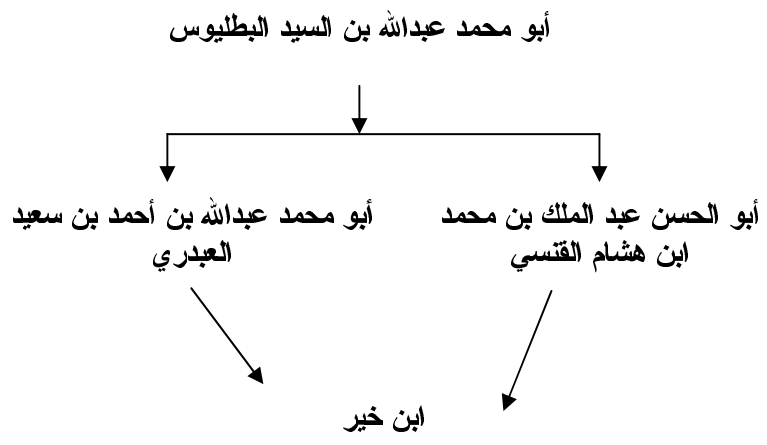

---

[١] ابن أبي الربيع : برنامج ابن أبي الربيع ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، معهد المخطوطات ، ١ مح ، ٢ح ، ١٩٥٥ ، ص٢٧١ .

[٢] ابن خير : الفهرسة ، ٢ / ٥٣٩ .

وذكر القاضي عياض في الغُنية (ت٥٤٤هـ) أن ابن السِّيد البطليوسي أجـازه جميـع رواياته

وتصانيفه [٣] والبطليوسي راو وشارح لديوان سقط الزند .

ومن الرسائل العلائية التي وصلت الأندلس منفردة دون غيرها ، رسالة خطبة الفصيح التي جاء سندها كما ورد عند ابن خير كما يلي :[١]

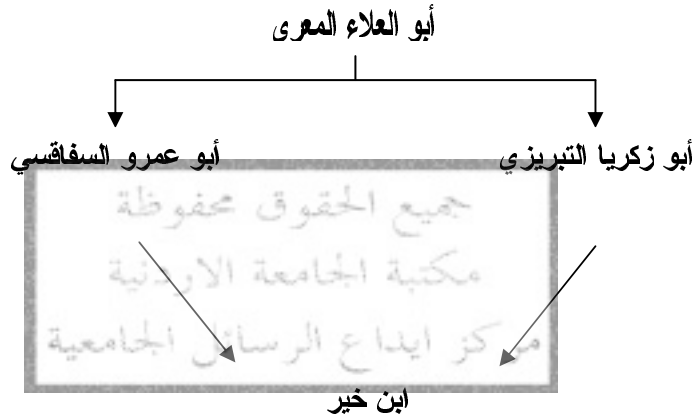

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ذكر ابن خير خطبة الفصيح مع رسائل أخرى ، فقال : ترسيل أبي العلاء المعرّي و سائر شعره في لزوم ما لا يلزم وغيره وجميع تواليفه (الإعريضيّة وشرحها ، الفلاحيّـة ، الصّاهل والشّاحج ، ولسان الصّاهل والشّاحج ، وخطبة الفصيح) ، وقال في أخرى تواليـف أبي العلاء وجميع ماله عن منثور ومنظوم فجاءت روايته [٢]

---

[٣] القاضي عياض : الغُنية (فهرست شيوخ القاضي عياض) ، تحقيق ماهر جرار ، دار العرب الإسلامي – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ ،ص١٥٩

[١] ابن خير : الفهرسة ، ٢ / ٤٤٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٥٣٩ ، ٥٨٧ .

أبو العلاء المعرّي

أبو زكريا التبريزي

↓

أبو بكر بن العربي

↓

ابن خير

وبعد هذا العرض للروايات نلاحظ أن الأندلسيين اعتمدوا في رواياتهم لمؤلفات أبي العلاء على تلاميذه خاصة أبي زكريا التبريزي . كما اعتمدوا على السماع في نقل مؤلفاته . نلاحظ أن الرواية بقيت متصلة السند إلى القرن السابع الهجري ، برواية الرُعيني (ت ٦٦٦ هـ) عن شيوخه ، منهم أبو الربيع سليمان بن موسى الكَلاعي الذي أجاز له الرواية عنه لكل ما يحمله ، وما ألفّه من نظم ونثر كما أجاز بنيه [١]، ومنهم أبو القاسم عامر بن القاضي أبي الوليد هشام بن عبد الله ابن هشام الأزدي القرطبي ، كتب إليه بإجازة ما يحمله وما له من نظم ونثر[٢] .

ومما يدل على عناية الأندلسيين برواية أشعار المعرّي واستمرارها ، رواية أبي جعفر اللّبْلي (ت ٦٩١ هـ) الذي يذكر في برنامجه أنه سمع جميع أشعار المعرّي بدمشق عن تاج الدين الكندي (ت ٦١٣ هـ) ، قراءة على الشيخ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ، عن شيخه أبي زكريا يحيى بن بقي التبريزي عن المعرّي[٣] .

---

[١] الرُعيني : برنامج شيوخ الرُعيني ، تحقيق إبراهيم شبّوح ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ٦٦ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .

[٣] أيمن ميدان : تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ، ص ٥ .

وبعد هذا التتبع لما ورد من كتب البرامج من روايات ، نلاحظ أن بعض من مصنفات أبي العلاء خاصة النثرية لم يكتب لها الوصول إلى الأندلس ، وأن أول ما وصل منها ديوانه سقط الزند ومختارات من اللزوميات وبعض رسائله ، وهي قليلة جداً إذ ما قيست مع ما ألفه أبو العلاء من مصنفات . وقد أشار إلى ذلك ابن عبد الغفور الكّلاعي بقوله إن " كتاب ذكرى حبيب ، وكتاب في شعر أبي الطيب ، لم يبلغني ولا رأيته ، إلى غير ذلك من التواليف التي لم تصل إلينا ولا ورد ذكرها علينا "[٤] . وكان ابن عبد الغفور قد تطرق إلى ذكر عدد من مؤلفات المعرّي التي وصلت الأندلس وتمكن من الاطلاع عليها . كما يلاحظ أن هذه الروايات جاءت متصلة السند برواية رجال عُرفوا بالثقة والأمانة ، مما يقلل احتمالية التغيير والتبديل والزيادة والنقصان فيما وصل إلينا من أدب المعرّي لاسيّما الشعر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[٤] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٣٢ .

الفصل الثاني

أثر المعرّي في الأدب الأندلسي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كان لانفتاح الأندلس على المشرق ثقافياً – كما رأينا في الفصل السابق – أثر كبير في إفساح المجال أمام الأندلسيين للإطلاع على نتاج المشرق الفكري والأدبي والثقافي ، مما أسهم بصورة واضحة في تفعيل الحوار ، الذي لقي ترحيبا واستحسانا من كلا الجانبين لا سيما الجانب الأندلسي الذي وجد في كل ما هو مشرقي مثالاً يحتذى .

وقد حظي النتاج الأدبي المشرقي بقسميه النثري والشعري باهتمام كتّاب الأندلس وشعرائها ، فأقبلوا على سُوقِه ينتقون منها ما يتوافق مع ميولهم وفكرهم ومعتقداتهم ، ويعكفون على قراءة دواوينها الشعرية التي كان لها أثر جليٌّ في كتابات الأندلسيين وشعرهم . وأبو العلاء المعرّي واحد من الشعراء الذين تركوا أثراً واضحا وحضوراً مميزاً في الأدب العربي ؛ لما اتّسم به من عبقرية فذة وثقافة واسعة أغنت أدبه ، ولفتت إليه الأنظار في كل الأرجاء من بينها أنظار الأندلسيين ، التي أبدت إعجابها واحترامها لأدبه ، إذ وجدت في المعرّي أديبا مختلفا عمن سبقه من الأدباء ، فقد أبدع ناثراً كما أبدع شاعراً ، وانتهج لنفسه طريقا يسلكها في أدبه قلما رأيناها عند من سبقه من الشعراء والكتّاب ، فكان أكثر جرأة وأكثر عمقا لا سيما في لزومياته ونثره . وعلى الرغم من نظمه في كثير من المضامين والموضوعات التقليدية إلا أنه أبرز تقدما ملحوظاً في طريقة تناوله لها جعلت منه أديبا له خصوصية ينفرد بها عمن سواه – وهذا ما سنلحظه في القسم الثاني من هذا الفصل – وإن لم يصل عند أهل الأندلس إلى شهرة أستاذه أبي الطيب المتنبي ومرتبته .

ومما يبدو – بعد الاستقصاء والبحث – أن شعراء الأندلس وأدباءها قد تمثلوا أدب المعرّي وتأثروا به بطرق متنوعة ، واقتصروا على مضامين وأغراض شعرية دون غيرها خاصة تلك التي تتعلق بالفكر والفلسفة والاعتبار بالماضي والنظرة التأملية للحياة والموت

والزهد والفخر وجانبا من الوصف . فتأثروا به شاعراً أكثر منه ناثراً ، وعارضوه ناثراً أكثر منه شاعراً . وهذا ما سنلحظه

فيما يأتي :

النزعة الفلسفية :

مر الاتجاه الفلسفي في الأندلس حتى القرن الخامس الهجري ، كما يرى إحسان عباس ، بثلاث مراحل ، "مرحلة إنكاره ومقاومته ووقوف الشعر ضده ، ومرحلة التملح بالآراء الفلسفية . بالإيماء إليها في الشعر أو نظمها شعراً ... ثم تجيء المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة التي جرى فيها إخضاع الشعر للفكرة الفلسفية ، و لا ريب في أن ذلك ناجم عن عاملين : الحريّة النسبيّة في التعبير عن الاتجاه الفكري أولا ، ثم تأثير شعر أبي العلاء المعرّي ثانيا "[١] في شعراء الأندلس الذي امتدّ إلى القرون اللاحقة باستثناء عصر المرابطين الذين وقفوا بشدة ضد الفلسفة وعلم الكلام وكل ما يمكن أن يسمى فروعاً ، وقد جاءت هذه المعاناة لأسباب كثيرة منها موقف الفقهاء المتسم بالعنت والقسوة ، وجهل العوام وتشددهم في عقائدهم ، ونفورهم من كل جديد في الدين والأخلاق ممّا قيّد الحريّة[٢]. ثمّ خفَّ الضغط مرة أخرى عن الفكر الفلسفي زمن الموحدين لتعود الحريّة الفكريّة وينشط الاجتهاد ، ويعطي العقل كامل وظيفته[٣] ، فعرف هذا العصر أشهر فيلسوفين في تاريخ الفكر الإسلامي هما ابن رشد وابن طفيل .

---

[١] إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) دار الشروق – عمان،١٩٩٧، ص١٠١

[٢] محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين . الأندلس ، دار الرشيد – العراق، ١٩٨٠، ص٧٢ [٣] المرجع نفسه ، ص٧٣

وقبل التعرض لأثر فلسفة المعرّي في شعراء الأندلس ، ومعرفة مدى أثره في شعرهم ، وإلى أيّ مدى استطاعت الحريّة الفكريّة والفلسفيّة التي منحتها الأندلس من التغلغل إلى الشعر الأندلسي ، لا بدّ من التعرف إلى طبيعة فلسفته ؛ إذ يمكن القول إنّه " رجل فكر تأملي وحدس ورؤية شعريّة ، امتلك إلى ذلك موقفا واضحا من الحياة والناس والكون والمعتقدات عامة ، ومن ثُمَّ لم تعد تجربته الفنية صادرة عن مجرد عاطفة ، أو تجربة حزينة وشخصية منكفئة على نفسها ، بل أصبحت تجربته بحجم الكون ، يرى الإنسان فيها كينونته وعالمه في كل زمان "[١] . ونظراً لثقافته الواسعة ومعارفه الكثيرة التي استمدها من بيئته وتاريخه ومذاهب المتكلمين وفلاسفة اليونان والهند وأهل المنطق ، يمكن أن نطلق عليه لفظ فيلسوف " وفق التعريفات العامة للفلسفة التي تهدف البحث عن الحقيقة النظرية غير الخاضعة للهوى "[٢] أو " إنّه درس الفلسفة واصطنعها في حياته لا أنه ابتكر في الفلسفة وأخضعها لسلطانه "[٣].

لقد بث المعرّي الكثير من آرائه الفلسفية في تضاعيف شعره لا سيّما في ديوانه اللزوميات ، فجاء متفقا مع الفلاسفة في بعضها مخالفا لهم في بعضها الآخر . وقد لقيت بعض هذه الأفكار صدى وقبولاً لدى عدد من شعراء الأندلس ، فساروا على نهجه ومذهبه . من ذلك رأيه في الجسد والروح . فهو يرى أن النفس (الروح) معذبة بكونها في الأجساد ، وأن راحتها في مفارقتها بعد الموت ، فيقول:[٤]

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيثِ

---

[١] صالح اليظي : الفكر والفن في شعر أبي العلاء ، ص٧٣

[٢] عدنان عيد العلي : المعري في فكره وسخريته ، دار اسامة ، عمان ، ص ١٢٥

[٣] أحمد الشايب : أبو العلاء شاعرٌ أم فيلسوف ، (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي) ، دار صادر- بيروت ، ص ٤٠

[٤] ابن السيد : شرح المختار من لزوميات المعري : ص ١١٦

لفقـــدي ناظـــري ولـــزوم بيتـــي وكـــون الـــنفس فـــي الجسد الخبيثِ

ينظر المعرّي إلى الروح على أنها طاهرة شريفة والجسم دونها لا يقع عليه تكليـف ، فلما نفخ الله الروح في آدم حدث باقترانهما المعاصي والخطايا التي تفضي بأهلها إلى المهالك والبلايا . وفي ذلك يقول المعرّي : [٥]

فبعـداً لهـذا الجـسم يـا روح مـسلكا وبعداً لهذي الـروح يـا جـسم سـالكاً

تواصلتـــما فاستحدث الوصـــل منكـــما عجـــائب كانت للرجـــال مـــــهالكا

ويتفق المعرّي في نظرته للنفس أو الروح مع أفلاطون الذي يرى أن النفس أسمى من الجسد، وأنها حاصلة على الوجود الحقيقي ، أما البدن فيعد وجوده ثانويا غير مؤكد ، والنفس أبدية أزلية لبساطتها وعدم فسادها ، وهي تلحق بالجسم في العالم الأرضي فتتألف منهما ثنائية مؤقتة [١].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي موضع آخر يبين المعرّي حقيقة العلاقة بين الروح والجـسم ، بوصـفها علاقـة صراع وجهاد ، فيقول : [١]

إذا اقتَـــرَنَتْ بجسـمِ أُخَـــــيَّ روحٌ فـــــتلك وذاك فـــي حالـــــي جهاد

ويقول في موضع آخر :[٢]

الـــروح تنـــأى ولايُـــدْرى بموضـــعها وفي التراب لعمـــري يَرْفُـــت الجـــسدُ

والعـــيش كالمـــاء يغـــشاه حوائمنـــا[٤] فـــصادرون وقـــوم إثْـــرهم وردوا

ومدّ وقتـــيَ مثل القصـــر غايتـــه وفي الهـــلاك تساوى الدُرُّ والبـــرد

---

[٥] المصدر نفسه : ص ٢٠٠

[١] محمد أبو ريّان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ص ٢٥٧

[٢] ابن السيد : شرح المختار ، ص ٣٨٦

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٨٢ – ٤٨٣

فبينما يرى أفلاطون "أن النفس الخيرة باقية بعد الموت ، وأن النفس الشريرة لا بقاء لها" ،وأن للنفوس بعد الموت ثلاث مراتب عند أرسطو طاليس" منها ما يبقى سعيداً منعّما ، ومنها ما يبقى شقيّا معذّبا ، ومنها ما ينحلُّ بانحلال جسمه"، يأتي المعرّي متفقا في رأيه مع الشرائع السماوية كلها على بقاء النفوس خيرها وشرها مخالفا بذلك آراء الأورفية التي تشير إلى أن النفوس الشريرة هي وحدها تهبط إلى العالم الأرضي لتحلَّ في الأجساد [٥] . فيقول [٦]

خُلِقَ النّاسُ للبَقاء فَضَلّت ... أمَّةٌ يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دارِ أعما ... لٍ إلى دار شقوة أو رشاد

وقد تبنى ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي نظرة المعرّي هذه إلى الروح والجسد فهو يرى " أن النفس جوهر باق لا ينحلُّ بإنحلال الأجسام ، وأنّها عند مفارقة الجسم تكون في نهاية الكمال والتمام ، إلا أن تكون لها أعمال قبيحة فتبقى معذبة "[١]. فمصيرها الأخروي مرتبط بما اقترفته في الحياة الدنيا من أعمال .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وممن سلك هذا الاتجاه الفلسفي في شعره من الأندلسيين الحُصْريّ حيث يقول : [٢]

يموتُ مَنْ في الأنامِ طُرّاً[٣] ... من طيّبٍ كان أو خبيثِ

فَمُسْتَريحٌ ومستَراح ... مِنْهُ ، كما جاء في الحديث

---

[٤] حوائمنا : كل عطشان حائم ، وابل حوائم ، وحُوَّمٌ : عطاش جداً .

[٥] محمد أبو ريّأن : تاريخ الفكر الفلسفي ، ص٢٥٨

[٦] ابن السيد : شروح السقط ، ٣ / ٩٧٩

[١] ابن السيد : شرح المختار ، ص ١٥٧

[٢] المقري : النفح ، ٢ / ١٥٤ ، الحُصْريّ : هو أبو الحسن علي بن عبد الغني القيرواني ، هاجر إلى الأندلس بعد خراب القيروان في منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، قال عنه ابن بسام : " كان بحر براعة ورأس صناعة وزعيم جماعة ، فتنافس فيه ملوك الطوائف ... وكان يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء " توفي سنة ٤٤٨هـ. أنظر ترجمته الذخيرة ، ٤ / ١ / ٢٤٥ ، بغية الملتمس ٢ / ٥٥٣

[٣] طُرّاً : جميعاً

وقد برز هذا الاتجاه بوضوح في قصيدة عبد الجليل بن وهبون[٤] التي يرثي بها أستاذه أبا الحجاج الأعلم الشنتمري[٥] ، ويعالج فيها مشكلة الحياة والموت بطريقة فلسفية[١] بثَّ فيها كثيرا من الحِكم التي تمحضت عن تأمله لهذا الكون وسير الحياة عليه .

بدأها بقوله :[٢]

سَبَقَ الفناءُ فما يدومُ بقاءُ ... تفنى النجومُ وتسقطُ البيضاءُ

ومنها قوله : [٣]

نفسي وجسمي إنْ وصفتهما معاً ... آلٌ يذوبُ وصخرةٌ خلقاءُ

لو تعلمُ الأجيالُ كيف مآلها ... علمي لما امتسكتْ لها أرجاء

إنّا لنعلمُ ما يراد بنا فلمْ ... تعيا القلوبُ وتُغْلَب الأهواء

لم ينكرْ الإنسانُ ما هو ثابتٌ ... في طَبْعِهِ لو صحّتِ الآراء

ونظيرُ موتِ المرءِ بعد حياته ... أن تستوي مِنْ جنسه الأعضاء

ما النفسُ إلا شعلةٌ سقطتْ إلى ... حيثُ استقلَّ بها الثرى والماء

---

[٤] ابن وهبُون هوأبو محمد عبد الجليل المُرسي شمس الزمان وبدره ، وسرُّ الإحسان وجهره ومستودع البيان ومستقرّه . وهو أحد الشعراء الأدباء الفحول عاش في عصر المعتمد بن عباد وكان صديقا لابن عمار. توفي سنة ٤٨٠هـ، أنظر ترجمته الذخيرة ٢ / ١ / ٤٧٣ ، البغية ، ص٥٠٤ النفح ١ / ٦٥٧ ، قال عنه إحسان عباس تحت عنوان الاتجاه الفلسفي : وشيخ هذا الاتجاه عبد الجليل بن وهبون. انظر تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، ص ١٠٣

[٥] أبو الحجاج يوسف بن سليمان ابن عيسى أبو الحجاج المعروف بالأعلم الشَّنْتَمَرِيُّ : كان واسع الحفظ وعالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار جيد الضبط ، كانت الرحلة في وقته إليه . توفي بإشبيلية سنة ٤٧٦هـ وكانت ولادته سنة ٤١٠هـ . شرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد . أنظر ترجمته في الذخيرة ٤٧٤/١/٢ نكت الهميان ص٣١٣.

[١] احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، ص١٠٣

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ص ٢ / ١ / ٤٧٨ – ٤٧٩ ، انظر إحسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٠٣

[٣] أنظر ما تبقى منها ، الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٨٣ – ٤٨٥

جميع الحقوق محفوظة
جامعة الاردن
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حتـــى إذا خلصـــتْ تعود كمـا بـدت ومـــن الخـــلاصِ مشقَّةٌ وعـــناء

تعبر هذه الأبيات عن اتجاه ابن وهبون الفلسفي ونظرته للنفس والجسد إذ تتشابه فـي بعض منها مع فكر أبي العلاء " إلا أنّ عبد الجليل بن وهبون أكثر اتكـاء علـى النظريـات الفلسفية ، حيث تحدث عن أن النفس شعلة (عنصر) يحملها عنصران آخران همـا المـاء والتراب ، وحين ذهب إلى أن حقيقة الموت ماثلة في الحياة ، وأن الأموات حقاً هم الأحياء . والقصيدة بعد ذلك مضطربة الإشارات ، وإظهار التفلسف فيها أمر مقصود لذاته "[٤] . وهـو ما لا نجده عند المعرّي الذي بدا متمكنا من معانيه الفلسفية ، إلا أن أبيات ابن وهبون السابقة " تمثل محاولة جديدة في الشعر الأندلسي"[١] .

ولمّا كان ابن بسام من النقاد الذين نفروا من توظيف المعاني الفلـسفيّة فـي الـشعر ، رفض ما جاء به ابن وهبون ، وقال معلقا على الأبيات السابقة : " لعلّ عبد الجليل اكتسب في هذا البيت والذي قبله من العمل بحقيقة النفس ما جهله في وصفه لها من قبل أنها "آل يذوب" ، وما أعجب أيضا قوله عن جسمه بأنّه صخرة خلقاء ، اللهمّ إلا إن كان عنى بذلك رأسه ؛ لأنه كان يلقَّبُ بالدّمغة "[٢].

وعلى الرغم من المآخذ التي سجلّها ابن بسّام على ابن وهبون إلا أنها لا تقلل من قيمة قصيدته الفنية ، من خلال توظيفه للصور ونظمه للمعاني حتى استقطبت عدداً من الشعراء . وممن ذهب مذهبه في النفس والجسد أبو عامر بن سوار الشنتريني في قوله :[٣]

---

[٤] إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ١٠٤ ، انظر منجد مصطفى بهجت : الأدب الأندلسي مـن الفتح حتى سقوط غرناطة ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٨ ، ص١٣٧ .

[١] احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٠٤

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٧٩ ، الدمغة : لقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وهو نبز عامي ، وينظر احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٠٤

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ١ / ٤٧٩

يـــا لَقـــومي دفنـــوني وَمَـــضَوْا وَبَنَوْا فـي الطـين فـوقي مـا بَنَـوْا

ليـــت شـــعري إذ رأونـــي ميّتَـــاً وبكـــوني أيَّ جُـــزْأيّ بكـــوا

أنَعَـــوْا جـــسمي فقـــد صـــار إلـــى مركـــزِ التعفـــين أم نفـــسي نَعَـــوْا

كيْـــفَ يَنْعَـــوْنَ نفوســـا لـــم تـــزلْ قائمـــاتٍ بحـــضيض وبجَـــوّ

ما أراهـــم ندبـــوا فـــيَّ ســـوى فُرْقَـــةِ التأليـــفِ إنْ كانـــوا دروا

لقد تطرق أبو عامر الشنتريني في مقطوعته هذه إلى قضية فلسفيّة تتجلى في نظرته للجسد والروح ، إذ يقرُّ – ابتداءً – بحقيقة الموت ، ويبين أن مصير الإنسان بعد موته إلى الطين الذي خُلِق منه . فيجعل من بيته الأول مدخلا للحديث عن رأيه بالروح والجسد . فهو يرى أن الإنسان يتكون من جزئين الجسد والروح ، وأن الأجساد مصيرها للفناء والزوال ، وتبقى الأرواح ؛ لذا يعجب ممن ينعون النفوس ، وهو بهذا يتفق مع رأي المعرّي .وبمقارنة هذه المقطوعة مع أبيات ابن وهبون السابقة يتبين أن هذه المقطوعة كما يرى إحسان عباس " أدنى في المستوى الشعري من قصيدة عبد الجليل ، إلا أنها أدق أخذاً بالمشكلة الفلسفية والمصطلح الفلسفي " [١]

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولابن أبي الخصال قصيدة يرثي فيها الفقيد أبا الحسن بن مُغيث[٢] ، تطرق في صورها إلى بيان علاقة الروح بالجسد التي تتفق مع نظرة المعرّي المنسجمة مـع نظـرة الـشريعة الإسلامية . فالروح عنده أسمى من الجسد ، ولقاؤهما في الأرض لغاية قصد إليها الخالق جلّ وعلا[٣] :

" الـــدّهرُ لَـــيْسَ علـــى حُـــرٍّ بمـــؤتمنٍ وأيُّ عِلْـــقٍ تخطَّتْـــهُ يَـــدُ الـــزَّمنِ؟

---

[١] إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ،ص ١٠٤

[٢] أبو الحسن بن مُغِيْث :هو أبو الحسن يونس بن محمد بن مُغيث القرطبي ، ويعرف بابن الصفّار (٤٤٧-٥٣٢هـ) ، كان عارفاً باللغة والإعراب ذاكراً للغريب ، والأنساب والأخبار ، وافر الأدب ، راوية ،مشاوراً في الأحكام ، عارفاً بعلماء الأندلس وملوكها ، أخذ الناس عنه كثيراً . انظر ترجمتـه رسـائل ابـن أبـي الخصال هامش ص٦٦٤، الصلة ٩٨٥

[٣] انظر تعليق محمد رضوان الداية ، رسائل ابن أبي الخصال ، هامش ٢٣١ ، ص٦٦٤

يـــأتي العَفـــاءُ علـــى الـــدُّنيا وســـاكِنها ... كـــأنَّ آدمَ لمـــن يَـــسْكُنْ إلـــى سَـــكَنِ

يا باكيـــاً فُرقـــة الأحبـــابِ عـــن شَـــحَطٍ ... هـــلاّ بكَيْـــتَ فِـــراقَ الـــرُّوحِ للبَـــدنِ؟

نُـــورٌ تَقَيَّـــد فـــي طِـــينٍ إلـــى أجَـــل ... وانحازَ عَنْواً وخلَى الطينَ فـــي الكفَـــنِ

كـــالطَّيْر فـــي شَـــرَكٍ يَـــسْمُو إلـــى دَرَكٍ ... حَتّى تخلَّـــصَ مـــن سُـــقْمٍ ومِـــنْ دَرَن

إنْ لم يكُـــنْ فـــي رِضـــى الله التقاؤُهُمـــا ... فيـــا لَهـــا صَـــفْقَةً بُتَّـــتْ علـــى دَغَـــن

يا شدَّ ما افْتَرقـــا مـــن بَعْـــدِ مـــا اعْتَنَقَـــا ... كأنّهـــا صُـــحْبَة كانـــتْ علـــى دَخَـــن

ورُبَّ سارٍ إلـــى وَجـــهٍ يُســـرَّ بـــه ... وَافى وقد نَبتَ المَرْعى على الدِّمَنِ " [١]

تبدو هذه الأبيات ذات مستوى شعري جيد ؛ فعلى الرغم مما تحمله من معان فلسفية –كان من الممكن أن تؤثر في بنائها الفني ، فتجعلها مضطربة بعض الشيء – إلا أن ابن أبي الخصال استطاع أن يعبر عن فكره ونظرته إلى الدّهر ، ليبين – بعد ذلك – رأيه في علاقة الجسد بالروح ؛ فالدّهر بنظره غدّار لا أمان له وأن هذه الدنيا زائلة فانية لا رجاء فيها . أما الجسد فمصيره إلى الطين بعد افتراقه عن الروح الذي كان اجتماعهما بأمر الله عز وجل .

وقال ابن باجة في رثاء أبي بكر بن تِيفلْويت[٢] ملك سرقسطة ، مبينا طبيعة الأجـساد واستحالة الالتقاء بعد الموت استحالة [٣]:

ســـــلامٌ وإلمـــــامٌ وَرَوْحٌ ورحمـــــةٌ ... على الجـسد النـائي الـذي لا أزُورُهُ

---

[١] ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكـر – دمـشق ، ط١ ،١٩٨٨ ، ص ٦٦٤ – ٦٦٥، وانظر تعليق محمد رضوان الداية ، هامش (٣) ص ٦٦٤

[٢] أبو بكر بن إبراهيم ، المعروف بابن تيفلويت (– ٥١٠هـ) أحد أمراء المرابطين ، وكان والياً مدة علـى سَرَقُسْطة وهو ممدوح الفيلسوف ابن باجة . والشاعر يسأله في هذه القصيدة أن يشكر القائد الأعلى أبا عبد الله ابن عائشة لبرّ لحق ابن خفاجة من جهته ، ولي غرناطة سنة ٤٤٩هـ ، ثم ولي سرقسطة سـنة٥٠٩ وتوفي في السنة التالية ، الذخيرة ٣/٢/ ٥٩٢ ، النفح ١ / ٦٨٢، قبل فيه احسان عباس :" كان شـغوفا بالثقافة الفلسفية ، وهو صاحب قصيدة سماها " حديقة الحقيقة " ويبدو أنه عرض فيها لفلـسفته الزهديـة" ،انظر تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٠٦

[٣] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ٢ / ١١٩

أحقــاً أبــا بكــر تَقَــضّى فمــا يُــرَى تــرُدُّ جمــاهيرَ الوفــود سُــتُورُهُ

لئن أنِســَتْ تــلك القبــورُ بقبــره لقــد أوحشــتْ أمْصَارُهُ وقُصُــورُه

ولابن الحداد[٤] بيتان من الشعر ، بدأ بهما قصيدته المدحية في المعتصم بن صــمادح واقفا

عند حقيقة النفس ، يقول فيهما : [١]

والــنَّفْسُ عادِمَــةُ الكَمَــالِ وإنّمــا بالبَحْــثِ عــن عِلْــمِ الحقــائق تكْمُــلُ

والمــرْءُ مِثــلُ النَّصــلِ فــي إصْدائِهِ والجَهــلُ يُصــدِي والتَّفــهُّمُ يَصْــقُلُ

ومن بين الآراء الفلسفية التي نشرها المعرّي في ثنايا شعره ما يتعلق بالعقــل ، فهــو يؤمن به إيمانا شديداً ، ويُبدي له اهتماما كبيراً ، إذ يعده بمثابة الإمام للإنسان ، عليه اتباعــه ليرشده إلى طريق الخير . فيقول [٢]:

كَــذب الظّــنُّ لا إمــامَ ســوى الــ عقــلِ مشيــراً في صبْحه والمساءِ

ومن ذلك قوله :[٣]

فشــاوِرِالعقــلَ واترُك غيرَهُ هــدَراً فالعقــلُ خيــرُ مشيرٍ ضمَّهُ النــادي

تبدو معالم تأثر ابن السِّيد بالمعرّي جلية في كتاباته وآرائه الفلسفية لا سيّما أنه يعد من أقرب الأدباء لأدب المعرّي لاسيّما شعره ؛ إذ قام بشرح شعر المعرّي ناشراً فيه كثيــرا مــن

---

[٤] ابن الحداد : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان العيسي المعروف بابن الحداد ، أصله من وادي آش إلا أنه استوطن المرية أكثرعمره ، وفي بني صمادح معظم شعره ، له كتاب في العروض سماه (المستنبط) مزج فيه الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية ، ولما طولب عند بني صمادح لحق بثغر بن هود ، توفي سنة ٤٨٠، أنظر ترجمته ٢ / ١ / ٦٩١ ، المطمح ٣٣٦ ، المغرب ٢ / ١٤٣

[١] ابن الحداد : ديوانه ، ص ٢٤٤

[٢] المعري : اللزوميات ، ١ / ٧٣

[٣] المصدر نفسه ، ١ / ٣٠٩

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية - جامعة الجامعة الاردنية

آرائه الفلسفية التي تتفق في معظمها مع رأي المعرّي ، والتي تظهر مدى إدراكه وفهمه لما جاء في شعره . وقد ناقش ابن السِّيد بعض القضايا الفكرية المتعلقة بالخالق عز وجل بأفكار فلسفية . من ذلك قوله : [٤]

وهل يوجد المَعْلُول من غير علة ... إذا صحَّ فِكرٌ أو رأى الرشدَ راشد

وهل غِبتَ عن شيء فَيُنكِرَ مُنْكِرٌ ... وُجودَك أمْ لم تَبدُ منك الشواهد

وفي كل مَعْبودٍ سواك دلائلٌ ... من الصُّنع تُنْبِي أنه لك واحد

وكم لكَ في خَلق الوَرى من دلائلٍ ... يَراها الفتى في نَفْسه ويُشَاهد

كفى مُكْذبا للجاحدين نفوسُهم ... تُخاصمهم أن أنكروا ، وتُعاند

اتبّع ابن السّيد في مقطوعته هذه نهج الفلاسفة من استدعاء الأدلة والبراهين لإثبات وجود الله ، والتي تتجلى في كل ما حوله من ظواهر ، ويبدأ أدلته بسياق دليل عقلي ، بعدم وجود مريض بلا مرض ليصل إلى أكبر دليل عقلي ، وهو خلق الله للإنسان وبث الروح فيه . وممن سار على هذا النهج من الاعتداد بالعقل أبو طالب عبد الجبّار الملقب بالمتنبي في أرجوزته التي ضمنها أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع عز وجل . يقول فيها : [١]

والجسمُ لَيْسَ فاعلاً في الجسْمِ ... قال بهذا القول أهلُ العلمِ

أليسَ ذا أولى برسمِ العقلِ ... من ذاكَ لمّا استويا في المثلِ؟

أفٍّ لقولِ الفئة البصريّة ... أهل الهوى والفرْقةِ الغويةِ

دانوا معاً بِقدَم الحوادثِ ... سوفَ يُجازَوْن بخَزْيٍ كارث

---

[٤] المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٩٤٠ ، ٣ / ١١٧

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٩٢٢ – ٩٢٤ ، انظر احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص١٠٢

واحـــــذَرْ هـــــدَاكَ اللهُ يـــــاذا الفهـــــم قـــــولَهُمُ واحـــــذَرْ مقـــــالَ جهـــــم

وجانـــــــبِ الحيَـــــــدَة والتعمقـــــــا فـــــإنَّ ذاك نهـــــجُ مـــــن تزنـــــدقا

وقُـــــل بما يقـــــولُ أهـــــلُ الحـــــقّ مـــــن مُثبتـــي صفات ربّ الخلـــــق

وهي أرجوزة طويلة بث فيها الكثير من الأدلة العقلية ، و يدعو من خلالها الإنسان إلى إعمال عقله للوصول إلى الحقائق ، طالبا منه أخذ الحذر من أفكار المعتزلة التي قد توقعه في كثير من المزالق . فهو يرفض ما جاءت به المعتزلة ، كما يرفض التعمق في التفكيـــر فـــي كثير من الأمور ، خاصة فيما يتعلق بحقيقة وجود الله ، مما قد يؤدي إلى اتهامه بالزندقة ، لذا يجد أن خير طريق إلى معرفة الحقائق ما جاءت به الشرائع . وموقفه من المعتزلة وإعمـــال العقل متشابه في كثير منه مع آراء المعرّي في رده على كثير من آراء المعتزلـــة ورفـــضه لمعتقداتهم . من ذلك قوله :[1]

قضى الله في وقـــتِ مـــضى أن عَـــامكُم يَقـــلُّ حَيَـــاهُ أو يزيـــدُ بـــه الـــسجمُ

فقولكـــــم ربّ اسقنـــــا غيـــــرُ مُمطـــرٍ ولكـــــن بهذا دانت العُرب والعجـــــمُ

فهذا رد على المعتزلة ومن ذهب مذهبهم ممن يزعمون أن الله لا يقدر الأشـــياء قبـــل كونها ، ولا عَلِم الأمور قبل وقوعها ، فوظفوا العقل باتجاه آخر مخالف الغاية التي خلق لها . وممن عُرِف بالتفلسف والاشتغال بعلم الكلام ، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحلى (ت ٦٤٥ هـــ). فقد دعا الإنسان إلى أن ينظر إلى الأمور بمنظور العقل في مجموعة أبيات يقول فيها :[2]

المـــــرءُ يعلَـــــمُ بالـــــضرورةِ نفـــــسَهُ والثابـــــتُ الموجـــــودُ حـــــيٌّ واحـــــدُ

---

[1] ابن السيد : شرح المختار ، ٢٦٠

[2] ابن الابار : الحلة السيراء ، ٢ / ٣١٦

والخلـــــقُ بـــــينَ حقيقـــــةٍ ومقـــــدَّرٍ تقـــضي عليـــه بالافتقـــار شـــواهدُ

فانظـــــر بعقلـــــك أن بدا لك شـــــرح ذا ك فأنـــــت خَبْرٌ مستقيـــــمٌ راشـــــدُ

ويبدو أن كثيراً من آراء المعرّي الفلسفية قد تسللت إلى كتابات ابن السيّد وشـروحه ، تفصح عن مدى تأثره بمنهج المعرّي وفكره . من ذلك اتباعه لمنهج الوسطية فـي معالجـة مسألة حريّة الإرداة ، فقال إنه " ليس هنالك إجبار مطلق ولا تفويض مطلق ، إنّما هو أمر بين أمرين "[٣] مستفيدا من منهج المعرّي الذي يظهر في قوله : [٤]

لا تكـــن مجبـــراً ولا قدريـــــــــاً واجتهـــد فـي توســـّط بين بينـــا

كما يتفق ابن السيِّد مع المعرّي بنظرته الفلسفية إلى الزمن ، حيث يـرى المعـرّي أن الزمن متغير وأن الأوقات الماضي و الحاضر و المستقبل لا فواصل بينها ، إذ يقول : [١]

إذا مـــرّت الأوقـــات حُرّك ساكـــنٌ وسُكِّـــن في أضعافهـــا المتحـــرّك

ويرى ابن السيِّد أن الزمن " بمنزلة الماء الذي يسيل بين يديك ، فإن الجزء الذي يقابلك منه لا يثبت حتى يجيء الجزء الذي يتلوه "[٢] فالزمان عنده سيال متحرك يشبه الماء المتدفق الذي يسيل بين أيدينا متتابع الأجزاء دون انقطاع .

لقد كان من المتوقع ،نظراً للحريّة التي عمّت أجزاءً من الأندلس ، في بعض العـصور لا سيّما عصر الموحدين ، وإطلاق العنان للاشتغال بالفلسفة ، ووجود فلاسفة أعلام كابن باجة وابن رشد وابن طفيل ، أن نجد إلى جانب التيار الفلسفي النشط في الأندلس شعراً فلسفيا نشطاً

---

[٣] ابن السيد : التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في آرائهم ، تحقيق أحمد حسين كحيل ، دار الاعتصام ، ١٩٧٨ م ، ص ١٤٣ ، وانظر الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد ، اعداد حسن عبد الرحمن علقم ، اشراف سحبان خليفات ، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٦ ، ص ١٠١ .

[٤] ابن السيد ، الانتصار ، ص ٧٥

[١] ابن السيد : شرح المختار ، ص ١٧٨

[٢] حسن عبد الرحمن : الجوانب الفلسفية ، ص ١٣٠

جميع الحقوق محفوظة
جامعة الاردن
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مسايراً له ، ومتأثراً به من حيث العمق والنضج في المضمون . غير أن هذ لا ينفي وجود تيار شعري فلسفي كما ذكر محمد مجيد السعيد في قوله : " إنّ الشعر الخاضع للفكرة الفلسفية المحضة الباحثة عن الخير والحق والمتوصلة عبر معاناة فكرية إلى موقف محدد من الحيـــاة والكون قليل جداً وهو لقلته لا يمثل تياراً شعريا ولا يعطي بعداً فكريا كالذي أحدثه أبو العلاء المعرّي في المشرق " [٣].

فهذا حكم يحتاج إلى تروٍّ لا سيّما أن الأندلس عرفت عدداً من الفلاسفة الشعراء أمثـــال ابن حزم وابن عربي وغيرهم ممن بدت معالم الفلسفة واضحة في أشعارهم ، إلا أنه " كـــان من المنتظر أن تعطف طريقة المعرّي الفلسفية في الشعر مسيرة الشعر الأندلسي الفكرية "[١]، نظراً لوصول شعر المعرّي كاملاً إلى الأندلس واطلاع الشعراء على ما جاء فيه وإعجـــابهم به.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمكن إرجاع قلة الإقبال على الشعر الفلسفي وعدم وضوح معالم تياره إلـــى عوامـــل كثيرة [٢] من أهمها : اجتناب الشعراء طريق التفلسف لما فيه من مزالق وعثـــرات ، فهـــي طريق غير مأمونة سرعان ما ينقلب فيها السلطان على الفلاسفة ، بالإضافة إلى رفض ونفور كثير من الأدباء والنقّاد [٣] تضمين الأشعار معانيَ وأفكاراً فلسفية ، وثمة أمر لا يقل أهمية

---

[٣] محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٩١ .

[١] مصطفى عليان : تيارات النقد ، ص٣٥

[٢] انظر محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٩٠ – ٢٩١

[٣] انظر ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٣٠٥ ، ولابن جبير أبيات يتهم فيها الفلاسفة بالضلال والخروج عن الدين فيقول :

خَيلـــــت بأفعالهـــــا الـــــشنيعة طائفـــــةٌ عـــــن هُـــــدَى الـــــشَريعه
لَيْسَـــتْ تـــرى فاعـــلاً حكيمـــــا يفعـــلُ شيئـــا ســـــوى الطبيعـــــة

وله أيضا :

عمّا سبق وهو طبيعة الإنسان الأندلسي الميالة إلى البساطة والسهولة في كل شيء والابتعاد عن التعقيد والابهام والتفلسف.

الرثاء – الاعتبار بالماضي :

يعد فن الرثاء من الفنون الشعرية التقليدية التي دأب الشعراء على النظم فيها ، والسير على الطريقة التقليدية للعرب من تعداد صفات الميت ، وذكر مناقبه ، والبكاء عليه . غير أن كثيراً من الشعراء ابتعدوا عن مثل هذه المقدمات المباشرة ، واستهلوا مقدمات مراثيهم بالنظرات التأملية التي تقف على حقيقة الحياة والموت قبل الولوج إلى عالم الميت .

وعلى الرغم من دخول شيءٍ من الفلسفة في بعض مراثي الشعراء ، إلاّ أنّ المعرّي يعد بحق فارس هذا المضمار ؛ بما تركه من قصائد مشهورة حظيت بإعجاب عدد من شعراء الأندلس ، فعمدوا إلى النسج على منوالها وتمثل طريقته في نظمها من ذلك تأثرهم بمقدمة داليته التي اتخذ منها طريقا لا ليرثي الميت أو يرثي قومه وقبيلته فقط ، بل ليرثي كذلك البشرية جمعاء والكون كله .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

فعبر اثنين وعشرين بيتا يظهر المعرّي في مقدّمته بثياب الفيلسوف الحكيم والمتأمل الواعظ ، معتبراً من الماضي ، موقنا بحقيقة الموت وانهزام الحياة أمامه ، وهوان الدنيا أمام الآخرة، فلننظرإلى قوله: (١)

صَاحِ هَذي قبُورُنا تَمْلأُ الرَّحـ ـبَ فأيْنَ القُبُورُ من عَهْد عادِ
خفف الوطء ما أظن أديمَ الـ أرض إلاّ منْ هذه الأجْسَادِ

قد ظَهَرَتْ في عصرنا فرقةٌ ظَهورها شُؤمٌ على العصرِ
لا تقتدى في الدين إلا بما سَنَّ ابن سينا وأبو نَصْرِ

المقري : النفح ، ٣٨٥/٢ .

(١) ابن السيد : شروح السقط ، ٣/ ٩٧٤ – ٩٧٦

وقبـــــيحٌ بنـــــا وإن قَـــــدُمَ العهـــــــ ـــــــدُ هَـــوَانُ الآبـــاء والأجْـــدَادِ

ســـرْ إن اســـطعت فـــي الهـــواء رُويـــداً لا اخْتِيَـــالاً علـــى رُفَـــات العبـــادِ

رُبَّ لَحْـــدٍ قـــد صـــار لَحْـــداً مِـــرَاراً ضـــاحكٍ مـــن تـــزاحُمِ الأضـــدادِ

ودفيـــنٍ علـــى بقايـــا دفيـــــــنٍ فـــي طويـــل الأَزْمـــَان والآبـــادِ

فالمعرّي في أبياته هذه يستدعي الماضي ليصبح ماثلاً أمامه ، موجها خطابه إلى العقل مناط التكليف عند الإنسان ، داعيا البشر إلى التفكر في مصيرهم على هذه الأرض ، آخذين العظة والعبرة ممن سبقهم من الأقوام والأمم ، ولينظروا إلى هذه القبور التي تتابع عليها الموتى ، حتى أصبح اللحدُ يجمع الأضداد معاً ، الأغنياء والفقراء ، السادة والعبيد ، واختلط رُفات الأجساد بتراب الأرض ، فما عاد يميز بينهما لكثرة الموتى ؛ فالموت حقيقة تدركها العقول المفكرة .

لقد وجدت هذه القصيدة بمقدمتها الطويلة ونظراتها التأملية للحياة والموت باستحـضار الماضي المتمثل بالأقوام البائدة ، وبيان أثر الزمن في إفنائها ، طريقها إلى الأندلس . ولعـل ابن عبدون من أكثر شعراء الأندلس تأثراً بطريقة المعرّي حيث صدّر مرثياته بمقدمة طويلة تتضمن ما أباده الحدثان من ملوك الزمان . ومن مرثياته التي تتجلى فيها هذه الطريقة قصيدته التي قالها في رثاء بني الأفطس – المتوكل المظفري وولديه الفضل والعباس – وهي قصيدة طويلة يبدؤها بالحديث عن الدهر وغدره ، داعيا الإنسان إلى أخذ الحذر منه ، وأن لا يغتـر بدنياه وما تقدمه من سرور ؛ لأن سرورها غير دائم فسرعانَ ما ينقلب حزناً وألماً . يقول :[١]

الـــدّهرُ يفجـــعُ بعـــدَ العـــينِ بـــالأثر فما البكـــاءُ علـــى الأشـــباحِ والـــصُّوَرِ

فالـــدّهرُ حـــربٌ وإن أبـــدى مـــسالمةً والسُّودُ والبيضُ مثلُ البـيضِ والـسُّمر

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٧٢١/٢/٢

فلا تغـــرَّنْكَ مِنْ دُنيـــاك نومـــــــتُها فمـــا سجـــيّةٌ عينيها ســوى السهرِ

وبعد سبعة أبيات من الوعظ والنصح التي لا تخلو من الحكمة ينتقل إلى واقــع الحيــاة مستمداً منها الأدلة التي تبين غدر الدّهر ، فيتحدث عن الدول العظيمة التي دُمِرت كــالفرس واليونان ، وعن ملوكها الذين أبادهم الدّهر ، وعن الأقوام العربية البائدة طسم وعاد ، ويذكر ما حلّ بالقبائل العربية من يمن ومصر وسبأ وذبيان وعبس ، ويعرج على أبطــال الجاهليــة فيذكر المهلهل وكليب وامرأ القيس ... ، ولا ينسى أبطال الإسلام جعفر وحمزة ، والخلفــاء عمر و عثمان وعلي ، فيتوقف عند استشهاد كل واحد منهم ، كما يذكر مقتل الحسن والحسين والزبير ... ، ويأتي على بني أمية فيتوقف عند الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك بن مروان ... ، ومن بني العباس ، يتحدث عن السفاح والرشيد والأمين والمأمون ... ، عارضا لحــال الدهر معهم . ومنها قوله :[٢]

كَــمْ دولــةٍ وليــتْ بالنّــصرِ خــدمتها لم تُبْقِ منها وَسَلْ ذكــراك مــن خبــرِ

هــوت بــدارا وفلّــتْ غَــرْبَ قائِلِــهِ وكأن عضباً على الأمــلاك ذا أثــرِ[١]

واسترجعــتْ من بنــي ساســانَ[٢] مــا وَهَبَتْ ولم تدعْ لبنــــــي يونــــانَ مــن أثـــر

---

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٢/ ٧٢١

[١] دارا : هو بن بهمن بن اسفنديار ، وهو آخر ملك من الفرس الأولى ، العضب : السيف ، فلّت : كسرت

[٢] ساسان : الفرس الأواخر وأبوهم الذي ينتسبون إليه ساسان الأصفر وهو ازدشير بن بابك بــن زردا بــن ساسان الأكبر

[٣] أخت طسم : جديس وطسم هو ابن لاود بن أرم بن سام بن نوح ، وجديس : هو ابن عامر أرم بن سام بن نوح

واتبعـــت أختهـــا طـــسما[٣] وعـــــاد عـــــاد وجـــُرهم منهـــا نـــاقص

عـــلى المـــــرر

يعمد ابن عبدون في قصيدته هذه إلى زجّ أكبر عدد ممكن من الأعلام ، وإلى الوقوف على الكثير من المشاهد التاريخية وما جرى فيها من أحداث كبرى ؛ بقصد أخذ العبرة ، فهو " يسوق كلّ هذه العبر في وقار الحكيم وأمانة المؤرخ ، ورشاقة الشاعر ، ولمسة الفنان ، إنـــه يقدم لونا من غدر الأيام في نطاق الأمثال التي يسوقها " [٤] عبر أربعين بيتاً .

ويرى ابن بسام أن هذه الطريقة (التعرض إلى أفول الدول ومصارع الأبطـــال) التـــي جرى عليها ابن عبدون قد تقدمه إليها جماعة من الشعراء من بينهم المعرّي والذي يظهر في قوله[٥] :

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أصابَ الأخفَـشين بـصيرُ خطـبٍ أعـاد الأعْـشيينِ بـلا حِـوارِ[٦]

وَغِيـلَ المـازيُّ[٧] مـن اللَّيـالي بزَنْـدٍ مـن خطـوبِ الـدّهر واري

وللجَرْمـيّ مـا اجتَرَمَـتْ يـداهُ وحَـسْبُكَ مـنْ فـلاحٍ أو بَـوارِ[١]

وَأمّـا فَرْخُـه[٢] فـبلا جَنـاحٍ يطيـرُ بحَمْـلِ أقـلامٍ جـواري

ومـا نفـعَ المـبَّردَ مـن وصـادتْ ثعـلباً نُـوَبٌ

---

[٤] مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين – بيـروت ، ط٣ ، ١٩٧٥، ص٥٤٢

[٥] المعرّي : اللزوميات ، ١ / ٤٣٠ ، ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٢٦

[٦] الأخفشان : من علماء النحو ، الأعشيانَ : أعشى قيس وأعشى همذان من الشعراء

[٧] المازني : من علماء اللغة

[١] البوار : الكساد ، الجرمي : من الأعلام وأئمة النحو

[٢] الفرخ : اسم كتاب الجرمي ، ويسمى فرخ سيبويه

حمـــيمٍ ضـــــَوار

إذ يقول في موضع آخر[٣] :

أصحابُ لَيْكَـــةَ[٤] أُهلِكـــوا بظَهيـــرةٍ حَمِيَتْ وعـــادٌ بالرّيـــاح الـــصّرصر

كِســـــرَى أصـــابَ الكَـــسرُ جـــابرَ والقصـــــرُ كرَّ علـــى تطـــــاوُلِ

مُلكه قيصَر

ويبدو التشابه جليا بين هذه الأبيات وأبيات ابن عبدون غير أن المعرّي بدا أكثر إيجازاً في عرضه للأحداث والدول والأعلام من ابن عبدون .

وعلى الرغم من شرح ابن بدرون[٥] لهذه القصيدة نظراً لكثـــرة الأحـــداث التاريخيـــة الوارد ة فيها وصعوبة فهم بعض ألفاظها ، إلا أنه لم يقلل من قيمتها ورصيدها عنـــد النقـــاد والشعراء والمؤرخين ، فممن شهد ببراعة ابن عبدون وإبداعه في نظم قـــصيدته هـــذه مـــن المؤرخين عبد الواحد المراكشي بقوله : " وفيهم (بني الأفطس) يقول الوزير الكاتب الأبرع ذو الوزارتين أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، من أهل مدينة يابرة ، قصيدته الغراء ، لا بل عقيلته العذراء ، التي أزرت على الشعر ، وزاده على السحر ، وفعلت بالألباب فعل الخمور ، فجلّت عن أن تسامى ، وأبقت من أن تضاهى ، فقلّ لها النظير ، وكثر إليها المشير ، وتساوى في تفضيلها وتقديمها باقل وجرير ، فالله هي من عقيلة خدر قربت بسهولتها حتى أطمعت ، و بَعُدت حتى عَزّت فامتنعت "[١] .

---

[٣] المعرّي : اللزوميات ١ / ٤٣١ . ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٢٦

[٤] اصحاب ليكة : قوم النبي شعيب

[٥] ابن بدرون : شرح قصيدة ابن عبدون ، مطبة السعلدة ، ط١ ، ١٣٤٠هـ.

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٨

ويبدو أن هذا النمط من الرثاء قد لقي رسوخا عند ابن عبدون فتمثله في قصيدة أخرى يرثي فيها الوزير الفقيه أبا مروان بن سرّاج ، فيقول :[٢]

مـــا مِنْـــكَ يـــا مـــوتُ لا واقٍ ولا فـــادي ... الحكمُ حكمكَ في القاري وفـــي البـــادي

يا نائمَ الفكْـــرِ فـــي ليـــلِ الـــشّباب أفِـــقْ ... فصبحُ شيبكَ فـــي أُفـــقِ النّهـــى بـــادي

سلني عـــن الـــدَّهر تـــسأل غيـــرَ إمّعـــةٍ ... فـــألقِ ســـمعك واســـتجمعْ لإيـــرادي

نَعـــم هـــو الـــدَّهرُ مـــا أبقَـــتْ غوائلُـــه ... علـــى جَـــديسٍ ولا طـــسمٍ ولا عـــادِ

ألقَـــتْ عـــصاها بنـــادي مـــأرب ورمَـــتْ ... بـــآلِ مَامَـــةَ مـــن بيـــضاء سِـــنْداد

وأســـــلَمَتْ للمنايـــــا آلَ مـــــسلَمةٍ ... وعبّـــــدَتْ للرُّزايـــــا آل عَبَّـــــاد

ما لليـــــالي أقـــــال اللهُ عثـــــرتنا ... منهـــــا تصرعُ أضـــــداداً بأضـــداد

لقد شملت مقدمته هذه الكثير من المواعظ والحكم التي لا تخلو من النصح ، يظهر فيها ابن عبدون حكيما مجربا وواعظا متأملاً ، مفكراً بحال الدنيا ومدركا لحقيقة الموت ، عارفا بغدر الدّهر عارضا لمسألة الحياة والموت من منظوره التأملي الوعظي ، لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الميت وذكر صفاته ، مبينا عظم الخسارة التي لحقت بفقدانه ، لتبحره في العلوم المختلفة .

ويعلق ابن بسام على هذه الأبيات مبديا رأيه فيها ، فيقول : " وهذه القصيدةُ طويلةٌ سلكَ فيها أبو محمد طريقتَه في الرّثاء ، إلى الإشارة والإيماء ، بمن أباده الحِدثان من ملوك الزَّمان ، وقد نسق ذكرهم على توالي أزمانهم في قصيدة اندرجَ له كثيرٌ من البـــديع فيهـــا (يقـــصد الرائية) ... ، واقتفى أبو محمدٍ أثرَ فحولِ القدماء من ضربهم الأمثالَ في التّأبين والرّثـــاء ، بالمُلوكِ الأعزَّة وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبالنّسور

---

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٨١٦

والعقبان ، والحيّاتِ في طولِ الأعمار ، وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجودٌ ، فأما المحدثونَ منهم إلى غير ذلك أميَل ، وربّما جروا أيضا على السننِ الأوّل "[١] .

ويؤكد إحسان عباس ما ذهب إليه ابن بسام من أن هذه الطريقة قد جرى عليها أبو العلاء المعرّي في شعره ونثره حين كان يرثي أو يعزي ومثال ذلك رسالته التي بعث بها إلى أبي علي بن أبي الرجال يعزيه في ولده أبي الأزهر[٢] .

ويبدو من خلال الاطلاع على نثر أبي العلاء أنه كان مولعاً بذكر الأخبار والأعلام والأحداث في رسائله وقد جرى على هذه الطريقة في أغلب رسائله من ذلك قوله في كتاب الفصول والغايات " كَمْ في نفسك من اعتبار ، ألا تسمع قديمة الأخبار ، أين ولد يَعْرُب ونزار ، وما بقي لهم من إصار[٣] " . ويقول في موضع آخر : " أين صَاحِبةُ جَذِيمَة ومُنْزِلُها[٤] ،وسَفِتُ أرْضها ونَزِلُها[٥] ، لا غزالُها سَلِمَ ولا مُغْزِلُها[٦] ، أيْنَ مُوتحُ العَطيّةِ ومُجْزِلُها[٧] ، أكَلَتْهُمْ الأيام أكل الثَّمرَات "[٨] . وقوله في موضع آخر :

" لا عُتَيْبَةُ بَقِي ولا قُتَيْبَةُ[١] كم فتىً مِنْ هُذَيْلٍ ، يَضْرِبُ بالذَّيْلِ كان العُذَيْقَ وَ الجُذَيْلَ ، غُودِرَ بِرَمْلٍ أو رُمَيْلٍ ، ما خلَّفُهُ النَّضْرُ بنْ شُمَيْلٍ ، خَيْرٌ مِنْ خَلَفِ أبي مُلَيْلٍ[٢] ،والفَرْخُ أبي

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٨١٨

[٢] إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٩٥

[٣] المعرّي : الفصول والغايات ، ضبطه وفسر غريبه ، محمود حسن زناتي ، دار المعارف – تونس ، ص١

[٤] صاحبة جَذيمة : الزبّاء ، ومُنْزِلُها : عمرو بن عدي وهو ابن أخت جذيمة .الفصول والغايات ص٩٦

[٥] السَّفِتُ : القليل البركة ، والنّزِلُ : الكثير النُّزّل وهو البركة .الفصول والغايات ص٩٦

[٦] والغزال : ولد الظبية ، المُغزل : الظبية، الفصول والغايات ص٩٦

[٧] والموتحُ : من قولهم أَوْتحَ العَطيّة إذا أقلّها. الفصول والغايات ص٩٦

[٨] المعرّي : الفصول والغايات ، ص٩٦

[١] عُتيبة : ابن الحارث بن شهاب ، قتيبة : ابن مسلم أحد أمراء المسلمين بالعراق . الفصول والغايات ص٣٠٨

العُدَيْلِ ، عَيْلاً عَيْلاً [٣] ، قد وَرِث كعْبٌ جُعَيْلاً ، وتَرَكَ عتْرٌ قيْلاً [٤] ، وسار في تَوْبَــة رِثَــاء لَيْلَى[٥] ، ثم أضْحَوْا بالتُّرْب هَيْلا ، لم يَصِيدوا جُميّلاً [٦] ، طَوَيْتُ المنازِلَ عن العراق كــأنني في الطّاعَةِ وأظنُّ ذَاك بَعْضَ المعْصِية ، وأحْسِبُني لو وُفقْتُ لا نقلبْتُ عَائِداً على أدراج " [٧] .

ولئن كان هذا المنهج في ضرب الأمثال وذكر الأحداث مألوفا في الرثاء لــدى فحــول القدماء كما يذكر ابن بسام إلا أنه أكثر وضوحا وخصوصية عند المعرّي وابن عبــدون مــن بعده ، حيث ترك (المنهج) أثراً في نفوس عدد من شعراء الأندلس ، فاتخذوه نهجا وســبيلا ساروا عليه في مراثيهم .

وقد ذكر ابن بسام ممن سلك هذه السبيل من أهل عصره الشاعر الكفيف أبــو جعفــر الأعمى التُطَيْلي[٨] في قصيدته التي رثى بها ابن الياقي مشيراً إلى التشابه بين مرثيــة ابــن عبدون والأعمى التطيلي وأبيات المعرّي السابقة . حيث مهد التُطَيْلي لموضوعه بمقدمة شغلت من القصيدة ثمانية وعشرين بيتا ، شملت الحديث عن نوائب الدّهر ، والعبر من زوال الأمــم وانهيار الحضارات . فيقول فيها : [١]

---

[٢] النضر بن شميل : كان من أهل العلم وله كتاب في غريب الحديث . أبو مليل : جماد بــن الربيــع أحــد فرسان بني يربوع بن حنظلة ، الفصول والغايات ص٣٠٨

[٣] والفرخُ أبو العديل : الشاعر ، وعيلاً أي فقراً ، الفصول والغايات ص ٣٠٨

[٤] كعب بن جعيل : أحد شعراء بني تغلب ، قَيْل بن عنَر : أحد وفد عاد . الفصول والغايات ، ص٣٠٨

[٥] ليلى : هي ليلى الأخيلية

[٦] الجُميل : ضرب من الطير ، أي أنهم لم يصنعوا شيئاً .الفصول والغايات ، ص٣٠٩

[٧] المعرّي : الفصول والغايات ، ص٣٠٨

[٨] الأعمى التُطَيْلي : هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي ، قال عنه ابن بسام له أدب بــارع ، وفهم لا يجارى وذهن لا يبارى ونظم كالسحر الحلال ، ونثر كالماء الزلال ، توفي سنة ٥٢٥هــ ، أنظــر ترجمته القلائد ٤٠٠٣ / ٨٥٠ ، الذخيرة ٢ / ٢ / ٧٢٨ ، البغية ١ / ٢٣٤ ، المغرب ٢ / ٤٥١ ، نكــت الهميان ص١١٠

[١] ابن خاقان : القلائد ، ٤ / ٨٥٣ – ١٨٥ ، ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٢٤ – ٧٢٦

خُــذا حــدِّ ثــاني عَــن فُــلٍ وَفُــلان ... لَعَلِّــي أرى بــاقٍ علــى الحَــدَثانِ

وعــن دُوَلٍ جُسْن الدِّيارَ ، وأهْلَــهَا ... فَنِــينَ ، وصَرْفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِفــانِ

ومنها :

وأعْلَنَ صَرْفُ الــدَّهْرِ لا بْنَــيْ نُــوَيْرَةٍ[٢] ... بيَــوْمٍ تَنَــاءٍ غــالَ كُــلَّ تَــدَانِ

وكَانَــا كَنَــدْمانَيْ جَذيمَــةَ[٣] حِقْبَــةً ... مِــنَ الــدّهْرِ لَــوْ لَــمْ تَنْــصَرِمْ لأوانِ

فَهــانَ دمٌ بَــيْنَ الــدِّكادِكِ[٤] واللِّــوى ... ومــا كَــانَ فــي أَمْثَالِهَــا بِمُهَــان

وَضَاعتْ دُمُــوعٌ بــاتَ يَبْعَثُهــا الأسَــى ... يُهَيّجُــهُ قَبْــرٌ بكُــلِّ مَكَــانِ

ومَــالَ علــى عَــبْسٍ وذبْيَــانَ مَيْلَــةً[٥] ... فَــأوْدَى بِمَجْنِــيٍّ عَلَيْــهِ وَجَــان

فَعوُجَــا علــى جَفْــرِ الهَبَــاءَةِ فاعجبــا ... لِــضَيْعَةِ أَعْــلاقٍ هُنَــاك ثَمــانِ[٦]

دِمَــاءٌ جَــرَتْ منهــا الــتِّلاعُ بملئهــا ... ولا ذَحْــلَ إلاَّ أن جَــرَى فَرَســان

وَأَنْحَى عَلَــى ابْنَــيْ وائــلٍ فَتَهاصَــرا[٧] ... غُــصُونَ الــرَّدَى مــن كَــزَّةٍ ولِــدَان

تَعــاطَى كُلَيْــبٌ فاسْــتَمَرَّ بطعْنَــةٍ ... أقامَــتْ لهــا الأبْطــالُ سُــوقَ طِعَــان

وبَــاتَ عَدِيٌّ بالذِّنائبِ يَصْطَــلى[١] ... بنــارِ وَغَىً لَيْــسَتْ بذَاتِ دُخــَان

---

[٢] ابنا نويرة : مالك وأخوه متمم ، فإن متمما ظل يرثي مالكا مُدّة حياته .

[٣] جذيمة هو جذيمة بن الأبرش ملك الحيرة .

[٤] الدكادك : اسم موضع

[٥] إشارة إلى ما دار بينهما من حروب في داحس والغبراء

[٦] جفر الهباءة : مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من بني فزارة ، الأعلاق الثماني : صبية عبسيّون قتلهم حذيفة ابن بدر في اليعمرية قبل يوم جفر الهباءة .الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٢٥

[٧] يشير إلى حرب البسوس التي هاجت حربها بين ابني وائل بكر وتغلب

[١] عَدِي : هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، والذنائب : اسم موضع ، الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٢٦

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتجلى تأثر التطيلي في قصيدته هذه بالمعرّي وابن عبدون من بعده بالمقدمة الطويلة و بسرده الكثير من الأحداث التاريخية ، ودعوة الإنسان إلى التفكر والتدبر بهذه الأحداث من زوال الأمم وانهيار الحضارات لأخذ العبرة والعظة ، مخاطبا إياه عن طريق العقل إلاّ أن المعرّي بدا أكثر إيجازاً بسرده للأحداث وذكره للأعلام من التُطَيْلي . وعلى الرغم من التشابه الوارد بين قصيدتي التطيلي وابن عبدون إلا أنهما تفترقان في أمور تبدو جلية من خلال قراءة القصيدتين ، من ذلك إسهاب ابن عبدون في تناوله للأحداث الفارسية والعصور الإسلامية من عصر الخلفاء إلى نهاية عصر بني العباس ، وإيجازه في الحديث عن أيام العرب في الجاهلية ، على العكس من التطيلي ، فقد حفلت قصيدته بذكر كثير من أيام العرب في الجاهلية وإطالة الوقوف عندها ، بينما غض الطرف عن الأحداث التاريخية الفارسية والإسلامية .

كما يتضح الاختلاف بينهما في تخصيص ابن عبدون للحدث الواحد بيتا أو بيتين ، بينما وقف التُطَيْلي عند الحادثة الواحدة وقفة طويلة تتجاوز البيتين لتصل – أحيانا – إلى ستة أبيات ، كحديثه عن حرب البسوس ومقتل كليب ، وحديثه عن حرب داحس والغبراء . وعلى الرغم " مما منحه هذا التفصيل من حرية وانطلاق يقضيان على الرتابة التي يسببها استهلال جل أبيات المجموعة التاريخية في البسّامة بفعل ماضٍ لفاعل واحد هو الليالي : (هَوَتْ ، واسترجعت ، واتبعت ، وما أقال ، ومزقت ، وانفذت ...) "[٢]إلا أن الرتابة تبدو مقصودة ، فقد زجَّ ابن عبدون عدداً كبيراً من الأعلام والأحداث في قصيدته آخذا بعين الاعتبار التسلسل الزمني لها ، ليؤكد حتمية الموت ، وأن الدّهر غدار ، فكم عمل على زوال أمم وحضارات ، فكان بذلك أكثر اقناعاً .

---

[٢] عبد الحميد الهرامة : الأعمى التطيلي ، حياته وأدبه ، المؤسسة العامة للنشر والتوزيع – طرابلس ، ط ١ ، ١٩٨٣ . ص ٢٢١

ومن هنا يلحظ أن المعرّي وابن عبدون والأعمى التطيلي يلتقون في كثير من نظراتهم التأملية في الحياة والموت ، فالمرثية عند أصحاب هذا الاتجاه من الرثاء ومن جاراهم من شعراء الأندلس تنظم " من منظور عقلي ، وكأنها صيغت للتخفيف من المصاب على قلوب المصابين بالعظة والعبرة ، وذلك بضرب الأمثال عمن أبادهم الدّهر وأفناهم في الغابر من الأمم والملوك والممالك والحيوانات المعمِّرة " [١]

وقد أشار الهرّامة إلى أن هذه البسطة التي يقدمها المعرّي والتُطَيْلي قبل الدخول في الرثاء قد جمعت نظرتهما في أمور عديدة ." ففي كثير من النظرات التي جاء فيها التطيلي حول الموت والحياة الدنيا تتلاقى مع نظرة المعرّي في هذا الصدد ، فكلاهما يقف أمام حقيقة الموت في إزدراء للحياة الدنيا وشهواتها ويحذّر من صروف الدهر ، ويجمعهما في ذلك التشاؤم . وتتشابه في نظرهما المتناقضات ؛ لأنهما أدركا أنها أمور مؤقتة تستوي في حالة العدم والفناء " [٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وممن جارى المعرّي في اتجاهه الأديب النحوي الشاعر ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي شارح شعر المعرّي . إذ يقول في رثاء الوزير أبي عبد الملك بن عبد العزيز :[٣]

فؤادِي قريحٌ قد جفاه اصْطِبارُهُ ودمعِي أبتْ إلاّ انسكابا غِزارُهُ
يُسَرُّ الفَتَى بالعيش وهو مُبيدُهُ ويَغْتَرُّ بالدُّنيا وما هي داره
وفي عِبَرِ الأيام للمرءِ واعظ إذا صحَّ فيها فكرهُ واعتبارُهُ
فلا تحسِبَنْ يا غافلُ الدَّهْرَ صامتاً فأفْصحُ شيءٍ ليلُهُ ونهاره

---

[١] مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، ١٩٨ – ١٩٩

[٢] عبد الحميد الهرامة : الأعمى التطيلي ، ص٢١٦

[٣] المقري : أزهار الرياض ، ٣ / ١٢٥ – ١٢٦

أصـــــخ لمناجـــــاةِ الزمـــــان فإنّـــــهُ سيغنيك عــن جهــر المقــال سِــرارُه

أدار على المــاضِين كأســاً فكلُّهـــــــمْ أُبيحـــــت معـــــانيه وأقوَتْ دِيـــــاره

تحمل هذه المقدمة كثيراً من الوعظ ، إذ تتشابه مع ما سبقها من قصائد من حيث توجيه الخطاب للعقل ودعوة الإنسان إلى النظر والتأمل بحال هذه الدنيا الزائلة ، وأخذ العبرة والعظة مما أصاب الأقوام والأمم السابقة من غدر الدهر بهم . وله من أخرى يُعَزِّي ذا الوزارتين أبا عيسى بن

لُبُّون في أخيه : (١)

للمـــــرءِ فـــــي أيامـــــه عِبَـــــرُ والـــصَّقْوُ يَحْـــدُث بعـــدَه كَـــدَرُ

خَـــرَسُ الزمـــانِ لمـــن تأمَّلَـــهُ نُطْـــقٌ وخُبْـــر صـــروفه خَبَـــرُ

نـــــادَى فأسمـــــعَ لوْ دَعـــــتْ أُذُنٌ وأَرَى العـــــواقبَ لَوْ رأى بصـــــر

ومنها :

لـــولا عمـــاكم عـــن هُـــدَى نُـــذُرى ومـــواعظي مـــا جـــاءتِ النُّـــذُر

هذي مصـــَارعُ مَعْشـــرٍ هَلَـــــــكوا وَعَظْتـــكم بالصمـــت فاعتبـــروا

يتبين من هذه الأبيات مدى إصرار ابن السِّيد على وصف الدهر بالغدر ، داعيا إلى أخذ الحيطة والحذر منه ، وإلى أخذ العبرة مما حلّ بالأمم السابقة . ومما يلحظ أيضا أن ابن السِّيد في مرثيتيه ، لم يعمد إلى سرد الأعلام والأحداث كما فعل من سبقه من الشعراء ، بـل سـار فـي اتجاههم من حيث المقدمة الوعظية والتوقف عنـد مـسألة الحيـاة والمـوت ، ومخاطبـة العقـل ،

---

(١) المقري : أزهار الرياض ، ٣ / ١٤٦ – ١٤٧ ، أبو عيسى ابن لُبُّون أحد وزراء ابن ذي النون المعتزين في دولته ، المعدّين لبأسه وصولته ، ولكنه ثار ، وخاض الهول المثار ، أنظـر الـذخيرة ٣ / ١ / ١٠٤، الحلة ٢ / ١٦٧ ، المغرب ٢ / ٣٧٦ ، النفح ١ / ٦٧٢

والاعتبار بالماضي . وقد اتبع ابن زيدون هذا المنهج في رائيته التي رثى فيها المعتضد بن عباد.

إذ يقول :[٢]

هو الدّهرُ فاصبر للذي أحدث الدّهر ... فمن شيم الأبرارِ في مثلها الصبرُ

ستصبرُ صبرَ اليأسِ ، أوْ صبرِ حسبةٍ ... فلا تؤثر الوجه الذي معه الوِزرُ

حِذاركَ من أن يُعقبَ الرزءُ فتةً ... يضيق لها – عن مثل إيمانك – العذر

ومنها :

حياةُ الورى نهْجٌ إلى الموت مَهيعٌ ... لهم فيه إيضاعٌ كما يوضِعُ السفْرُ

فيا هاديَ المنهاج جُرْتَ فإنما ... هو الفجرُ يَهديك الصراطَ أو البحرُ !

إذا الموتُ أضحى قصرَ كلِّ معمَّرٍ ... فإن سواءً طال أو قصر العمرُ

فمن المَطْلع يحدد ابن زيدون نظرته من مسألة الحياة والموت ، مبينا أن ما يصيب الإنسان من أحزان و آلام ، وما يحلُّ به من مصائب إنّما هي بفعل الدّهر ؛ لذا يطلب الصبر عليه . وهو كالمعرّي وغيره ممن لحقه من الشعراء يقرُّ بحقيقة الموت ويرى عدم الفائدة من طول العمر ، فطوله وقصره سواء لأن الموت آتٍ لا محالة . وممن قدم مرثيته بمقدمة تأملية فلسفية ابن حمديس في رثائه لزوجته إذ يقول في مطلعها : [١]

أيُّ خطْبٍ عن قَوْسِهِ الموْتُ يرْمي ... وسهامٌ تصيبُ منه فتُصْمي

يسرعُ الحيّ في الحياة ببرءٍ ... ثم يُفْضِي إلى الممات بسقمِ

ومنها :

---

[٢] ابن زيدون : الديوان ، مع دراسة تفضيله عن الشاعر بقلم الاستاذ نديم مرعشلي ، الشركة اللبنانية للكتاب – بيروت ، ص ٣٢

[١] ابن حمديس : الديوان ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ص ٤٧٧ .

كـــم رأينـــا وكـــم ســـمعنا المنايـــا غيـــرَ أنّ الهـــوى يُـــصِمّ ويعمـــي

أيـــن مـــن عَمّـــرَ اليبـــابَ ، وجيـــلٌ لـــبسَ الـــدّهر مـــن جـــديس وطَـــسمِ

وملـــــــــوكٌ من حِمْيـــــرٍ ملأوا الأرْ ضَ ، وكانتْ من حكمهم تحتَ خَتَـــمْ

وجيـــــوشٌ يُظِـــــلّ غـــــابُ قَنَاهـــــا أُسُـــداً مـــن حُمـــاةِ عُـــرْبٍ وعجـــمِ

كَـــشّرَ الـــدّهر عـــن حِـــدادِ نُيـــوب أكَلَـــتهُمْ بكـــلّ قَـــضْمٍ وخَـــضْمِ

وَمُحُـــوَا مـــن صـــحيفةِ الـــدّهر طُـــرّاً مَحْـــوَ هُـــوجِ الريـــاح آيـــاتِ رَسْـــمِ

أفـــــــــلا يُتّقـــــَى تَغَيـــــّرُ حـــــالٍ فَيـــــدُ الـــــدّهرِ في بنـــــاءٍ وهـــــدمِ

ليسترسل بعد ذلك في الكلام عن فلسفة الحياة والموت من منظوره ، حتى إذا أوفى الغاية انتقل إلى رثاء زوجته على لسان ابنه . لقد أصبحت هذه الطريقة أو النمط في الرثاء اتجاها لدى شعراء الأندلس ، ومثالا يحتذيه اللاحق متأثرا بالسابق ، ويقابلنا في القرن السابع الهجري الشاعر أبو البقاء الرندي الذي يظهر تأثره بالمعرّي وابن عبدون من بعده جليا في قصيدته النونية التي رثى فيها الأندلس كلها . وهي من أشهر القصائد التي قيلت في رثاء الأندلس . ومطلعها :[١]

لكلِّ شـــــيءٍ إذا مـــــا تـــــم نُقْصـــــانُ فلا يُغـــــرّ بطـــيب العيـــش إنـــسانُ

فقد جعل الرّندي " قسماً منها (قصيدته) وهو الأول في شكوى الدهر وغدره وضـــرب المثل بالدول التي سقطت والملوك الذين قتلوا ، أو قاتلوا على الرغم من سطوتهم وسعة ملكهم " [٢]. وأخذ كثيراً من ابن عبدون ليصل بعد ذلك إلى المأساة بسقوط معظم المـــدن الأندلـــسية فيقول في قسمها الأول:

---

[١] المقري : أزهار الرياض ، ٢ / ٤٧ – ٤٨

[٢] مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، ص ٤٥٩

هـــي الأمـــورُ كمـــا شـــاهدتها دُوَلٌ ... مـــن سَـــرَّه زمـــن ســـاءته أزمـــان

وهـــذه الـــدارُ لا تُبْقِـــي علـــى أحـــد ... ولا يَـــدُوم علـــى حـــالٍ لهـــا شـــان

يُمَزِّق الدّهـــرُ حتما كـــل سَابـــغة ... إذا نَبَـــت مَشْرَفِيـــّات وخِرصان

ومنها

أيـــن الملُـــوك ذوو التّيجـــان مـــن يَمـــن ... وأيـــن مـــنهم أكاليـــل وتيجـــان

وأيـــن مـــا شـــاده شـــدّاد فـــي إرم ... وأين ما ساسه فـــي الفُـــرْس ساســـان

وأيـــن مـــا حـــازه قـــارُون مـــن ذهـــبٍ ... وأيـــن عـــادٌ وشـــدّاد وقحطـــان

أتـــى علـــى الكـــلِّ أمـــرٌ لا مَـــرَدَّ لـــه ... حتى قضَوْا فكـــأن القـــوم مـــا كـــانوا

وصار ما كـــان مـــن مُلْـــكٍ ومـــن مَلِـــك ... كما حكى عن خَيَـــال الطّيْـــف وَسْـــنان

دار الزمـــــانُ علـــــى دارا وقاتلَـــــهُ ... وأمَّ كِـــــسْرى فمـــــا آواه إيـــــوان

فَجـــائعُ الـــدّهر أنـــواعٌ منوَّعـــة ... وللزمـــان مَـــسرَّات وأحـــزان

وللحـــوادث سُلْـــــوْان يسهـــلّها ... وما لـــما حَلَّ بالإســـلام سُلْـــوْان

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد استهل الرُندي مَرْثَيَتُه بمقدمة تأملية تحمل طابع الحكمة و الموعظة كالتي وجدناها عند المعرّي من قبل ومن تأثر بطريقته من شعراء الأندلس فيما بعد ، فقد حاول فـــي هـــذه المقدمة " أن ينفذ إلى جوهر الأشياء ، واتكأ على عنصر المقابلة على عـــادة أضـــرابه مـــن شعراء الرثاء ، فقابل بين التمام والنقصان ، وبين البقاء والفناء ، وبين الـــسرور والحـــزن ، وأخذ يستحضر عِبَر الحياة فذكر أن كل شيء يؤول إلى الأفول والذبول ، وحذّر الإنسان من الاغترار بطيب العيش لأن دوام الحال من المحال "[1] .

---

[1] فوزي عيسى: الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، ٢٠٠٢، ص ١٩٠

وبعد هذه المقدمة يلتفت الرُّندي إلى أحداث التاريخ ، يستمد منها العبـر والمـواعظ ، فيشير كما أشار ابن عبدون والمعرّي من قبله إلى أخبار الأمم الـسابقة ، ويتعـرض لـذكر الملوك الغابرين ، وما كانوا فيه من جاه وسلطان ، غير أن حكم الله فيهم نفذ وجرى ، كمـا بين أن الموت حق وأن الدنيا ضئيلة جداً أمامه .وعلى الرغم من تشابه قصيدة الرُّندي بقصيدة ابن عبدون الرائية إلا أن الرُّندي قلل من إيراد الأحداث التاريخية التي استقى منهـا أدلتـه ، وأخذ منها ما يؤيد نظرته التأملية ، بالإضافة إلى أن قصيدة ابن عبدون جـاءت فـي رثـاء أشخاص بينما قصيدة الرُّندي جاءت في رثاء الأندلس كلها ، لذا جاءت قصيدة الرُّندي بجوها العام أكثر حزنا وألما ؛ لما تحمله من نغم باك يثير اللوعة ويبعث الأسـى ، ونغمـة اتعـاظ واعتبار تبكي أفول نجم الأندلس وانسحاق شموخها ، وغياب علومها ومنابرها وخلوها مـن الإسلام ، بالإضافة إلى ما تحمله من قوة السبك وجودة البناء الفني ، وصدق الإحساس [١] .

ويبدو أن التأمل في حقيقة الحياة وحتمية الموت أصبح – تقريبا – موضوعا أساسياً لا تكاد تخلو منه أي مرثية . فممن سار على هذا الطريق الفقيه الكاتب إبراهيم بن الفقيه عبد الله بن الفقيه إبراهيم النميري الغرناطي المعروف بابن الحاج[٢] في رثاء خاله الفقيه عبد الله بـن محمد بن محمد ابن عاصم القيسي يقول فيها : [٣]

هو الخطب هل عجت بـه قـيس عـيلان نشيج الحجيج اسـتقبلوا شِـعب نعمـان

---

[١] محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٤ – ٣٧

[٢] العلامة ابن الحاج : هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسـى بـن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضي النميري ويُعرف بـابن الحـاج الغرناطي ، نشأ على عفاف وطهارة و برّ وصيانة ، وبلغ الغاية في جودة الخط وارتسم في كتّاب الإنـشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة .انظر النفح ، ٧ / ١٠٨

[٣] ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق محمد رضـوان الدايـة ، دار الثقافـة – بيروت ، ص ٣١٤

وهـــل تركـــوا حُمْـــر القبـــاب لوقعـــه سـواريَ فـي ليلـيْ همـوم وأحـزان

وهل غـادروا الجـرد الجيـاد ضـوابطا كملقـى سـيوف أو عوامـل مـران[٤]

مضى رب قيس ، وابـن رافـع مجـدها ثمـال معـد حيـث كـان وعـدنان

مضى الفارس المغـــوار يزحف للوغى على كـــل مـسودِّ النواشـر حســـان

ويرى إحسان عباس أنه في أمثال هذا الاتجاه من الشعر الذي سـلكه ابـن عبـدون متأثـرا

بالمعرّي وتبعه فيه عدد من شعراء الأندلس [١] ، " نحس دائما صوت الرجل الحكـيم الـذي يتمثل العبرة المجسمة في حقيقة الموت ، ويربط في ذلك بين الماضي والحاضر وربما لم يكن في هذا الاتجاها الشعري شيء من التصوير التأثر الذاتي للحادثة المباشرة وإنما فيـه أسـى عميق على العظماء من بني الإنسان ، فهو بكاء على العظمة من خلال تصوير عظمة الموت رجاء التأسي . ويقترب من هذا الاتجاه نحو آخر تأملي قائم على التفلسف مستوحى أيضا من أبي العلاء في مثل قصيدته غير مجد في ملتي واعتقادي " [٢] .

---

[٤] مران : الرماح الصلبة

(١)ومن سلك هذا الاتجاه من الرثاء ابن الجياب في قصيدة يرثي بها أبا سعيد بن نصر مطلعها :

والدهـــر عـــــن فتـكـــاته لا ينثـــني وأخـــــصّ من تشقـــى به أحـــراره

وابن الخطيب في إحدى مراثيه يقول في مطلعها :

لعمـــرك ما في صفـــــو الزمـــــان لوارد وإن طـــــال ما أحمى لظى الحرن صفان

أنظر حسناء بوزويتة الطرابلسي : حياة الشعر في نهاية الأندلس ، دار محمد علي الحامي – صـفاقس ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، ص ٩٧

فنون شعرية أخرى :

- الفخر والاعتداد بالنفس :

يبدو أن النزعة الذاتية من الاعتداد بالنفس كانت قوية لدى المعرّي في المرحلة الأولى من نظمه الشعر ، بحيث خص ديوانه سقط الزند بعدد من القصائد الفخرية منها ما قصرها على الفخر بنفسه ، ومنها ما أشرك فيها قبيلته وقومه إلى جانب الفخر بنفسه . ومن أكثر قصائده الفخرية شهرة داليته ومطلعها :[٣]

أرى العنقاء تكبر أن تُصادا ... فعاند من تطيق له عنادا

وهمزيته التي يبدؤها بقوله : [٤]

وَرَائي أَمَامٌ والأَمَامُ وَرَاءُ ... إذَا أنا لم تُكْبِرْني الكُبَراءُ

بأيِّ لسانٍ ذاقني مُتَجَاهِلٌ ... عَليّ وخَفْقُ الرِّيح فيّ تَنَاءُ

تكَلَّمَ بالقَوْلِ المُضَلِّلِ فاسِدٌ ... وكُلُّ كلامِ الحاسدين هُرَاءُ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومنها يمدح فيها قبيلته :

أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ... ونَحْنُ على قُوّالها أُمَراءُ

وأي عَظيم رَابَ أهلَ بلادِنَا ... فإنّا عَلَى تغييره قُد رَاءُ

وماسَلَبَتْنا العِزَّ قطُّ قبيلةٌ ... ولا بات منا فيهمُ أسراءُ

وهي قصيدة يتجلى فيها الافتخار بالنفس ومدحها والافتخار بالقبيلة مقابل ذم الآخرين.

والقصيدة الثالثة اللامية وهي أطول فخرياته تعبر عن صلابة المعرّي ، وتمرسه بالشدائد ، يشكو فيها الدهر ، وصراع الأقدار ، مطلعها :[١]

---

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ٢ / ٥٥٣

[٤] المصدر نفسه ، ١ / ٣٩٢ – ٤٠١

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٢ / ٥١٩ ،٥٢٢ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨

ألا في سبـــــيل المجـــد ما أنا فـــاعِلُ عفافٌ وإقـــدامٌ وحـــــزمٌ ونائـــلُ

ومنها :

تعـــدُّ ذنـــوبي عنـــد قَـــوْمٍ كثيـــرةً ولا ذَنْـــبَ لـــي إلا العُـــلا والفواضـــلُ

كـــأني إذا طلـــت الزمـــان وأهلـــه رَجَعْـــتُ وعنـــدي للأنـــامَ طوَائـــلُ

وقد سار ذكري فـــي الـــبلادِ فَمَـــنْ لهـــم بإخفـــاء شـــمسٍ ضَـــوؤها متكامـــلُ

وإنـــي وإن كنـــتُ الأخيـــرَ زمانـــه لآتٍ بمـــا لـــم تـــستطعْهُ الأوائـــلُ

وأغـــدو ولَـــوْ أنّ الـــصَّباح صـــوارمٌ وأســـرى ولـــو أن الظّـــلامَ جحافـــلُ

ولما رأيـــتُ الجهـــلَ فـــي النَّـــاس فاشِـــيا تجاهلـــتُ حتـــى ظُـــنَّ أنِّـــيَ جاهـــلُ

فوا عجبا كم يـــــدَّعي الفضلَ ناقـــصٌ ووا أسفا كم يظـــهر النَّقْصَ فاضِـــلُ

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

لا يخفى على أحد ما تحمله هذه الأبيات من افتخار بالنفس واعتـــزاز كبيـــر بهـــا ، إذ يحاول من خلالها – ومن خلال قصائده الفخرية الأخرى – أن يظهر قوة عزيمته وإرادتـــه بالتغلب على عجزه ، الذي لم يشكل حائلا دون إبداعه بدليل شهرته التي ملأت الآفاق ، فهو شاعر أثبت مقدرته على نظم الشعر على الرغم من تأخر زمانه ، واستفاد من سبقه لمعـــاني الشعر ، إلا أنّه استطاع بشاعريته أن يأتي بما لم يأت به من سبقه . بالإضافة إلـــى وجـــود مسوغ آخر للافتخار بنفسه لا يقل عن الأول أهمية وهو ما يتصف به من شجاعة ، ووصفها العباس مكي بأنها أحلى من لام عذار الحبيب وأغلى من اللؤلؤ النفيس الرطيب ، وهي شاهدة على تمرّس المعرّي بالبلاغة والأدب[١] .

إن هذه النزعة من الاعتداد بالنفس ومدحها لا تعد غريبة من شاعر تتلمذ علـــى شـــعر المتنبي الذي عُرِف باعتداده المفرط بذاته مكررا ذلك في أكثر مـــن قـــصيدة ، وأكثـــر مـــن

---

[١] تعريف القدماء ، ص ٣٥١ ، نقلا عن العباس المكي : نزهة الجليس

موضوع سواء أكان رثاء أم مدحا أم هجاء . ويبدو أن هذه النزعة قد لقيت قبولا لدى عدد من شعراء الأندلس فأعجبوا بأفكاره ومعانيه أيّما إعجاب فراحوا يحاكونها في فخرياتهم بالإضافة إلى تضمين كثير من مطالعه الفخرية وأبياته في أشعارهم وكتاباتهم – وهذا ما سنلمسه فيما يأتي من صفحات – ويرى أحمد ضيف أن عبد الجليل بن وهبون قد نزع في بعض شعره نزعة أبي العلاء والمتنبي في الفخر بنفسه ومدحها لأن تلك الطريقة كانت جديدة أو بدعة الشعر في ذم الناس والفخر بالنفس[٢] ، من ذلك قوله في أبيات يمدح فيها نفسه [٣] :

أتخفى على الأيامِ غُرُّ مناقبي وقد بذَّ شأوي شأوَ كل نقاب

ويركبني رسمُ الخمولِ وقد غدت خصالُ العلا والمجدِ طوعَ ركابي

سأرقى بهمَّاتي قُصَارَى مراتبي وإن كان أدناها يُطيلُ طلابي

لتعلمَ أطرافُ الأسنَّةِ أنني كفيلٌ بها عند الصدا بشرابِ

وتشهدَ أطرافُ البراعاتِ أنني بهنَّ مصيبٌ فَصْلَ كلِّ خطاب

وليس نديمي غيرَ أبيضَ صارمٍ وليس سميري غيرَ شخصِ كتاب

ولعلنا نلمح شيئا من التشابه بين معاني أبيات ابن وهبون هذه و معاني المعرّي في داليته من الافتخار بالنفس والاعتداد بها ، فهو شجاع فارس ، وناظم للشعر ، شأنه ومكانته عظيمة وإن جهلتها الأيام وخفي عليها .

وممن بدا تأثره واضحا بشعر المعرّي الفخري ومعانيه من الشعراء ابن زَمْرك[١] . يقول ابن زمرك في أبيات يتحدث فيها عن منزلته الشعرية العالية التي تفوق مكانة أبي العلاء المعرّي[٢]

---

[٢] أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس ، مطبعة مصر – القاهرة ، ط١ ، ١٩٢٤ . ص١٢٥

[٣] ابن بسام : بالذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٩٧ – ٤٩٨

(١) هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي يكنى ابا عبد الله ، ويعرف بابن زَمْرَك. وهو من تلامذة لسان الدين بن الخطيب . أصله من شرقي الأندلس ، وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة ، وبه ولد ونشأ ، انظر ترجمته النفح ، ١٤٥/٧ .

وَدُونَــكَ مــن نَظْمِــي جَــوَاهر حِكْمَــةٍ ... يُفَاخِرُ منهــا الــسِّحْرَ بالــشِّعْر بَابــلُ

فَتُتْلَــى علــى الأَسْــمَاع منهــا بَــدَائعٌ ... وَتُجْلى على الأَبْــصَار مِنْهَــا عَقَائــلُ

ولو أنّي أدْرَكْــتُ أعــصارَ مــن مــضى ... لمــا قــال فيهــا الــشَّاعر المُتخايــلُ

وإنّــي وإن كُنْــتُ الأخيــرَ زمانــهُ ... لآتٍ بمــا لــم تَــستَطعه الأوائــلُ

ولا افتخَــرَتْ قِــدْما ايــادٌ بقُــسِّهَا ... ولا اسْتَصْحَبَتْ سَحْبَانَ في الفخر وائــلُ

يُظهر ابن زَمْرك اعتداداً مفرطا بنفسه وفخراً كبيراً بشعره ، فشعره بمثابــة الجــواهر والبدائع التي تتلى على الأسماع . ولا يكتفي بذلك بل يتطرق إلى وصف المعرّي بالمتخايل ، مبينا أن شعره يفوق شعر المعري ومنزلته تفوق منزلة المعرّي . لنراه فــي أبيــات أخــرى يوظف معنى المعرّي الذي قاله في بيان تفوقه على الأوائل ، فيقول ابن زَمْرَك : [١]

ودُونَــكَ مِــنْ بحــرِ البيــانِ جــواهراً ... كَــرُمْنَ فمــا يُــشرَيْنَ إلاَّ غواليــا

وطارَدْتُ فيــها وَصــفَ كلِّ غريــبَةٍ ... فأعْجــزْتَ مَنْ يأتي ومَن كانَ ماضيا

فإذا كان المعرّي قد أتى بما لم تأت به الأوائل فابن زَمْرَك أعجز الأوائل و اللاحقين .

ومن فخره بشعره قوله :[٢]

نظمــتُ لــه حُــرَّ الكــلام تمائمــاً ... جَعَلْــتُ الــدُّرَ فيهــا القوافيــا

لآلٍ بــها تــبْأى المــلوك نفاســةً ... وَجَلَّــتْ لعمري أنْ تــكونَ لآليا

---

[٢] ابن زَمْرَك : الديوان ، تحقيق محمد توفيق النّيفر ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٤٥٧

المقري : أزهار الرياض ، ٢ / ٨١

[١] المقري : أزهار الرياض ، ٢ / ٧٤ ، النفح : ٧ / ١٩٥

[٢] المقري : النفح ، ٧ / ١٥١

وممن أعجب بشعر المعرّي وحذا حذوه في نزعته ابن فُرْكُون ، في قوله : [٣]

فَـــدُونكهَا تهْـــدى الهَنـــاءَ حَديقـــةً مُهَدّلـــةً دَوْحـــاً مؤرَّجَـــةً نـــشْرَا

وقد راقَ لونُ الحـبْرِ فـــوق بَيَاضـــها كما راقَ لوْنُ الخـــالِ في وَجْنَةِ العَذْرا

وقال ابن وهبون واصفا كلامه :[٤]

رفيقٌ كما عنـــت حمامـــةُ أيـــكةٍ وجـــزلَ كما شـــقَ الهـــواءَ عقابُ

فابن وهبون بفخره بشعره يقترب كثيراً من فخر المعرّي بشعره إن لم يكن في المعنـــى فبالفكرة . يقول المعري واصفا قصيدة له : [٥]

حُجلَـــتْ فلـــم يرهـــا الـــذي قيـــدت لـــه وغَـــدَتْ بآفـــاقِ الـــبلادِ تَجُـــولُ

كالطّرْف يُقلـــقُه المـــرَاحُ صبابـــةً بالجـــري وهـــوَ مقـــيّدٌ مـــشكولُ

وممن تأثر بشعر المعرّي من الكتّاب ابن غرسية[١] في رسالته التي بعث بها إلى الأديب أبي جعفر بن الخراز[٢] " معاتبا له لتركه مدح مجاهد ، واقتصاره على مدائح ابـــن صـــمادح التُّجيبي ، وهي رسالة ذميمة غرّب في تسيطرها ، فلم يسبق لكثرة غلطه فيها ، وَزلله إلـــى

---

[٣] ابن فركون : الديوان ، تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكـــة المغربيـــة ، ط١ ، ١٩٨٧، ص ١٠٦ . ابن فركون : أحمد بن سليمان بن فركون من تلامذة لسان الدين بن الخطيب أثنى عليه ابن الخطيب بأنه شعلة من شعل الذكاء والإدراك ومجموع خلال حميدة وأنه طالب نبيل مدرك نجيـــب نـــد أقرانه فيما بعد . ذمه لسان الدين لأنه من الزمرة التي تغيرت عليه . أنظر ترجمته النفح ، ٧ / ٢٨٧

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٩٥

[٥] المصدر نفسه ، ١ / ١ / ٨١

[١] أبو عامر ، أحمد بن غرسية ، نصراني من البشكنس ، سُبي صغيراً وتولى أبو الجيوش مجاهد الـــصقلي أمير دانية والجزائر الشرقية ، فعَلا نجمه في أفق دولته ، وكان أول من اشعل لهيب الشعوبية في الأندلس ، الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٧٦ – ٧٥

[٢] أبو جعفر أحمد بن محمد بن الخراز البطرني نسبة إلى بطرنة من قرى بلنسية وهو الذي أثار ابن غرسية إلى كتابة رسالته في الشعوبية . أنظر ترجمته المغرب ، ٢ / ٢٥٦ ، النفح ، ٣ / ٤١٣

نظيرها ، وذم فيها العرب وفخر بقومه العجم ، وأراد أن يُعرب فأعجم"[٣] فقد ضمن ابن غرسية رسالته هذه تسعة أبيات للمعرّي ، اثنين في المتن وسبعة أبيات متتالية ختم بها رسالته . منها قوله :

" ... أنتم أرقّاؤنا وَعَبَدتنا ، وعتُقَاؤنا وَحَفَدتنا ، منّنا عليكم بالعِتقِ ، وأخرجناكم من رِبْقِ الرقّ ، وألحقناكم بالأحرار ، فغمطتم النعمة ، فصفعناكم صفعاً ، يشارك سفعاً ، اضطركم إلى سكنى الحجاز وألجأكم إلى ذات المجاز .رُزُنٌ رُصُنٌ :

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحـــياة وهمْ بعد الممات جمـالُ الكُتْـبِ والسِّيَرِ"[٤]

فبينما أراد المعرّي من بيته هذا مدح رجل من بني الفصيص ولاة قنسرين باليمن ، أخذه ابن غرسية ووظفه على غير مراد المعرّي قاصداً منه الافتخار بالعجم ، كما فعل في البيت الثاني الذي ضمّنه رسالته من القصيدة نفسها إذ يقول :

من الأُلى غَيْرَ زَجْرِ الخيل ما عَـــرفوا إذ تَعْرِفُ العُرْبُ زَجرَ الشاءِ و العَكَرِ[١]

لقد أراد ابن غرسية من تضمينه بيت المعرّي أن يصف قومه العجم بأنهم فرسان وسادة يزجرون الخيل ويشنون الحروب ، أما العرب فهم لا يعرفون إلا زجر الشاء والإبل ، فحمله على غير ما حمله المعرّي من أن قوم ممدوحه ملوك يزجرون الخيل فهم أصحاب حروب وغارات ، في حين كان الصعاليك والعبيد يزجرون الشاء والإبل .

---

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٧٠٤/٢/٣ – ٧٠٥

[٤] المصدر نفسه ، ٧٠٧/٢/٣ ، ابن السِّيد : شروح السقط ، ١٤١/١ ، واستخدمه كذلك الشقندي في تفضيله الأندلس على برّ العدوة في رسالته التي أوردها المقري في النفح .

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٧٠٨/٢/٣ ، ابن السِّيد : شروح السقط ، ١٤٠/١

ويستمر ابن غرسية في مدح قومه والفخر بهم وبعلمهم إلى نهاية الرسالة . خاتما إياها بأبيات للمعرّي [٢] يعتذر بها لابن الخراز قاصداً السخرية منه وهي :

" فلا استحييتُ منك فلا تكلني ... إلى شيءٍ سوى عُذْرٍ جميلِ

وقد أنفذتُ ما حقي عليه ... قبيحُ الهجوِ أو شَتْمِ الرسولِ

وذاك على انفرادِكَ مَوتُ يومٍ ... إذا أنفقت إنفاق البخيلِ

وكيف وأنت عَلويٌّ السجايا ... وليس إلى اقتصادك من سبيلِ

وقد يقْوى الفصيحُ فلا تُقابِل ... ضعيفَ البرِّ إلا بالقَبول

وإن الوزنَ وهو إصح وزنٍ ... يُقامُ صَغَاهُ بالحرف العليل

فإن يـــــكُ ما بعثـــــــتُ به قليـــلاً ... فَلِي حـــــالٌ أقـــلُّ من القليـــل ."[٣]

ويبدو أن هذه الرسالة قد أثارت حفيظة عدد من أدباء الأندلس ، المعاصرين لابن غرسية ، فانبروا للرد عليها مفندين ما ورد فيها ، مبينين بهتان ما زعمه وادعاه مؤلفها . وقد أورد ابن بسام ثلاثة ردود لثلاثة كتاب وهم ابن عباس ، وأبو جعفر بن الدودين ، وأبو الطيب القروي[١] الذي عمد في رده إلى تضمين بيتين متتاليين للمعرّي من القصيدة نفسها التي أخذ ابن غرسية منها بيتيه ، يقول فيها : " أيها الفاخر بزعمه بل الفاجر برغمه ... فاخبرني عنك أما كانت للعرب يد تشكرها ، ومنّة تذكرها ؟! أما جبرت نقيصتك أما رفعت خسيستك ... ألم تربك فينا وليداً ، ألم تتخذك تليداً ... أما أنطقتك بعد العجمة ، أما أسلفتك عقب اللكنة ؟ "[٢] ، فالقروي يلجأ في مقدمة رسالته إلى استخدام أسلوب الاستفهام قاصداً منه التعجب والاستنكار لما جاء به ابن غرسية في رسالته – من انتقاص للعرب ، مبينا فضل العرب عليه ، ليتحدث بعد ذلك عن المفاخر الإسلامية والمآثر العربية . فيأتي على كثير من صفات العرب فهم فرسان وشجعان ، يركبون الخيل

---

[٢] خاطب المعرّي بهذه الأبيات صريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ، و كان قد طلب من المعـرّي شرابا فيسر له قليل نفقه ، واعتذر بهذه الأبيات . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٨٤/٣

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٧١٤/٢/٣ ، ابن السيد : شروح السقط ،٣ / ١١٤٤ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٩

[١] أبو الطيب : هو عبد المنعم القروي ، كنيته أبو الطيب دخل الأندلس . حدث في شرقيها عن ابـن البـر الصقلي ، وكان أديبا شاعراً ، توفي سنة ٤٩٣ ، أنظر ترجمته الذخيرة ٣ / ٢ / ٧٢٢ ،الصلة ٣٧١

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٧٢٣/٢/٣– ٧٢٤

، وخيلهم أشهر من أسماء ملوك العجم ، وأنهم يجيدون مختلف العلوم ، ولا ينسى أن يبين فضل العرب على الفرس . ويستمر في مدح العرب إلى أن يصل إلى قوله :

" وما عِبت من قومٍ ينزلون البَرَاح ويشربون القَرَاح ، ويرفعون العماد ويَعْظِمون الرَّماد:

الموقدون بنجدٍ نارَ باديةٍ لا يَحضُرون وفقدُ العزِّ في الحضرِ

إذا هَمَـــى القطـــرُ شبّتـــها عبيدُهـــمُ تحت الغـــمائمِ للسّارينَ بالقُطـــرِ"[٣]

تعمد القروي الإتيان بهذين البيتين بقصد تفنيد ما جاء به ابن غرسية من تضمينه لبيتي المعرّي ، وبيان أن هذين البيتين جاءا في ذكر صفات العرب والفخر بهم لا في صفات العجم ، كما أكد ما جاء به من نثر من وصف العرب بالكرم ، فهم كرماء ونارهم لا تنطفئ بالليـل بل يوقدونها وهم مصحرون في البادية ليراها الضيفان ، وأنهم ملوك والعبيد هم من يوقدون النار . ومن هنا يتبين أن الكاتبين أرادا من وراء تضمينهما أبيات المعرّي تأكيد ما أورداه من معنى وتدعيم آرائهما فيما ذكراه من صفات سواء أكانت للعجم أم للعرب .

جميع الحقوق محفوظة

- وصف الديك :

تناول المعرّي في شعره الوصفي الكثير من الموصوفات التي تشهد بإبداعـــه وقدرتـــه على الوصف ، من خلال توظيفه للمعاني والألفاظ وتشكيله للصور الحسية والبلاغية . وقـــد وجدت بعض

هذه المعاني طريقها صوب الشعر الوصفي الأندلسي من ذلك قوله في وصف الديك :[١]

أيـــا ديـــكُ عُـــدَّتْ مـــن أياديـــك صـــيحةٌ بَعثتَ بها مَيْـــتَ الكَـــرى وهـــو نـــائمُ

---

[٣] المصدر نفسه ، ٣ / ٧٣٢/٢

[١] ابن الابار : تحفة القادم ، أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي – بيـــروت ، ص ٨٨ – ٨٩ ، المعري : اللزوميات ، ٢ / ٤٨٦ – ٣٨٩

عليـــكَ ثيـــابٌ خاطهـــا اللهُ قـــادراً ... بهـــا رَئِمتْـــك[٢] العاطفـــاتُ الـــروائمُ

وتاجُـــك مَعقـــودٌ كأنـــك هُرمـــزٌ ... يُبـــاهي بـــه أملاكَـــهُ ويُـــوائمُ

وعينـــك سِـــقْط مـــا خبـــا عنـــد قِـــرَّةٍ ... كلمعة بَـــرْقٍ مـــا لهـــا الـــدّهرَ شـــائمُ

ورثَت هُدى التـــذكارِ مـــن قبـــل جُـــرهمٍ ... أوانَ ترقَّـــتْ فـــي الـــسماءِ النعـــائمُ[٣]

وما زِلتَ للديـــــن القويـــــم دِعـــامةً ... إذا قَلِقـــــتْ من حاملـــــيه الدّعـــــائمُ

لقد لجأ المعري في تشكيل لوحته الفنية هذه إلى زجّ كثير من الصور الفنية بما تحمله من معانٍ وألوان وحركة مستمداً عناصرها من مخزونه الثقافي ومما سمعه من الآخرين ، بذكاء وعبقرية فذة استطاع أن يُكوِّن صورة لا سيما البصرية منها ، ففي لوحته هذه يتوقف عند التفاصيل الدقيقة حيث يتعرض لوصف ريش الديك وألوانه كأنها ثياب خاطها الله عز وجل ، وهو يُشْبه هرمز بوجود العرف فوق رأسه فهو كالتاجِ على رأس هرمز ، ويظهر إبداعه في تلك الصورة التي رسمها لعيني الديك وما تتصفان به من إحمرار لا يخمده البرد مصوراً لمعانهما بلمعان البرق . ولا ينسى أن يتوقف عند صياحه الذي يعمل على إيقاظ النائم ، وهو بذلك يشكل دعامة من دعائم الدين .

ويبدو أن هذه المعاني قد حظيت بإعجاب ابن نِنِّة الشاعر[١] الأندلسي ، فأخذها ليستعين بها في رسم لوحته الفنية في وصف الديك . يقول ابن نِنِّه في مقطوعته :[٢]

---

[٢] رئمتك : حَبَتْكَ وعطفت عليك .

[٣] جُرهم : حي من اليمن نزلوا مكة وتزوج منهم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ، النعائم : منـــزل مـــن منازل القمر

[١] ابن نِنَّة : هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن فرج بن سليمان . من أهل جَيّان ويعرف بابن نِنَّة من رجـــال القرن السادس الهجري . أنظر ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق ابراهيم الأبيـــاري ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار كتاب اللبناني – بيروت ، ط٣ ،١٩٨٩، ، ص ١٢٠ ، الـــصفدي : الوافي بالوفيات ٢٦٠/٢ .

[٢] ابن الآبار : تحفة القادم ، ص ٨٨٠

ولـــــه إذا ولّـــــى الظـــــلامُ تَطـــــرُّبٌ تلتُـــــذّه أســـــماعُ كـــــلِّ طَـــــرُوُب

لِيَبُثّـــــه فـــــي يومـــــه مـــــستعليا حتـــــى تميـــــل نُكـــــاؤه لغُـــــروبِ[٣]

ولقـــــد يُريـــــك بـــــصفحتيه سَوســـــناً[٤] مـــــا بـــــين وردٍ بالحيـــــاء مَـــــشُوب

ويُريـــــك مـــــن مثـــــل الدمـــــشق مُـــــلاءَةً لـــــم ترمِهـــــا عـــــينٌ رَنَـــــت بعيـــــوبِ

تَرنـــــوُ إلـــــى عينـــــيه إذ يُذكـــــيهما فتـــــقول مـــــاءٌ جـــــال في أُلهـــــوُبِ

يقترب ابن نِنّة كثيراً في لوحته هذه من لوحة المعرّي السابقة ، إذ يلمح تأثره بمعاني المعرّي من خلال تعرضه إلى وصف صوت الديك ، وكأنه موسيقى تطرب لها الأذن ، وقد استمد هذا من طبيعة البيئة الأندلسية وحبها للغناء . كما تعرض للحديث عن ريش الديك ولونه و لون خديه السوسني فاختلط اللون الوردي الآتي من السوسن باللون الأحمر الوردي الذي بعثه الحياء ، مما أضفى جمالاً على صورته البصرية ، ويستعين ابن نِنّة بمعاني المعرّي أثناء وصفه لعيني الديك، فهو يرى أنهما كالجمرة الملتهبة وهي بذلك تشبه صورة الماء الدائر في اللهب مشيراً إلى بريق عينيه . ولعل التزام المعري ثلاثة أحرف ليختم بها أبياته جعل أبيات ابن نِنّة أكثر سلاسة ووضوحاً.

---

[٤] بصفحتيه : بخديه

[٣] ذكاؤه : الشمس

ولم يقتصر هذا الإعجاب بمعاني المعرّي على ابن نِنّة ، فقد سبقه إليه الشاعر الأندلسي الأسعد بن بِلّيطَةَ[١] فنظم أبياتاً في وصف الديك يقول فيها : [٢]

وقـــامَ لهـــا يَنْعـــي الـــدُّجَى ذو شـــقيقه ... يُديرُ لنـــا مـــن بـــين أجفانـــه سِـــقْطَا

إذا صـــــاح أَصْـــغَى سَـــمْعُهُ لأذانِـــهِ ... وبادر ضَـــرْبا مـــن قوادِمِـــهِ الإبطـــا

كـــأنّ أنـــو شـــروان أعـــلاه تاجـــه ... وناطَتْ عليـــه كـــفّ مارِيَـــةَ القُرْطَـــا

سَبَى حـــــُلّة الطاووس حُســـــْنَ لباسَـــها ... ولم تكْفِـــــهِ حتَّـــــى سبى المشيةَ البطّا

يستوحي ابن بِلّيطة معاني أبياته هذه من معاني المعرّي ، مركزاً على لون الديك وعلى ريشه الذي يشبه بألوانه وجماله ريش الطاووس . كما يعرض للون عينيه ذات البريق والإحمرار ، ويشير إلى صوته الذي يأتي مع انجلاء الظلام فيوقظ الناس عند الآذان . ويأخذ من المعرّي تشبيه عرف الديك بالتاج غير أن المعرّي شبهه بتاج هرمز بينما شبهه ابن بليطه بتاج كسرى أنو شروان. وتبدو هذه اللوحة بما تحمله من معان أقرب إلى معاني المعري من لوحة ابن ننة وإن لم تفق لوحة المعري السابقة .

- المعاني الجزئية والألفاظ:

لم يقف أثر المعري في شعراء الأندلس على تمثل اتجاهه الفكري والفلسفي ، ونظرتـــه التأملية إلى الحياة والموت وما تبعها من نزوع إلى التزهد ، بل تعدّى ذلك إلى البحـــث عـــن

---

[١] الأديب الأسْعَد بن إبراهيم بن أسعد بن بَلِّيْطَةَ ، من قرطبة . شاعر ناثر من حضره قرطبة تردّد في بـــلاد المغرب ، وهو من شعراء المعتصم بن صمادح ، ومدح ملوكا طوّقهم من مدائحه قلائد ، كان بليغاً بالسيف والقلم ، فارس ، جحفل وشاعر محفل . أنظر ترجمته جذوة المقتبس ، ص٣٣٠ ، بغية الملتمس ص٥٤٣، الذخيرة ١ / ٢ / ٧٩٠ ، الخريدة ٤ / ٢ / ١٦٦ ، المغرب ٢ / ١٧ ، النفح ٤ / ٥٢

[٢] ابن خاقان : المطمح ، ٣ / ٣٤٣

أنماط ووسائل أخرى تعكس مدى إعجابهم بنتاج المعرّي الشعري ، بحيث شكلت ظاهرة لمسها عدد من النقّاد الأندلسيين الذين تصدوا للدفاع عن الأندلس في مؤلفاتهم، من بينهم ابن بسام الشنتريني الذي أخذ على عاتقه تتبع هذه الظاهرة لدى شعراء الأندلس وكتّابها ، فأثبت مواطن كثيرة بدا فيها تأثر أدباء الأندلس جلياً بشعراء المشرق لا سيما المتنبي والمعرّي . فجاء هذا النوع من التأثر متنوع الأنماط ليشمل التضمين والإشارة والإلمام والنظر والأخذ ... وكلها تظهر تأثراً واضحا ببعض معاني المعرّي و ألفاظه .

ولمّا كان مترسلو الأندلس وكتّابها يميلون إلى المزج بين النثر والنظم في رسائلهم وكتاباتهم [١]، وجد شعر المعرّي طريقه إلى نثرهم فانصبت أكثر عنايتهم على أشعار ديوان سقط الزند لتجاوبه مع التراث العربي في انسجامه الكبير مع تقاليد القول وشروطه[١]. فضمنوا منه البيت والبيتين إيضاحاً لمعنى أو تدعيما لرأي .

وبلغ إعجاب بعض الكتَّاب بشعر المعرّي إلى تمثله وتضمينه في معظم رسائلهم كما هو الحال مع الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ، الذي اتكأ على شعر المعرّي في أكثر من موطن من رسائله . من ذلك ما كتبه لأبي الحسن بن السراج مضمنا بيتا كاملاً للمعرّي فيقول : " ... فانطويت على حريق وتعللتُ برحيق

---

(١) من ذلك ما كتبه الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم عن المعتضد إلى الفقيه أبي حفص الهوزني يقول فيها :" وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر والنظم البديع ... " ابن بسام ، الذخيرة ، ١١٨/١/٢ . ومن ذلك أيضا رد ذي الوزارتين أبي بكر بن القصيرة على الوزير الفقيه الكاتب أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجد : " كتبت ولسان القلم يتلعثم ، وقدم الكلم يتأخر أكثر مما يتقدم ... ووصل إليّ – وصل الله اعتلاءك ، واتّل مجدك وسناءك – خطابك الكريم نظماً ونثراً ... وأنا اعتذر إليك من الاقتضاب أن لا ألم في النظم بجواب " ابن بسام : الذخيرة ، ٢٩٦/١/٢-٢٩٧

(١) أيمن ميدان : تأثير المعرّي في الأدب الأندلسي ، ص١٧

وفضـــــيلة الــرّاح الخـــــروج بأهلـــــها عــن عالــم هــو بالأذى مجهــول "[٢]

ومثل هذا التمثل والاتكاء نلمسه عند ابن السِّيد البطليوسي الذي وفق في تضمينه لبيت المعرّي في كتابه إلى الوزير أبي محمد بن سفيان ، يقول فيه : " وما أدّعي لك جانبا من السيادة ، إلا ولك عليه أعدل الشهادة ، ولكن قديما سَفُلَ ذو الرُّجحان ، وعاد الكمال على أهله بالنقصان ، وكُبِتَ الأعالي بارتفاع الأسافل حتى اقتضى ذلك قول القائل :

فوا عجـــبا كم يَدَّعي الفَضْـــلَ ناقــصٌ ووأســـفا كم يُظــهر النقص فاضل"[٣]

وبما أن كلامه في مدح أبي محمد وبيان فضله ومكانته ، استدعى بيت المعرّي هذا لتأكيد معناه ، وترسيخ رأيه في هذا الممدوح . وقد يلجأ الكاتب –أحيانا – إلى تضمين رسالته جزءاً من البيت صدره أو عجزه ، أو جزءاً من الصدر أو العجز . من ذلك ما جاء في رسالة ابن عبدون الإخوانية التي بعث بها إلى ذي الوزارتين ابن أبي الخصال مضمننا صدر بيت المعرّي:[٤]

أرى العنقـــــــاء تكبـــرُ أن تُصـــادا فعانـــــد مَنْ تُطـــيقُ له عـــــنادا

بقوله : " إني لأنظر من فلان بِأحدِّ من بصر الزرقاء ، إلى أجلّ من خطر العنقاء فينشد قول أبي العلاء بن سليمان شاعر معرة النعمان : أرى العنقاء تكبر أن تُصادا "[٤] . وقد استند ابن أبي الخصال إلى البيت نفسه فحلّ معقوده في رسالته الجوابية لابن عبدون " ... وأما شاعر

---

[٢] ابن خاقان : القلائد ، ٥٣٤/٢ ، ابن السيد : شروح السقط ، ٢٥٧/١

[٣] ابن خاقان : القلائد ، ٧٢٢/٣ ، ابن السيد : شروح السقط ، ١٩٤/١

[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ٥٥٣/٢

[٤] ابن أبي الخصال : الرسائل ، ص٣٠٣– ٣٠٤

المعَرّة فشاعر كواكب المجرّة ، فهي عَنقاؤُه التي أكبرها أن تُصادا وآثر على مُعاندتها الاقتصاد ، فَمن يتعاطاه بعدَهُ ، وقد أُفحِم ، ووَقَذهُ العَجْزُ حتى رُحِم "[١].

وممن حوت كتاباتهم جزءاً من صدر بيت للمعري أو عجزه ابن حسداي[٢] في رسالته التي بعث بها إلى ابن رزين[٣] ، يقول فيها : " فالعفاء على الجفنِ إذا سلم الحسام "[٤] وهو من قول المعرّي في مرثيته لأبيه :

وإجلال مغنـــاكَ اجتهـــادُ مقصـــــــرٍ إذا النّصْلُ أودى فالعـــــفاء على الجفن

كما ضمّن ابن أبي الخصال مقامته التي عارض بها مقامة الحريري التفليسية جزءاً من صدر بيت المعرّي إذ يقول : " ثم قال خفف الوَطْء ، وسر حتى تُخرج هذا الخبء "[٥] وهو يُذَكِّر بقول المعري في لاميته المشهورة :[٦]

خـــــــفف الـــلوطء ما أظُـــنُّ أديـــم الأرضِ إلا مـــن هـــذه الأجـــــساد

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد يجد الكتّاب في فك معقود الشعر وسيلة أخرى في توظيف شعر المعرّي وإن كانوا إلى التضمين أميل ، من ذلك ما جاء في خطبة ابن أبي الخصال التي يحضّ فيها على الجهاد

---

[١] ابن ابي الخصال : الرسائل ، ص ٣١٢ – ٣١٣

[٢] أبو الفضل بن حسداي : هو حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي أحد كتاب عصر الطوائف ، نجم بأفق سرقسطة في دار دولة ابن هود ، وكان له في الأدب باع ، بلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب . أنظر ترجمته القلائد ص١٨٣ ،الذخيرة ، ٣ / ١ / ٤٥٧ ، الخريدة ، ٤ / ٤٨٠ ، ، المغرب ٢ / ٤٤١ ، النفح ، ١ / ٥٣٥ ،٦٤٠

[٣] ابن رزين :حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين ، قال عنه ابن بسام :" كان له طبع يدعوه فيجيبه، يرمي ثغرة الصواب عن قوسه فيصيبه ، وقلة استخداء لمن عسى أن يأخذ عنه من الأمة " أنظر ترجمته الذخيرة ، ٣ / ١ / ١٠٩ ، المغرب ٢ / ٤٢٨

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٦٣

[٥] ابن أبي الخصال : الرسائل ، ص٤٤٤

[٦] ابن السيد : شروح السقط ، ٩٧٤/٣

، فقد حلّ معقود بيت المعرّي السابق . إذ يقول فيها : " أرْهفُوا – رَحِمَكُم الله – غِلَظ الأكْباد ، ومُرُّوا بأحداث الآباءِ والأجْدادِ ، وخُذوا الموعظةَ من الجماد ، واعلُموا أن أَديم الأرض مشُوبٌ بهذه الأجْساد "[١] فجاء حلّه لكلام المعرّي متفقا مع غرضه من الخطبة التي تحمل الكثير من المواعظ والحكم وبسيطاً يدل على المصدر بسهولة . فالحلُّ قد يتأرجح " بين البساطة المفضية إلى المصدر بسهولة ويسر وشيء من الغموض يحتاج أعمال قريحة وكدّ ذهن "[٢]

وممن حلّ معقود شعر المعري في نثره الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم في رسالة خاطب بها أغلب صاحب ميورقه . منها : " ... وكان عهدي بها عهدَ طَيفِ الكرى ، بما بين العقيق إلى الحمى ، إن سرى أصبحَ دونه بمراحل ، أو هفا قطع المدى المتطاوِل "[٣] وهذا مأخوذ من قول المعرّي :[٤]

جميع حقوق الرسالة محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وسَأَلْتُ كَمْ بَيْنَ العَقِيق إلى الغَضَى فَجَرَعْتُ مِنْ أَمَدِ النَّوَى المُتَطَاوِل
وَعَذَرْتُ طَيْفَكِ في الجَفَاءِ لأنَّهُ يَسْري فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَراحِلِ

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد عبد الله بن يُمن الدولة بن قاسم أثناء مراجعته لأبي الفضل ابن عياض[١] : " بمثل نباهتك سارت الأخبار وفيك وفي بداهتك اعتبار ، لقد نلت فيها كل

---

[١] ابن أبي الخصال : الرسائل ، ص ٥٢٦
[٢] أيمن ميدان : تأثير أبي العلاء ، ص١٩
[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ١ / ٤٣١
[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ٧٣٤/٢
[١] أبو الفّضل بن عيّاض : هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عيّاض اليجعبي من أهل سبتة ، رحل إلى المشرق يطلب العلم ، وولي قضاء سبتة وغرناطة ، وفيه ألّف المقّري كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، توفي سنة ٥٤٤ بمراكش . أنظر ترجمته القلائد ، ص٣٢٦

طائل وقُلْتَ ولم تترك عليّ مقالاً لقائل ... " [٢] فقوله " وفيك وفي بداهتك اعتبار " هو عجز بيت المعرّي:[٣]

أيدفـــع معجـــزات الرســـل قـــوم وفيـــك وفـــي بداهـــتك اعتـــبار

وتتجلى هذه الظاهرة بشكل واضح عند كثير من شعراء الأندلس منهم : ابن عمار[٤] في قصيدة له يقول فيها :[٥]

لم نـــثن عنـــك عنـــاني ســـلوة خطـــرت على فؤادي ولا ســـمعي ولا بـــصري

لكـــن عـــدتنيَ عـــنكم رحلـــةٌ ســـلفتْ كفـــاني القـــول فيهـــا خيـــر معتـــذر

لو اختـــــصرتم من الإحـــــسان زرتـــكم والعَذبُ يُهْـــَـــجرُ للإفراط في الخُصَـــر

البيت الأخير للمعرّي . وقد ضمن ابن عمار البيت نفسه في بيتين من قصيدة كتبها لابن رزين عندما عتب عليه ؛ لعدم رؤيته له ، يقول فيها [٦]

لقـــاؤكَ الـــنُّجْحُ لـــو أعقبتـــه ســـفري ووجهكَ الـــصبحُ لـــو أقبلتُـــهُ نظـــري

لو اختصرتم مـــن الإحـــــسان زُرتكـــــمُ والعذبُ يَهْـــجَرُ للإفراطِ في الـــحضرِ

ولابن السِّيد أبيات يجيب بها شاعراً قرطبيا مدحه : [١]

---

[٢] ابن خاقان : القلائد ، ١ / ٣٨٣

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ١٣٣

[٤] ذو الوزارتين : أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين . من أهل شِلْب صحب المعتمد بن عباد من الـصبا ، وكان المعتضد قد نهى ابنه عن صحبته ، فترك ابن عمار إشبيلية إلى سرقسطة ، وعاد إلى إشبيلية بعد وفاة المعتضد فحظي بمكانة خاصة وعظيمة عند المعتمد إلى أن داخله العجب ، فسمت به نفسه إلى الملك فقتـل على يد المعتمد . أنظر ترجمته القلائد ٤٠٣ / ٢٥٣ الذخيرة ٢ / ١ / ٣٦٨ ، المغرب ١ / ٣٨٩ ،

[٥] محمد رضا الشُّبيبي : أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية : ص ٧ ، ابن الـسيد : شـروح السقط ، ١ / ١٢٠

[٦] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١/٤٠٠

[١] العماد : الخريدة ، ٤ / ٢ / ٥١٠ – ٥١١

قل للذي غـــاصَ فـــي بَحْـــرٍ مـــن الفِكـــرِ بذِهْنِـــهِ فَحَـــوى مـــا شـــاءَ مـــن دُرَرِ

لله عـــــذراء زُفَّـــــتْ منـــــك رائحـــــة تختال من حبرها المرقـــوم فـــي حِبَـــر

صداقها الصـــــدْقُ من ودّي ، ومَـــــنْزِلها بصيرتي وسوادُ القـــــلبِ والبـــــصرِ

ضمن بيته الأخير عجز قول المعرّي :[٢]

يـــــوَدُّ أنّ ظَـــــلامَ اللَّيـــــل دَامَ لـــــهُ وَزِيـــــدَ فيـــه سَـــوَادُ القَلْبِ والبَصَرِ

وقد كتب الوزير أبو محمد بن القاسم معزيا في قريب مات للوزير الفقيه القاضي أبـــي الحسن ابن بياع مضمنا ثنايا قصيدته بيتين للمعرّي في موطنين يقول في الأول :[٣]

يُشـــاطـــرُك الصـــبَّابـــةَ والسُّهـــادا ويَمْـــحَـــضُك المحـــبَّة والـــــوِدادا

القسم الأول من بيته أخذه من عجز بيت المعرّي الذي يقول فيه :[٤]

أرَانَـــا يا علـــــيُّ وإنْ أقَمْـــــنَا نُشَاطِـــرُك الـــصّبَابَة والسُّـــــهَادا

والموطن الآخر يقول فيه : [٥]

ومثلـــــك لا يُضَعْـــــضِعُهُ مُـــــصَانٌ ولا يُعطـــــي لنائبـــــةٍ قيـــــادا

وَمَا زِلْـــتَ الرَّشِيد نُهـــــىً وَحَاشَـــى لِفَضـــلِكَ أن أُنَكِّـــــرَهُ الرّشَـــادا

البيت الأخير للمعرّي . وهذا ابن الحاج النميري ضمن عجز بيت المعرّي في بيت من قصيدة له يمدح بها الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي ، وقد أبـــصره علـــى

---

[٢] ابن السيد : شروح السقط ، ١١٩/١

[٣] ابن خاقان : القلائد ، ٣ / ٣٠٤

[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ٢ / ٧٧١

[٥] ابن خاقان : القلائد ، ٣ / ٧٠٤ ، ابن السِّيد :شروح ، ٢ / ٨٠٥

أسرَّة دار الحديث الأشرفية ، يقول ابن الحاج :[١]

جمـــــالُ الـــــدينِ للإقـــــراء يعلـــــو أســـــرَّته إذا اصـــــطفَّ الرجـــــالُ

فمـــــن جُلِيَـــــتْ محاسنُـــــه بدا لـــــي مُحَيـــــاّ فـــــي أســـــرَّته الجـــــمالُ

فعجز بيته الثاني هو عجز بيت المعرّي : [٢]

أهـــــلَّ فبَـــــشَّرَ الأهلِيـــــنَ مِـــــنْهُ مُحَـــــيّا فـــــي أســـــرّتِهِ الجَمـــــَالُ

ويبدو أن الأعمى التطيلي قد أعجب بلاميّة المعرّي التي فخر بها بنفسه ، فقـد ضـمّن عجز

بيتها الافتتاحي:[٣]

ألا فـــي سبـــيل المـــــجد ما أنا فاعـــــل عفـــافٌ وإقـــدامٌ وحـــزْمٌ ونائـــــــلُ

في تضاعيف قصيدتين ، الأولى يمدح فيها محمد بن عيسى الحضرمي يقول فيها :[٤]

وأنهبنـــــي منـــــه امتـــــداحي خلائقـــا فـــدونك مـــا أنْهَبْتنـــي مـــن وصـــالكِ

عـــفافا وإقـــــداما وحـــــزْما ونائـــــلا وهيـــــهات يحـــكى واصِفٌ ما هـــنالكِ

أما الموضع الآخر ففي قوله :[٥]

خليلـــيَّ مَـــنْ يَجْـــزعْ فـــإني جـــازعُ خليلـــيَّ مَـــنْ يَـــذهَلْ فـــإني ذاهـــلُ

وفي ذلـــك القَبْـــــرِ المـــــقدَّس تُرْبُـــهُ عَفَافٌ وإقـــــدامٌ وحـــزْمٌ ونائِـــــــلُ

ومما يلحظ أن جلّ ما تمثله الشعراء من شعر المعرّي وضمنوه شعرهم كان من ديوانه سقط الزند الذي جاء منسجما في موضوعاته وطريقته مع طريقة العرب ، وعلى الرغم مـن

---

(١) المقري : النفح ، ٧ / ١١٠

(٢) ابن السيد : شروح السقط ، ٤ /١٦٧٧

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٥١٩

(٤) الأعمى التطيلي : الديوان ، ص ٩٤

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥

اتفاقه في كثير من معانيه وألفاظه مع من سبقه من الشعراء ، إلا إن الاتكاء على شعره بدا كبيراً لدى شعراء الأندلس ، نظراً لقدرته على إعادة تشكيل معاني من سبقه وألفاظهم بما يحسب له ويعد من ابتكاراته واختراعاته .فتنبهوا إلى معانيه وحاولوا تمثلها في مواطن كثيرة من شعرهم بالنظر والإلمام والإشارة ... من ذلك قول السُّمَيْسر : [١]

خذ منَ الدّهرِ ما أتى إن نعيماً وإن نَكَدْ
كُن كسكّينِ جازِرٍ قاطعٍ كلَّ ما وَجَدَ

فهو ينظر في معنى بيته الأول إلى قول المعرّي :[٢]

يغنى الفتى بالمنايا عن مآربه وينفح الروح في طفل فيفتقرُ

ويبدو أنّ فكر المعرّي ونظرته إلى المجتمع والناس قد راقت للسُّمَيْسر فقال مُلماً بمعانيه وألفاظه في هذا الموضوع وملتزماً بالبحر نفسه و القافية ذاتها :[٣]

تَحَفّظْ من ثيابك ثم صُنْهَا وإلاّ سَوفَ تَلبسُها حِدَادَا
وظنَّ بسائر الأخباس خيراً وأما جنسُ آدم فالبعادا
أرادوني بجمعتهم فردّوا على الأعقاب قد نكصُوا مُرَادى
وعادوا بعد ذا إخوان صِدْقٍ كبعض عقارب عادت جرادا

فهو يقترب كثيراً من قول المعرّي :[٤]

فَظُنَّ بِسَائِرِ الإخْوَانِ شَرّاً ولا تَأمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادا
فَلَوْ خَبَرْتُهُمُ الجَوْزَاء خُبْرِي لَمَا طَلَعَتْ مَخَافَةَ أنْ تُكَادا

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٨٨٦ – ٨٨٧
[٢] المعرّي : اللزوميات ، ١ / ٢٢٧
[٣] ابن سعيد : المغرب ، ١ / ١٠٠ – ١٠١
[٤] المعرّي : شروح السقط ، ٢ / ٥٥٩

وقد نظر أبو حفص بن برد إلى قول المعري :[١]

وإصباح فَلَيْـــنَا اللَّيْـــلَ عـــــنْهُ كَـــمَا يُفْلَـــى عَنِ النـــّار الرَّمـــادُ

فقال :[٢]

رُضـــــابُكَ رِيٌّ لمـــــنْ قـــد عَطِـــشْ وَقُربُـــكَ أُنـــسٌ لمـــن قـــد وَحِـــشْ

وَكـــــم ليلـــــةٍ جُلْتَهَـــــا فانجلـــــتْ إلـــــى مُـــــدْنف زُرْتَـــــهُ فـــــانتعشْ

وقد فتـــــحَ الأفـــــــقُ للنّاظريـــــــنَ عـــن شـــهلةِ الـــصّبْحِ هُدْبَ الغَـــبَش

وأشار ابن شهيد بقوله :[٣]

أجرَيـــــتَ للزِّنْـــــجِ فوقَ النهرِ نهرَ دمٍ حتـــــى اســـــتحال سماءً حُللتْ شـــفقاً

إلى قول المعرّي :[٤]

وَعَلـــى الـــدّهْرِ مِـــنْ دِمَـــاءِ الـــشَّهِيدَيْـــ ـــنِ عَلـــــيٍّ ونَجْلِـــــهِ شـــــاهِدَان

فَهُـــمَا في أَوَاخِـــرِ اللَّـــيْلِ فَجْـــرا نِ وفـــي أُولَيَاتـــــهِ شَـــفقانِ

وقد ألم ابن زيدون بقوله :[٥]

يالبيت ذاكَ السّـــــوادَ الجـــوْنَ متّصلٌ قد استـــعار سوادَ القـــلبِ والـــبصرِ

بلفظ المعرّي : [١]

---

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٣٠٧ ، أبو حفص بن برد : أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأصـغر ، قال عنه ابن بسام " كان في وقته فلك البلاغة الدائر مثلها السائل نفث فيها بسحره ، فهو مليح الشعر بليـغ الكتابة أهل بيت أدب ورياسة له رسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما . أنظر ترجمته الذخيرة ، ١ / ١ / ٤٨٦ ،البغية ١ / ٢٧ ، المطمح ١ /٢٠٧ ، المغرب ١ / ٨٦

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ١ / ٥١٧

[٣] المصدر نفسه ، ١ / ١ / ٣١٣

[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٤٤١

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ١ / ٣٤٧

[١] ابن السيد : شروح لسقط ، ١ / ١١٩

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

يَـوَدُّ أنَّ ظـــــلاَمَ اللَّيـلِ دَامَ لـــــــهُ وَزِيـدَ فـــيه سـوَادُ القَلْبِ والبَـصَرِ

وفي قصيدة أخرى له عوّل على بعض معنى هذا البيت إذ يقول : [٢]

هـذا الصـَّباحُ على ســـُراكِ رقيـــبا فَصـــلِي بفرْعـــكِ ليـــلَكِ الغرْبيبا

وقد ألمّ بمعنى هذا البيت عبد الجليل بن وهبون بقوله الذي خاطب به اذفونش :[٣]

نضـــا أدراعـــَهُ واجتـــابَ ليـــلاً يـــودُّ لـــو أن طـــول الليـل عام

وممن ألم بشعر المعرّي من مترسلي الأندلس الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال في رسالة بعث بها إلى الوزير أبي محمد بن القاسم لما نُكِب يقول فيها : " ... ولئن قـضى حق المساهمة في هذه الحال التي التوى عرضها ، وتأخر للأعذار القاطعة فرضها ، أسـف تردد ، وارتماض تجدد ، وذنوب على الأيام لا تحصى وتعدد ، وحب اللئام منها تحل وتعقد ، فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت من هذه الأقسام ، ونهيت فيك حتى المزن عن الابتسام "[٤].

نظر إلى قول المعرّي :[٥]

نَقَمـــتُ الرِّضا حَتّى على ضاحِكِ المُزْن فلا جَادَني إلا عَبـــُوسٌ من الدَّجـْن

يشبه قول المعرّي :[٦]

يُبِينُ بالبِـشْرِ عَنْ إِحْسَـــانِ مُصـــْطَنِعٍ كالســـَّيْفِ دَلَّ على التَّأثـيرِ بالأُثـــُرِ

وتأثر الأديب أبو عبد الله محمد بن شرف في بيته الذي يقول فيه :[١]

---

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ١ /٣٨٠

[٣] المصدر نفسه ، ١ / ١ / ٣٨١

[٤] المصدر نفسه ، ٣ / ٢ / ٨٠٧

[٥] ابن السيد : شروح السقط ، ٩٠٧/٢

[٦] المصدر نفسه ، ١ / ١٣٩

وأهجـــره وهو اقتراحي من الـــــورى وقد تهـــجَرُ الأمـــواهُ وهـــي قَراحُ

بمصراع بيت المعرّي الثاني : [٢]

لو اختصـــرتمْ من الإحـــــسان زرتكُمُ والعـــذب يُهجَرُ للإفراط في الخُصَـرِ

وأخذ أبو محمد بن صارة الشنتريني معنى قوله : [٣]

لا بـــدَّ أن يقـــع المطلـوبُ في شركي ولو بـــنى وَكْـــرَهُ في دارةِ القَمَـر

من معنى بيت المعرّي : [٤]

ولَـــوْ أَنَّنـــي في هَالَةِ البَدْـرِ قاعِـــدٌ لَمَا هَـــابَ يَوْمي رِفْعَتي وَجـــلَالَي

وممن استفاد من معاني المعري ووظفها في شعره أبو بكر يحيى بن بقي في قوله :[٥]

ومـــا راعهـــا إلاَّ الزمـــام تظـــنُّه إذا ما تـــدلَّى حـــيّةً في المـــخاطمِ

يشبه قول المعرّي [٦]:

يُـــحَاذِرْنَ مِنْ لَدْغِ الأزِمَّةِ لا اهْـــتَدَى مُخـــبِّرُهَا أنَّ الأزِمَّةَ أَصـــلالُ

وقد تشابه الأعمى التُطَيْلي بنظرته إلى المتناقضات من تساوي العدم والفناء ، والغنـاء والبكاء مع نظرة المعرّي . يقول التُطَيْلي [٧]:

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٤ / ١ / ٢٣٧ . أبو عبد الله محمد بن شرف : كان بالقيروان ، من فرسـان هـذا الشان ، وأحد من نظم قلائد الآداب ، وجمع أشتات الصواب وتلاعب بالمنظوم والموزون وقد تردد علـى ملوك الطوائف بالأندلس ومن تواليه أعلام الكلام وكتاب أبكار الأفكار . انظر ترجمته الصلة ، ص ٥٤٥ ، الخريدة ٤/ ٢ / ٢٢٤ المغرب ١/ ٦٦ الوافي ، ٣ / ٩٧ ، بغية الوعاة ٤٧

[٢] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ١٢٠

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٨٤٧

[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ٣/ ١٢١

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٦٢٦

[٦] ابن السيد : شروح السقط ، ٣ /١٢٥٧

[٧] الأعمى التطيلي : الديوان ، ص ٤٣

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ما أشبه المـــوت بالمَحيا وأجـــدر من لا يعـــرف الورد ألا يعرف الـصدرا

وفي موضع آخر يقول [١] :

ودّع الأحـــــبة والدنو أو النـــوى ما أشـــبه التســـــليم بالتوديـــع

وفي التعبير عن هذا المعنى يقول المعرّي :[٢]

غيـــرُ مُجْـــدٍ فـــي ملّتـــي واعتِقـــادي نَـــوحُ بـــاكٍ ولا تـــرنُّم شـــادي

وشبـــيهُ صـــوتُ النَّعـــيِّ إذا قـــيـ س بصَـــوْتِ البشير في كُلِّ نـــادي

ويشبه قول ابن المِلْح في المعتضد [٣]:

فصغيـرُ مَرْأى العين عن بُعـْدْ الـمدى كالنـــجم أصـــغَرَهُ تنائي المنـــظر

قول المعرّي [٤]:

والنَّـــجْمُ تَستَـــصغِـرُ الأبْـصـارُ والنَّـــبُ للطَّـــرْفِ لا لِلـــنَّجْم فـــي صُورتَهُ الصِّغَرِ

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقال أبو عمر بن الباجي من قصيدة في المعتمد[٥]:

أسفـــي على زَمـــنٍ مضى في غبرهـا ياليـــت ذاهِبَـــهُ اسْتُعـــيْدَ فـــعادا

فمعنى بيته يشبه إلى حد كبير معنى قول المعرّي [٦]:

---

[١] الأعمى التطيلي : الديوان ، ص ٨٠

[٢] ابن السيد : شروح السقط ، ٣ / ٩٧١

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٥٦ ، الوزير ابن الملح أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وهو من بيت أصالة وفارس ميداني الزهد والبطالة . أنظـر ترجمتـه القلائـد ، ٥٥٨ ، المغرب ١ / ٣٨٣ ، الذخيرة ٢ / ١ / ٤٥٢

[٤] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ١٦٢

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ١٩٩ . أبو عمر بن الباجي : يوسف بن جعفر الباجي كان مـن بلغـاء الكتاب ، كان فقيها جليل القدر رحل إلى المشرق وحج وولي قضاء حلب ، وعاد إلى الأندلس فحل قـدره عند المقتدر بن هود ملك سرقسطة . أنظر ترجمته المغرب ١ / ٤٠٥ ، الخريدة ٢ / ٣١٣ ، القلائد ، ١٠٢

وأَطْرَبَنـــي الشـــبَابُ غـــدَاةَ ولَّـــى فَلَيـــتَ سِنـــيهِ صـــوْتٌ يُسْتَعادُ

وقد نبّه المعرّي أبا بكر الداني على معنى بيته : [١]

وَحَالاً كَرِيـــش النَّسْرِ بَيْـــنَا رَأَيـــتَهُ جَنَاحاً لِشَهْـــمٍ آضَ رِيـــشاً على سَهمِ

فأخذه أبو بكر و نظم بيتا مشابها له . فقال: [٢]

قد رِشْتَني ســـهماً فرشنـــي طائـــراً وكـــما نـــفذتُ فإننـــي اترنـــمُ

و نقل أبو عامر بن شَهيد معنى بيته الذي أوصى أن يكتب على قبره :[٣]

فـــقال لـــي : لن تقـوم منـــها مـــا دام مـــن فـــوقنا الصَّـــعيدُ

من قول المعري في رثاء أمه :[٤]

سَأَلْـــتُ مـــتَى اللِّقـــاءُ ؟ فَقِـيلَ حَتَّى يَـــقُومَ الهـــمِدُونَ مـــن الرِّجـــامِ

وأخذ الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد معنى بيته : [٥]

فإليكـــها تُنبيـــك أنـــي ربِّـــها نســـبُ القـــطا متبـــيِّنٌ مهما قطا

من قول المعرّي : [٦]

عُرِفَـــتْ جدودـــكُ إذ نطقـتَ وطالـما لغـــط القطـا فأبان عن أنـــسابهِ

وقول ابن حمديس الصقلي :[٧]

شـــربت على بـــرق كأنّ ظـــلامه إذا احمـــرّ فيه أســـودٌ بات يـرعف

---

[٦] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٢٨٤

[١] المصدر نفسه ، ٢ / ٩٤٩

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٦٨٠/١

[٣] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١ / ١ / ٣٣٤

[٤] المصدر نفسه ، ٤ / ١٤٢٨

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٧١٢

[٦] ابن السيد : شروح السقط ، ٢ / ٧٢٥

[٧] ابن بسام : الذخيرة ، ٤ / ١ / ٣٣٨

مأخوذ من معنى قول المعرّي : [٨]

إذَا مَا اهـــْتَاجَ أحَـــمَرُ مُسْتَـــــــطِيراً حَسِبـــْتَ اللَّيْـــلَ زِنْجـــيَّاً جَرِيـــحاً

وأحيانا قد يبيح الشاعر لنفسه بقلب معنى بيت غيره أو عكسه بما يتفق مع غرضـــه ، كما فعل

أبو بكر يحيى بن بقي ببيت المعرّي الذي يقول فيه :[١]

فـــــإن كـــــان يكـتبه كـــاتـــبٌ فـــقـد سـوّد الصبـح ممـا كـتب

أخذه ابن بقي وقلبه ليصبح : [٢]

والنجـــمُ منهـــزمٌ أولـــى كتائِـــبِهِ والصـــبحُ يَغْسِلُ ثوبَ الليل من درنِ

وقد يلجأ الشاعر أحيانا إلى توظيف معنى بيت المعري في غرض آخر مخالف لغرض المعرّي ، فقد نقل ابن وهبون بيت المعري في ذكر السيف الذي يقول فيه :[٣]

وَدَبَّـــتْ فوقـــَه حُـــمْرُ المَـــنَايَا ولكـــِنْ بَعْدَ ما مُســـــِخَتْ نِمـَالا

إلى وصف العذار فقال : [٤]

وكأنما صـــقلوا الجـمال وأظهـــروا مشـــي النـــمال على متون صـفاع

وهو بذلك يثبت مقدرة شعراء الأندلس على مجاراة المشارقة ومحاكاتهم في معـانيهم . و

أخذ ابن عبدون قوله في المعتمد : [٥]

---

[٨] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٢٤٠

[١] المعري : اللزوميات ، ١٢٦

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٦١٩

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ١٠٤/١

[٤] محمد خفاجي : الأدب الأندلسي ، ٣٣٥

وعُلاً نشـــــأنَ مع النجـــــومِ وقبلـــــــها ولـــــــــهنَّ من بعد النـــــجوم خلود

من قول المعري يصف خيلاً : [١]

نَشـــــأنَ مَعَ النِّعـــــــــامِ بكـــــلِّ دَوٍّ فـــــقد أَلِـــــــفَتْ نتائُـــــجها الرِّئالا

وممن عول على لفظ المعري دون معناه أبو الحسن الكاتب أخو ابن الـسِّيد البطليوســي بقوله:[٢]

واللـــــــيلُ منحـــــفزٌ يطـــــير غرابُه والصـــــبح يطـــــرده بـــبازٍ أشهب

في حين يقول المعرّي : [٣]

بـــالله يا دَهـــــــــرُ أَبْقِ غُرَابَـــــــهَا مَوْتـــــــاً من الصُّبـــــــحِ بِبَازٍ كُرَّز

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

و يعمد الشاعر الأندلسي – أحيانا – إلى اختصار عدد من أبيات المعرّي في بيت واحد فيأتي المعنى مكثفا ، أو يقوم ببسطه له وتفصيله بأكثر من بيت ، وقد أثنى ابن رشيق علـــى هذا النمط من التأثر فقال : " إن المُتتبع إذا تناول معنى فأجاده – بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو يبسطه إن كان كزّاً ، أو يبينه إن كان غامضا أو يختار له حُسن الكلام إن كان سَفْسافاً ، أو رشيق الوزن إن كان خافياً ... فهو أولى به من مبتدعه وكذلك إن قَلَبه أو صَـرَفَه عــن

---

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٠٧

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٤٥

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٨٩٢

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ٤٢٣

وجه إلى وجه آخر "[٤]. وممن فصّل وبسط بيتا للمعري الأديب أبو الحسن عبد الكريم القيرواني (الحُلْواني) في قوله [٥]:

هل بعدَ سنِّ الأربعينَ تصابي ... ذهبَ الشبابُ ولاتَ حينَ شَبابِ

هل يَنفعنّك بعد شَبيك في الهوى ... توفيرُ مُكتسَبٍ وحُسْنُ ثياب

هيهاتَ ما فَخْرُ المهنَّدِ في الوغى ... بحُلِيٍّ غِمْدٍ فوقه وقرابِ

ففصّل وبسط بأبياته هذه قول المعرّي[١] :

وإنْ كان في لبسِ الفتى شَرَفٌ له ... فما السيفُ إلا غمدهُ والحمائلُ

لقد أجاد القيرواني في تفصيله لبيت المعرّي دون أن يخلّ بمعناه . ومن ذلك قول أبي بكر بن الملح [٢] :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

له جدولٌ من صارم مُتَسَلِّلٍ ... إلى غُصُنٍ من ذابلٍ متأوِّدِ

هناك ربيعٌ للسيوفِ مُرَجَّسٌ ... قريبٌ أوانٍ من ربيعٍ مورَّدِ

وهو بهذا يشبه قول المعرّي : [٣]

---

[٤] ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي عبد الحميد ، ط٣ ، ١٩٦٤ ، ٢ / ٢٩٠

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ٤ / ١ /٢٩٥ ، أبو الحسن عبد الكريم القيرواني (الحلواني) الأديب أبو الحسن عبد الكريم بن فضال القَيرواني (الحلواني) وهذا هو الذي غرب فدخل صقلية والأندلس وهو أحد الشعراء المجيدين في القرن الخامس . أنظر ترجمته الذخيرة ٤ / ١ / ٢٨٤، الخريدة ٤/ ٢ / ١٨٨ ، المغرب١/ ٥٩ ، ٧٥

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ٢ / ٥٢٦

[٢] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٥٨

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ١ / ١٥٨

رَوْضُ المَنَايَا على أنَّ الدِّماءَ به وإن تَخَالَفْنَ أبَدالٌ من الزّهَرِ

وقد لجأ إلى هذه الطريقة من التأثر ابن صارة الشنتريني بقوله[٤]

حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها ثار الحبابُ مُطالِباً بالثارِ

في درعِ نَضناضٍ كأنَّ أديمَهُ يرنو بأحداقٍ بلا أشْفارِ

ألم في هذين البيتين بقول المعرّي وقصرَ عنهما [٥]:

كَأَثْوَابِ الأَرَاقِمِ مَزَّقَتْهَا فَخَاطَتْهَا بِأَعْيُنِهَا الجَرَادُ

أما من لجأ من الشعراء إلى اختصار مجموعة أبيا ت للمعرّي ببيت واحد أو شطرٍ منه ، ابن المغربي في قوله : [١]

حبيبٌ سرى يستقبلُ الليلَ وَحْدَهُ ويسبقُ آرام الصريم وأُسْدَهُ

فالمصراع الأول كقول المعرّي[٢] :

عَجِبْتُ وقَدْ جُزْتِ الصرَاةَ رِفَلَّةً وما خَضِلَتْ مِمّا تَسَربَلْتِ أنْيَالُ

وقد طلعتْ في الرأس منّيَ رايةٌ ثكلتُ بها هزلَ النعيمَ وجدَّه

---

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٨٤٢

[٥] ابن السيد : شروح السقط ، ٣٠٥/١

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٤ / ٢ / ٥١٠ ، المغربي : هو الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي صاحب ديوان الشعر والنثر ، وله مختصر إصلاح المنطق (٤١٨هـ) شارك في الفتن السياسية في عصره ، وبينه وبين المعرّي مراسلة وإليه وجه المعري رسالة المنيح ، أنظر ترجمته وفيات الأعيان ٢ / ١٧٢ ، النفح ١ / ١٢٠

[٢] ابن السيد : شروح السقط ، ٣ /١٢٢٣ ، ابن بسام : الذخيرة ، ٤ / ٢ / ٥١١

جميع حقوق الطبع محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كلـــوحُ مـــشيبٍ لـــو يكـــون تبـــسماً كما زعموا ما إن بكـــى القلـــب عنـــده

ومـــا زَهَـــراتُ الـــشيبِ فيـــه ظـــوالمٌ كذا العشبُ يـــأتي يـــانعُ الزهـــرِ بعـــده

أخـــذتُ من الدّهرِ التجـــاريبَ جـملةً وقبلَ أشـــدّي ما بلـــغتُ أشـــــده

كما اختصر الأديب أبو علي إدريس بن اليماني العبدري اليابسي أبيات للمعري في بيت واحد إذ يقول :[٣]

لولا اضـــطرام البـــأس فيك لدى الوغى لاخضـــرَّ في يدك الوشـــيجُ الذابلُ

وهو من قول المعرّي [١]:

يَتَهَلَّلـــونَ طَلاقَـــةً وكُلُـــومُهُمْ يَنْهَـــلُّ مِـــنْهُنَّ النَّجِيـــعُ الأَحْمَـــرُ

لا يَعْرِفُـــونَ سِـــوى التَّقَـــدُّمِ آســـيا فَجِـــرَاحُهُمْ بالـــسَّمْهَرِيّةِ تُـــستَر

مِنْ كُـــلّ مَنْ لَـــوْلا تَـــسَعُّرُ بَأْســـهِ لاخْضَـــرّ في يُمْنَـــى يَدَيْـــهِ الأسْمَرُ

وهذا ابن الحداد يختصر كذلك بيتي المعرّي ببيت واحد فيقول ابن الحداد :[٢]

هم كالقريـــض وكســـرُهُ من وَزْنه يبدو مـــن التّحـــريك والإســـكان

---

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣٥٧/١/٣ . أبو علي إدريس بن اليماني العَبْدَري اليابسي : كانت وفاته سنة٤٧٠هـ ، أصله من قَسْطَلَّة الغرب ، من عمل شنت مرية ابن هارون وبدانية قرأ ، وبها نشأ ومنها انبعث انبعاث السَّيْل تردد على ملوك الطوائف بالأندلس ، شاعر جليل عالم . أنظر ترجمته النفح. ٤ / ٧٥ ، ١٥٦،الجنوة ، ٢٦١ ، المغرب، ١/ ٤٠٠

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ٣ /١١١٣

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢ / ٧١٨

[٢] المعرّي : اللزوميات ، ١ / ١٧٦

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز الرسائل الجامعية

فبيت ابن الحداد السابق يشبه قول المعرّي : [٣]

تقـــــــارَبَ عالمُنـــــــا وامتـــــــزجْ فـــزجَّ حياتـــك فـــي مـــن يـــزجْ

فإنـــــي رأيـــتُ طـــويل العـــروضِ مـــــــن متقـــــاربه والهـــــزج

ومما يبدو – بعد الاستقصاء والبحث – أن شعراء الأندلس وكتّابهـا قـد تمثلـوا أدب المعرّي وتأثروا به بطرق متنوعة ، واقتصروا على مضامين وأغراض شعرية دون غيرهـا خاصة تلك التي تتعلق بالفكر والفلسفة والاعتبار بالماضي والنظرة التأملية للحيـاة والمـوت والفخر والوصف . غير أن أكثر تأثرهم انصب على أخذ معانيه وتضمين شعره في مؤلفاتهم النثرية و الشعرية . فتأثروا به شاعراً أكثر منه ناثراً ، وعارضوه ناثراً أكثر منه شـاعراً . وهذا ما سنتبينه فيما يأتي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

معارضات الأندلسيين لتآليف

أبي العلاء المعرّي

حفل الأدب الأندلسي بكثير من المعارضات الشعريّة والنثريّة لشعراء وكُتّاب مشارقة من أمثال أبي تمام والبحتري والمتنبّي والمعرّي والجاحظ والهمذاني والحريري وغيرهم . ويُعد المعرّي واحداً من الذين حظيت مؤلفاتهم بإعجاب الأندلسيين ، فقد نالت مؤلفاته لاسيما النثرية منها حظا من عناية الأندلسيين واهتمامهم ، فاندفعوا إلى معارضتها متخذين منها نموذجا يحتذى في الموضوع والأسلوب .

وممن عُني بمؤلفات المعرّي في الأندلس وعمدَ إلى معارضتها ابن عبد الغفور الكَلاعي (ت٥٦٢هـ) ، فقد عارض رسالة " الصاهل والشاحج "[١] للمعرّي برسالة " الساجعة والغربيب " ، كما عارض رسالة " السجع السلطاني " برسالة تحمل العنوان نفسه ، وقام بمعارضة ديوان " سقط الزند " و" بثمرة الأدب " ، ورسالة " خطبة الفصيح " برسالة " خطبة الإصلاح " [٢] . وخطبة الفصيح من خطب المعرّي التي حظيت بإعجاب أبي الربيع سليمان بن موسى الكَلاعي (ت ٦٣٤هـ) فعمدَ إلى معارضتها برسالة " جهد النصيح وحظ المنيح في مُسَاجلة أبي العلاء المعرّي في خطبة الفصيح " [٣]

ومن رسائل المعرّي التي نالت حظّاً من إعجاب الأندلسيين ، وعارضها مجموعةٌ من كُتّابهم رسالة " ملقى السبيل " [٤] ، فقد عارضها ذو الوزارتين محمد بن أبي الخصال

---

[١] المعرّي : الصاهل والشاحج ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف – القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٤ .

[٢] تعد معارضات ابن عبد الغفور الكَلاعي في حكم المفقودة حيث لم يصل إلينا منها إلاّ نتف أثبتها ابن عبد الغفور الكَلاعي في كتابه إحكام صنعة الكلام ، أما رسالة الساجعة والغربيب فهي غير موجودة في الذخيرة المنشورة ، وموجودة في الذخيرة مخطوطة تلمسان الورقة ١٦٣ب _ ١٦٦أ . ولم أستطع الحصول عليها .

[٣] أبو الربيع الكَلاعي : جهد النصيح وحظ المنيح ، تحقيق ثريا لهي ، منشورات كلية الآداب – الرباط ، ط١ ، ٢٠٠١

[٤] المعرّي : ملقى السبيل ، منشورة في كتاب رسائل البلغاء ، اختيار محمد كرد علي ، ط٣ ، ١٩٤٦

(ت٥٤٠هـ) برسالة تحمل العنوان نفسه [٥] ، كما عارضها أبو الربيع الكَلاعي برسالة " مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعرّي في ملقى السبيل "[١] ، وقد حذا ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) حذو أستاذه أبي الربيع الكَلاعي فعارض رسالة ملقى السبيل للمعرّي برسالة " مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعرّي "[٢] . ويبدو أن معارضة ابن الأبار لملقى السبيل قد حظيت بإعجاب أبي محمد بن هارون القرطبي فعمد إلى معارضتها برسالة " مفاوضة الأجر الجزيل ومراوضة الصبر الجميل "[٣] . كما اتبع أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل التُّجيبي طريقة المعرّي في ملقى السبيل في كتابه " ضياء الأولياء " ، وهو في أسفار عدة ومعشرات زهدية وفصول على حروف المعجم نظما ونثراً [٤]، وممن عُني بمعارضة ملقى السبيل للمعرّي أبو القاسم السُهيلي برسالته الموسومة بـ " حُلية النبيل في معارضة ملقى السبيل " [٥]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[٥] ابن أبي الخصال : رسائل ابن أبي الخصال ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨

[١] المراكشي: الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، القسم الثاني ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٨٦ ، وهي في عداد المفقود حيث لم يصل إلينا منها إلا حرف الكاف الذي أثبته العبدري في رحلته ، تحقيق محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس ، ص ٤٥٦ ، وحروف الراء والفاء واللام ألف التي أثبتتها ثريا لهي في كتابها (أبو الربيع حياته وآثاره) ص ٢٠٢ – ٢٠٣ نقلا عن ملء العيبة لابن رُشَيد .

[٢] ابن الأبار : مظاهرة المسعى الجميل ، نشرها صلاح الدين المنجد ضمن كتابه رسائل ونصوص ، دار الكتاب الجديد – بيروت ، ط١ ، ١٩٦٣

[٣] محمد بن جابر الوادي آشي : برنامج الوادي آشي ، ص٢٩٩ ، وهي في حكم المفقودة

[٤] المراكّشي : الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الثاني ، ص٥٤٥ ، وهي في حكم المفقودة . وأحمد بن معدّ هو أبو جعفر ويعرف بابن الأُقليش . سكن دانية وبها ولد ونشأ ، رحل إلى بَلَنْسية . وأخذ العربية والآداب عن أبي محمد البَطَلْيَوْسي ، ورحل إلى المشرق سنة اثنين وأربعين وخمسمائة ، كان عالماً ، عاملاً ، متصوفا ، شاعراً ، مجوداً ، مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها ، توفي سنة ٥٥٠ هـ .أنظر ترجمته النفح ، ٢ / ٥٩٩ ، إنباه الرواة ١ / ١٧٦

[٥] لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ، ٣ / ٤٧٩ ، وهي في عداد المفقود

ويعرض هذا الفصل للمعارضات النثرية ثم يعرج على المعارضات الشعرية ، في محاولة لمعرفة إلى أي مدى استطاع المعارضون الأندلسيون تتبع طريقة المعرّي في أدبه شكلا ومضموناً .

المعارضات النثرية :

أولا – مَلقَى السَّبيل :

تعد رسالة ملقى السبيل من أكثر رسائل المعرّي التي حظيت باهتمام أدباء الأندلس و معارضتهم لها ، وقد زاوج فيها بين النثر والشعر ، إذ يذكر المعرّي الفكرة في جمل نثرية تنتهي سجعاتها بالحرف نفسه ، ثم يلحقها بأبيات من الشعر تتضمن الفكرة نفسها وتنتهي بالحرف نفسه الذي انتهت به السجعة . وقد بناها على لزوم ما لا يلزم بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف ، مرتبا إياها على حروف المعجم من الألف إلى الياء .

وعلى الرغم من إلزام المعرّي نفسه بإيراد فقرة نثرية واحدة على كل حرف يُتبعها بأبيات من الشعر ، إلاّ أنّه خرج عن هذا الالتزام في حرف الذال وجعله في فقرتين نثريتين لكل فقرة أبيات من الشعر، فيقول : [١]" أما العيش الناعم فَيَلَذَ ، ولكنّ سببه يجِذ [٢] :

يَلَـــذُّ الفتـــى غفـــلات الحيـــاة ... ولـــيس بمُتّـــصِل مـــا يَلَـــذُّ

يَمـــــدُ لـــــه الظـــــنُّ ... ولكنـــها عـــــن قليـــل

آمالَـــــه ... تُجـــــَذُ

---

[١] المعرّي : ملقى السبيل ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨

[٢] يجذ : جذه جذاً ، أي قطعه أو كسره .

العاجلة سبيلٌ منفوذة ، وهي عند أهل الرُّشد منبوذة ، والأنفس بحقٍّ مأخوذة ، لا الدِّرع تَنفع ولا الخوذة :

انفُـــذْ مـــن الـــدُّنيا ولا تَلْتفـــت ... فإنهـــا بـــالعُنف مَنْفـــوذه

حازتْـــك فانبُـــذها إلـــى أهلهـــا ... فهـــي لـــدى الأخيـــار مَنْبـــوذه

ولا تَمَـــسَّكْ بحبـــال لهـــا ... تُـــصبحُ مـــن كفّيـــك مَجْـــذوذه

مَـــأخوذةٌ مانِعـــةٌ فـــي الـــورَى ... نَفْـــسٌ بِحُكـــم الله مَـــأخُوذه

لا سُقْيـــة أَغنـــتْ ولا ... ولا تـَميـمـــات ولا رُقْيـــة ... عُـــوذه "

كما أخلّ المعرّي بالتزام الحرف في فقراته النثرية في حروف الزاي والسين والشين والصاد ، والتزمه في الشعر ، من ذلك قوله في حرف الزاي :[١]" لا تَبْرزي يا غانية ، فإنها الدنيا الفانية ؛ سِتْرك يكلؤه[٢] والداك ، فَلْتُمسك بالنُسك يداك : الوَرَع ذَهبٌ إبريز ، والجَدث حِرْز حَريز ؛ قد تهلك فتاةٌ رُود [٣] ، وتَلْبث مُسِنّة ترود "

وقد اتبع معارضوه طريقته بالبناء من حيث المزاوجة بين النثر والشعر ، ولزومهم ما لا يلزم في فقراتهم النثريّة والشعريّة ، واقتصارهم على فقرة نثرية واحدة لكل حرف يتبعها أبياتٌ من الشعر . أما أبو الربيع فلم يصل إلينا من معارضته – فيما بين أيدينا من مصادر _

---

[١] المعرّي : ملقى السبيل ، ص ٢٨٨

[٢] يكلؤه : يحفظه

[٣] رُود : يانعة الشباب

إلا مجموعة من الشعر نظمها على حروف الكاف والفاء والراء واللام ألف دون نثر ، فيقول في حرف الكاف ، داعياً إلى ترك الحياة وملذاتها والإقبال على الله تعالى بأعمال الخير[٤] :

يَـــا رَاكِبَـــاً فـــي نَيْـــل لَذَّاتِـــه ... مَـــسالِكاً يَعْيَـــا بهـــا الـــسّالكُ

غَرّتْـــكَ دُنْيَـــا مُـــنْقَضٍ شَـــأْنُها ... وأَنْـــتَ لابـــدَّ لهـــا تَـــارِكُ

خلاّبـــــةٌ ســـــلاّبةٌ للنُّهَـــــى ... أَصْـــدَقُ مـــا غـــرَّتْ بـــه آفِـــكُ

مـــا أَمْكَنْـــتَ مِـــنْ وَصْـــلِها طالِبـــاً ... إلاّ انثَنَـــتْ وَهْـــيَ لَـــهُ فَـــارِكُ

حـــذارِ أن تُلفَـــى غَـــداً بَاكِيـــاً ... مِـــنْ طُـــولِ مـــا أَنْـــتَ لهـــا ضَـــاحِكُ

شَـــأْنُكَ وجـــهٌ فـــي الـــدُّجى نَيِّـــرُ ... أســـودُ فـــي عَـــيْنِ الحِجَـــا حَالِـــكُ

مَلّكْتَـــهُ رقّـــكَ لَـــمْ تَـــدْرِ أنْ ... قَـــدْ خَـــسِرَ المملـــوكُ والمالـــكُ

هَـــلاّ لِوجـــهِ الـــحَقِّ كـــانَ وكـــلُّ شَـــيءٍ غيـــرَهُ ... هـــالِكُ "

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية
وكالة الجامعة

ومن خلال موازنة رسالة ابن أبي الخصال ورسالة ابن الأبار برسالة المعرّي ،نجد أن ابن أبي الخصال قد اتبع الترتيب نفسه الذي اتبعه المعرّي في ترتيب حروفه على حروف المعجم حاذفا منها حرف الهمزة . في حين اتبع ابن الأبار الترتيب الأندلسي والمغربي للحروف حاذفا منها حرف الألف. كما نرى أن بعض حروف ابن أبي الخصال قد تشابهت مع حروف المعرّي بالوزن و حرف الروي مثل حروف اللام والميم والباء والواو ، ومنها ما تشابه بالوزن دون الروي كحروف الظاء والعين والفاء ، ومنها ما تشابه بالروي والقافية دون

---

[٤] العبدري : رحلة العبدري ، ص ٢٤٢ . وهو ما رواه العبدري بمدينة تونس عند حلوله سنة ٦٨٨ هـ عن القاضي أحمد ابن الغماز .

الوزن كحرف الهاء . إذ يقول ابن أبي الخصال في حرف الهاء[١] : " وَازِنْ بَيْنَ الهوى والنُّهى ، واعلَمْ أنَّ " إلى ربِّكَ المنْتَهى"[٢] والنَّارُ محفوفَةٌ بالشَّهواتِ فَخُذْ أو فَذَرْ مِمَّا يُشْتَهى ، أَجْرأُ من اللَّيْثِ مَنِ اجْتَرَأَ على اللهِ فيما نَهى ، يَرى الأَمْرَ جدّاً ويَلْهُو مَع مَنْ لَها ، لو صَدَقَتْ عَيْنُكِ لَما تيَمَّتْكَ المها ، ولو كُنْتَ ذا دَهِيٍّ لتهيَّأتَ لدَفْعِ ما دَهى ، أما إنَّ الحَريصَ لَيَبيعَ النُّهى باللُّهى ، ويَعْي عَنِ البَدْرِ ويُتْعِبُ لحظُهَ في السُّهى :

تقـــدَّمْ هـــوى أو تـــأخَّرْ نُهـــى ... فـــإنّ إلـــى رَبـــك المُنْتَهـــى

وقـــد حُـــفَّ بالـــشَّهوات الجَحـــيمُ ... فَخُـــذْ أَوْ فَـــذَرْ كـــلَّ مـــا يُـــشتهى

وأَجْـــرَأُ مـــن كُـــلِّ ذي لِبْـــدَةٍ ... جَـــريءٌ عَلـــى اللهِ فيمـــا نَهـــى

يَـــرى الأَمـــرَ جِـــدّاً ولا يَمْتَـــري ... ويَلْهـــو –علـــى العِلْـــم – فـــيمن لَهـــا

ولـــو صَـــدَقَتْ عَيْنُـــهُ قلبَـــهُ ... لَمـــا تَيَّمَتْـــهُ عُيـــونُ المهـــى!

ولـــو كـــان ذا مِـــرَّةٍ داهيـــاً ... لـــدافع عـــن نفـــسِه مـــا دَهـــى !

وقد يُـذهِبُ الحِـرْصُ عقـلَ اللّبيـــ ... ـــب حتّـــى يبيـــعَ النُّهـــى بـــاللُّهى

ويَعْـــي عـــنِ البـــدْرِ فـــي ... وَيُتْعـــبُ ألحاظَـــهُ فـــي

تِّـــمهِ ... السُّهـــى"

وحرف الهاء من أكثر حروف ابن أبي الخصال تشابها مع حروف المعرّي ، إذ لا يقتصر التشابه على حرف الروي والقافية والمضمون بل إننا نجد تشابها كبيراً بين كلمات ابن أبي الخصال وكلمات المعرّي . إذ يقول المعرّي في حرف الهاء [١]: " المرء نُهى فما انتهى ، ما زال في العاجِلة يزدهى ، إن قيل ما أحسنَ وما أبهى ، فأين صاحبك لما وَهى ، وطال ما

---

[١] ابن أبي الخصال : رسائله ، ص ٣٨٧ .

[٢] " وإن إلى ربك المنتهى " سورة النجم آية ٤٢ .

[١] المعرّي : ملقى السبيل ، ص ١٩٧ .

نَعِم ولها ، ونال في العمر ما اشتَهى ، مابين غِزْلان ومَهى ، دَهاه الزمنُ فيمن دَها ، والله عمر باللُّهى ، مُصوِّر القَمر والسُّها :

المـــرءُ مَعْتـــوبٌ علـــى فِعْلـــه ... كـــم سَـــمِع النَّهـــيَ فـــألاَّ انتَهـــى

زايلـــــه اللهـــــوُ وزار الـــــبِلا ... وطالمـــــا عاينتـــــه مُزدهـــــى

بـــــاهَى زمانـــــاً بالـــــذي نالَـــــه ... ثـــم أتـــى المـــوتُ فـــأين البُهـــى

وهـــت عقـــودٌ كُـــنَّ فـــي عَـــصره ... أحكمهـــا لا عقـــد مـــا قـــد وَهَـــى

مـــــا شـــــهواتُ الحـــــيّ إلا أذَى ... إن نـــال مـــن مُدّتـــه مـــا اشـــتهى

كـــان يُـــرى فـــي غَـــزلٍ دائمـــاً ... ما بـــين غـــزْلا ن لـــه أو مَهـــى

دهـــــــاه بالمَقـــــــدور لـــــم ... خطـــــبَ عـــــن مُهجـــــته إذ

يَدفـــــع الـــ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

دَهـــى"

في حين لا نكاد نلمح ذلك التشابه الذي وجدناه بين حروف ابن أبي الخصال وحروف المعرّي بالوزن والقافية والروي عند ابن الأبار ، ولعل حرف الثاء عند ابن الأبار من أكثر حروفه تشابها مع حروف المعرّي . يقول ابن الأبار في حرف الثاء[1] :" مَنْ على تعاقُب الأعصارِ مَكثْ . وأيُّ وافٍ من الأعمار ما نَكَثْ ،جَمَعَ المرءُ لدُنياه وحَرَثْ ، وفَرَّطَ في جَنْب الله وما اكْتَرَثْ ، لم يُخلق عَبَثاً فما له والعَبَثْ ، يبني القَصْرَ ويُخَرِّبُ الجَدَثْ . أما تُبصِرُ الكَهْلَ هَالِكا والحَدَثْ :

مـــن ذا علـــى الـــدّهر مَكـــثْ ... وأيّ عُمْـــــرٍ مـــــا نَكَـــــثْ

خَـــان الفتـــى مـــا جَمَعَـــتْ ... يُمنـــــاهُ خوفـــــا وحَـــــرَثْ

وحَبطَـــــــتْ أعمالُـــــــه ... فمـــــا بَكـــــى ولا اكتَـــــرَثْ

---

[1] ابن الأبار: مظاهرة المسعى الجميل ، ص ٤٦

تعبَـــــــثُ فـــــــي ســـــــفاهةٍ والمـــــرءُ لـــــم يُخْلَـــــقْ عَبَـــــثْ

يـــــا غـــــامِرَ القَـــــصْرِ أمَـــــا تأسَـــــى لإخـــــرابِ الجَـــــدَثْ

كيـــــــــــف اغتـــــــــررْتَ يَلُـــــــــــفُّ كهـــــــــــلاً

والـــــــرَّدى بحـــــــــدَثْ "

فقد التزم ابن الأبار بروي المعرّي نفسه في حرف الثاء والفكرة نفسها والكلمات نفسها ، إلا أنه زاد عليها ، يقول المعرّي في حرف الثاء [٢]: " من أعظم الحَدث ، سُكنى الجَدَث :

يَـــدوم القـــديم إلـــهُ الـــسماء ويَفنـــى بأقـــداره مـــا حَـــدَث

ومـــــا أرغـــبَ الـــمرءَ فـــي ولكـــــن قُـــصـــاراه سُكـــــنى

عَيشـــه الجَـــــدث

كما نجد تفاوتا في عدد السجعات في الرسائل الثلاث ، حيث تراوحت عند المعرّي من سجعتين يتبعهما بيتان من الشعر في حرف الثاء إلى تسع سجعات يلحقها ثمانية أبيات في حرف الهاء ، وعند ابن أبي الخصال تراوحت من ثلاث سجعات يلحقها ثلاثة أبيات في حرف الثاء إلى عشر سجعات يتبعها عشرة أبيات في حرف اللام ألف ، فمال أسلوبه إلى الإيجاز وقام على "التلوين الصوتي والإيقاعي المتولد عن تعاقب الجمل ، وتوافق فواصلها الغَاية ، أو تؤدي معانيه أداءً معنوياً وموسيقيا في وقت واحد " [١] .

أما عند ابن الأبار فأقلها أربع سجعات يتبعها أربعة أبيات في حرف الذال وأكثرها ثلاث عشرة سجعة يتبعها أحد عشر بيتا من الشعر في حرف الزاي ، مما جعل ابن الأبار – على الرغم من تمكنه من اللغة – يبدو أحيانا كمن " يغوص وراء الألفاظ، ويعمد إلى تمطيط

---

[٢] المعرّي : ملقى السبيل ، ص ٢٨٥ .

[١] فوزي عيسى : الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ، ص ٢٣١

عباراته في محاولة منه لإظهار مقدرته اللغوية حتى لو ظهرت في عرض مكثف وغير متناسق "[٢] .

وهذا على النقيض ممّا يُلمس عند المعرّي وابن أبي الخصال ، فغنى محصولهما اللغوي يشكل معجما لغويا مكنهما من بسط معانيهما بسلاسة ، واختيار الألفاظ المناسبة للمعنى ، ووضعها في مواطنها الصحيحة ، وإن كان الإكثار من هذه الألفاظ قد أضفى على أسلوبهما بعض الغموض[٣] .

ومما يلحظ كذلك أن المعرّي لا يكترث كثيراً إذا تشابهت الكلمات التي يختم بها أبياته الشعرية مع السجعات التي يُنهي بها جمله في فقراته النثرية . من مثل قوله في حرف السين :[٤] " يابن آدم كم تحرس وتحترس ، والموت أسدٌ يفترس ، إن كُنْتَ بجَبل أو وَاد ، فإن الأودية مثل الأطواد ، يسمعها من الله داع ، جَلَّ رب العظمة والابتداع :

أيحتـــرسُ المـــرءُ مـــن حَتْفـــه ... ومـــا جـــاد عـــن يوْمـــه المُحْتـــرسْ

هـــل النـــاسُ إلا نظيـــر الـــسوام ... وآجـــالهم أســـدٌ يَفْتـــرس

يَحِـــلُ الرُّبـــى ويَحِـــلُّ ... ولابـــدَّ للرَّبـــع أن

الوُهـــود ... ينـــدرس"

أمّا ابن أبي الخصال وابن الأبار فالتزما بختم أبياتهما الشعرية بالسجعات نفسها التي تنتهي بها جملهم في فقراتهم النثرية ، بالإضافة إلى تساوي عدد السجعات مع عدد الأبيات

---

[٢] ثريا لهي : أبو الربيع حياته وآثاره ، وزارة الأوقاف المغربية ، ١٩٩٤ ، ص ٢٠٥

[٣] أنظر فوزي عيسى : الرسالة الأدبية ، ص ٢٣٠

[٤] المعرّي : ملقى السبيل ، ص ٢٨٩

غالبا . يقول ابن أبي الخصال في حرف الثاء : [١]" لا تَحزَنْ للوَارثِ ، وتخفَّفْ للكارِث ، فنعم حَرْثُ الحارِث [٢] :

أسْخَنُ عين[٣] قلَّبَتْ طَرْفَها ... عَيْنُ مَريضٍ أبصَرَتْ وارثا

احمل على فَضْل الغنى راضيا ... أو كارهاً لا يَدَّخِرْ كارثا

واحرُثْ لأُخراكَ فكُلٌّ يَلقى ... الذي كان لَهُ امرِئٍ حارِثا "

ومن ذلك قول ابن الأبار في حرف الذال [٤] :"النّفُوسُ أَخائذُ والموتُ أَخَّاذٌ . دَرَجتِ[٥] البُطُونُ وانْقَرَضَتِ الأَفْخَاذُ[٦] . هل أُنسِيءَ أنسٌ أو أُعِيذَ مُعَاذٌ إلى الله المعادُ وهو سبحانه المَعَاذ [٧] :

يا آخِذاً في غَيْر مَسْلَكِ رُشْدِهِ ... لم تَدّكِرْ أنّ الرَّدى أخّاذُ

هاذي الشّعُوبُ أحَلَّهَا بَطْنَ الثَّرَى ... فتلاحَقَتْ ببُطُونِها الأفْخَاذُ

سِيّانَ إمْهَالٌ وإعْجَالٌ مَضَى ... أَنَسٌ على تَعْمِيرِهِ ومُعَاذُ

باللهِ عُذْ وإليه عُدْ ... فاللَّهُ مِمّا تَتَّقِيهِ مُسْتَبْصِراً مَعَاذُ "

---

[١] ابن أبي الخصال : رسائله ، ص ٣٧٢

[٢] الكارث كرَثه : اشتد عليه ، وساءه ، وبلغ منه المشقّة . وتخفف من الشيء : تركه طلباً للخفّة . وحَرَث : كسب وجمع

[٣] سَخِنت عينه : لم تقرّ (كناية عن قلق أو هم أو شر)

[٤] ابن الأبار : مفاوضة القلب العليل ، ص ٥٢

[٥] درجت : ماتت

[٦] الأفخاذ : العشيرة إحدى فصائل البطن

[٧] المَعَاذ : الملجأ

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

يتبين من موازنة الرسائل بعضها ببعض أن الالتزام بالسجع هو الأسلوب المسيطر على مؤلفيها في القطع النثرية ، فقد جاء عند المعرّي " قصيراً تتقارب فواصله ، وتكثر وقفاته ، وتتشابه أوزانه وتتعانق نهاياته " [١]، مما أضفى على النص إيقاعاً موسيقيا متناغماً ولّدته الجمل القصيرة المتتابعة .

ولا عجب أن يلتزم به كلٌّ من ابن أبي الخصال وابن الأبار في معارضتيهما ، لا سيّما أنه كان سائداً في عصرهما ومرغوباً فيه لدى النقاد والكتّاب . يقول ابن عبد الغفور الكَلاعي : " والذي عندي في هذا أن النثر والنظم أخوان ، فكما لا يقدح بالنظم تكلف الوزن والقافية لا يقدح في النثر كذلك السجع "[٢] . غير أنه انعكس على أسلوب ابن الأبار، فمال إلى التكلف والإسراف والصنعة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن هنا فالسجع يكون مقبولاً عندما يحفظ للأسلوب لونا من الموسيقى والجمال ، "ولكنه إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام ، للسجع منهج مرتّب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أخلّ به المتكلِّم أوقع الخلل في كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن الفصاحة "[٣]، وبذلك يمكن القول إن السجع عند المعرّي وابن أبي الخصال كان مقبولاً حيث أضفى على نثرهما لونا موسيقيا.

ومن الخصائص الأسلوبية التي تبدو جلية في الرسائل الثلاث اقتباس مؤلفيها آيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال والأسماء ، فهي تعكس ثقافتهم الدينية إلى جانب ثقافتهم الواسعة في العلوم المختلفة . وأكثر ما نلمح هذه الظاهرة عند ابن الأبار حيث

---

[١] صلاح رزق : نثر أبي العلاء المعرّي ، دار الثقافة العربية – القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١٨٨

[٢] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٣٢٨

[٣] الباقلاني : إعجاز القرآن ، تعليق محمد خفاجي ، دار الجيـل – بيـروت ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص ١١٢ ، أنظر نثر أبي العلاء ص ١٨٥

يظهر تأثره بالقرآن جليا في قوله في حرف الهمزة : " أعيت حماية مَنْ أصلُهُ الحمأ "[١]، وفي حرف الجيم "ويح الإنسان خلق من نطفة أمشاج"[٢]، وفي حرف الدال " فيا حسرة على العباد "[٣] و" هيام في كل واد "[٤] ، وفي حرف الزاي " إن للمتقين مفازاً " [٥] ، وفي حرف القاف "والسماء والطارق "[٦] و في حرف السين قوله " حصحص الحق فما فيه تلبيس " [٧] ، وفي حرف الفاء قوله : " إقراض الله أضعافاً " [٨] .

أما ابن أبي الخصال فيظهر تأثره بالقرآن ومعانيه بقوله في حرف الزاي : " وأنَّ الله بمثقالِ الذَّرَّةِ مُجاز " [٩] ، وقوله في حرف الشين " واللَّيْل إذا يَغْشى " [١٠] ، وفي حرف الفاء " أحسن القرض " [١١] و" خاف العرض " [١٢] ، وفي حرف القاف " الوفّاق والملاءمة "[١٣] ، وفي حرف الهاء قوله " واعلم أن إلى ربك المنتهى " [١] . ومن كلمات القرآن (مَرِيد

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[١]" ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون ". الحجر آية ٢٦

[٢] " إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ". الإنسان آية ٢

[٣]"يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ". يسن آية ٣٠

[٤] ألم ترَ أنهم في كل واد يهيمون ". الشعراء آية ٢٢٥

[٥]" إنّ للمتقين مفازا ". النبأ آية ٣١

[٦]"والسماء والطارق ". الطارق آية ١

[٧]" قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ". يوسف آية٥١

[٨]" من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ". البقرة آية ٢٤٥ ، الحديد آية ١١

[٩]" إن الله لا يظلم مثقال ذرة ". النساء ٤٠

[١٠] " و الليل إذا يغشى ". الليل آية ١

[١١] " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ". البقرة آية ٢٤٥

[١٢] "يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية الحاقة آية ١٨

[١٣] " جزاء وفاقا " . النبأ آية ٦٢

[١] " وإن إلى ربك المنتهى ". النجم آية ٤٢

) في قوله في حرف الباء " ومَرِيد أحْرَقَهُ الشِّهاب " [٢] و (ملحف) في قوله في حرف الحاء " لملحف في حرصه الكادح " [٣] .

وجاء تضمينه للحديث النبوي الشريف في قوله في حرف الهاء " النار محفوفة بالشهوات "[٤] ، وقوله في حرف الصاد " وتركت العزائم والرخص "[٥] . أما أبو العلاء المعرّي فقد تأثر بآيات القرآن الكريم في قوله في حرف الألف " وطالما كذب وافترى "[٦] ، وفي حرف الدال " أما بصرك فحديد "[٧] ، وفي حرف الظاء " ولا تكن في الجواب فظّا "[٨] .

وثمة سمة أسلوبية تبدو بارزة ولا تقل حضوراً عما قبلها ، وهي توظيف المحسنات البديعية من جناس وطباق ، فمن المواضع التي وظف فيها ابن الأبار الجناس قوله في حرف الهمزة " كيف يرجو البقاء من لا يُرجأ ، وتنسى مضضَ الوداع وأنت لا تُنْسأ " ، وقوله في حرف الباء :

أمَـــدُ الحيـــاةِ إلـــى انْقِـــضَاءِ لا مَحَالـــةَ وانقِـــضَابْ

والعُمـــــرُ وَمْـــضَـــةُ والمـــــوتُ حَتـــمٌ فـــي بـــارِقٍ الرِّقـــابْ

وقوله في حرف الخاء :

أمـــــا دَرى أنّ الـــذّي أمّ الـــرّدى لا يُصـــرَخُ

---

[٢] " ويتبع كل شيطان مريد ". الحج آية ٣ ، مَرِيد : هو المتجرّد للفساد .

[٣] " لا يسألون الناس الحافا ". البقرة آية ٢٧٣

[٤] قال رسول الله : " حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات "

[٥] قال رسول الله : " إن الله جلّ ثناؤه يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه "

[٦] " فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ". الأعراف آية ٣٧

[٧] " لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ". ق آية ٢٢

[٨] " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ". آل عمران آية ١٥٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي حرف الطاء " تأبط شراً هل نجا المتأبط " ، وفي حرف الكاف " وآفِكُ الفِكْرِ في الآياتِ مأفوك " كما جانس بين الألفاظ و الألحاظ في قوله " المرء تحصى عيه الألفاظ والألحاظ "، وبين وَعَظَ و وَعْظ و يعاظ في قوله :

طـــــــال وعـــــظ من الليالـــــي بَـــــــــيْدَ أنّـــا لا نَرْعـــــــــوي

فَوَعْظٌ لاتِّـــــــــعَاظ

وطابق بين الرقود والأيقاظ في قوله في حرف الظاء : هل يستوي الرقود والأيقاظ ، وملك وعبد في قوله في حرف الميم : سواء في الثرى ملك وعبد ، وحر وعبد في قوله في حرف العين : الحرُّ عبد الأطماع وبين عزة وذل في قوله :

تواضـــع المـــرء لـه عـــزّةٌ قَعْـــــــــسَاءُ والـــــــذُلُّ هـــــــو

الزّهْـــــنـــــوُ

أما ابن أبي الخصال فكانت فتنته بالسجع أشد من فتنته بألوان البديع الأخرى ، فلم يسرف في استخدامها كابن الأبار ، ومن المواضع التي استخدم فيها الجناس قوله في حرف التاء : كَلِفت بغير ما كُلِّفت ، وأَلِفْت ضدّ ماله أُلِّفت " وقوله في حرف الثاء " فنعم حرثُ الحارث " ، وفي حرف الذال " السابق يَبُذُّ ولا يُبذُّ " ، واغترار و اعتزاز في حرف الزاي .

وعلى الرغم من ولع المعرّي باقتباس كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ..... وتوظيفه المحسنات البديعية ، إلا أنه مال إلى التخفيف منها في رسالته هذه ؛ ولعل هذا عائد إلى طبيعة الموضوع وما يطرحه من آراء تحمل طابع الوعظ والنصح ، فهي تخاطب الإنسان أينما كان ، ولاتقتصر على فئة أو طبقة معينة ، مما دفعه إلى البعد عن التعقيد . ومن المواضع التي جانس فيها قوله في حرف الهمزة :

إنّ الأنـــــــــــــــــــــام ن ويَغْفـــــــــــــــــــــر الله

ليخطئ و الخطيئة

وقوله في حرف الألف :

يفتقر الحيّ ويُثْرى يَصير إلا جثوة في وما الثُّرى

وفي حرف الحاء :

يا أيها الممسك الشحيح سيمرض السالم الصحيح

وجانس بين انفذ و منفوذه في قوله في حرف الذال :

انفذ من الدُّنيا ولا فإنها بالعنف تلتفت منفوذه

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما جانس بين انبذها و منبوذة ، صاغك و يصغي ، اللغو و مُلغي ، الطُغاة و مُطغى ، أكلفت و الكَلف والكُلف ، أسلفوا و السَّلف . وطابق بين جبل وواد ، أودية و أطواد ، ربى وهود ، يفتقر ويثرى .

وبعد هذا العرض لبعض الخصائص الأسلوبية ، والتوقف عند بناء كل رسالة منها يمكن القول إن الرسائل جميعها تدور حول موضوع واحد ، فهي رسائل وعظية زهدية ، و تعالج مضامين متعددة كالحياة وحقيقة الموت وما بعده والقبر ، والإنسان غروره وطمعه ، والبخل والعبادة والقدر و التوحيد و القدر والنسك .... ، وكلها تصبُّ في مصب الزهد والوعظ ، فكلُّ حرف تضمن فكرة معينة وكل جملة من الجمل حملت طابع الحكمة .

وعلى الرغم من اتفاق الرسائل الثلاث في المضمون إلا أن الزهد والتعبير عنه جاء متفاوتاً من حيث التأثر والاقتراب من المعرّي ، و أكثر ما نلمح هذا التفاوت عند ابن الأبار ، فمع محاولته النسج على منوال المعرّي " إلا أن زهده ظل باهتا صادراً عن نفسية غير متشبعة به ، ويظل زهده أقرب إلى التأليف والصنعة ، بخلاف زهد المعرّي الذي يشع بالحرارة والإيمان ، بالإضافة إلى أن المعرّي تمرّس بهذا اللون من الكتابة حتى أصبحت من لوازمه تتحكم فيها ، فيطيل أحيانا ويقصر أحيانا دون أن يخل بسياق الحديث"[١] . أما معارضة ابن أبي الخصال فهي كما قال عنها الشيخ محمد محمود الشنقيطي في فهرسته لما اختار من مخطوطات الأسكوريال العبارة الآتية " ولعمري إن معارضة أبي عبد الله بن أبي الخصال لملقى السبيل إن لم تَفُقْه فليستْ دونه "[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانيا – خطبة الفصيح :

" خطبة الفصيح " كتاب تكلم فيه المعرّي على أبواب الفصيح[٣] لثعلب وضمّنه جميع ما حواه (الفصيح) خطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات [٤] ،و اشتمل على علم جمٍّ وأدب كثير [٥].

وخطبة الفصيح من الرسائل التي حظيت بإعجاب ابن عبد الغفور الكَلاعي ، فعدّها " من أطرف الخطب وأعذبها منحى ومبنى "[٦] ، مما دفعه إلى معارضتها بخطبة الإصلاح التي أنشأها مشتملة على كتاب المُنخَّل وهو مجرد إصلاح المنطق لابن السّكّيت ، إلا أن هذه

---

[١] ثريا لهي : أبو الربيع الكَلاعي ، ٢٠٥

[٢] تعريف القدماء ، ص ٤٥٥

[٣] تعريف القدماء ، نقلا عن إنباه الرواة ، ص ٤١ ، و نقلا عن إرشاد الأريب ، ص ١٠٩

[٤] المصدر نفسه، ٣٨٥ ، فهرسة ابن خير ٣٤٣

[٥] ابن عبد الغفور الكَلاعي : إحكام صنعة الكلام ، ٣٨

[٦] المصدر نفسه ، ص ١٨٠

الخطبة في عداد المفقود لم يصل إلينا منها إلا نتف أو فقرة قصيرة ، أوردها ابن عبد الغفور في كتابه إحكام صنعة الكلام ، يشير فيها إلى الدافع من وراء هذه المعارضة والتأليف في هذا الموضوع تحديداً . فيقول :

" ولما مِلتُ – أعزك الله – بالطالعِ إلى التّفقّه في الشرع ، كرهتُ أن يُخلق بردُ الشباب قبل أن أطرزَه بعلم المتاب . فعمدتُ إلى خطبة الفصيح فعارضته بخطبة الإصلاح . وأولها :

الشباب بحرُ سَفِينهِ التَّقوى ، لا الفُسحة بالبَقْوى ، فقد يُثمر الصِّغر ما يجتنيه الكِبَر كالقتادة [١] أولها خضرة نَضرة ، فإذا أخذت بالجُفوف قابلتْكَ بألذَعَ من السُّيوف . ولما غَمَرني بضَوْجِه مُزْبِدُ مَوْجه ، وناديتُ بعض الأناسي ، فاسلمني كالحوت المنسي ، تذّكرت قوله سبحانه :(فَلوْلاَ أَنَّهُ كانَ من المُسَبّحين لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) . فنزَّهت كَلِمي عن تقريظ المخلوق ، وطيَّبتْه من تمجيد الخالق بِأَرَجِ خُلُوق ، وجعلته في أوفى خَفارة ، ورجوتُه لِمَا درج كَفّاره "[٢] .

ويبدو أن موضوع هذه الخطبة (خطبة الفصيح) وأسلوب المعرّي في كتابتها قد لفت نظر أبي الربيع سليمان بن موسى الكَلاعي ، فعمد إلى معارضتها بـــ (جهد النصيح وحظ المنيح[٣] في مُسَاجلة أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح) وهو العنوان الذي اختاره ليكون عنوان معارضته كما أشار في مقدمته أثناء محاولته الاعتذار عن مطاولته لأبي العلاء ومعارضته فيقول : " وقد سَمَّيْتُهُ تَكْمِيلاً لِمَبْنَاهُ ، وتَعْيِيناً بِعُنْوَانِهِ لِمَعْنَاهُ : كتاب جُهْدِ النَّصيح وَ

---

[١] القتادة : شجر من الشوك

[٢] ابن عبد الغفور الكَلاعي : الإحكام ، ٢٧ – ٢٨

[٣] المنيح : ثامن قداح المسير ، وقيل هو الذي لا نصيب له .

حَظّ المَنِيح مِنْ مُسَاجَلَةِ المَعَرِّي في خُطبَةِ الفَصِيح ، وإنَّهُ لَسِجَالٌ للنّظَر السَّديد بَتَوْهِينِ تعاطيهِ حُكْمٌ و إسْجَالٌ ، وإلاَّ فأَبُو العَلاَءِ وَمَنْ لِمُسَاجِلِهِ بِسَهْمِ المَنِيحِ أو الْغلاءِ[٤]

وابْنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزّ فِي قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ[٥]القناعيس

[٦] "

وقد وضع أبو الربيع الكَلاعي لنفسه منهجية سار عليها في تأليفه ، إذ جاء كتابه في مقدمة وعرض وخاتمة . استفتح مقدمته بآية قرآنية ثم بدأها بالحمد لله – عز وجل – الذي وهب له على الكِبر فكراً نيراً، وبحمده على نعمه الكثيرة التي أفاضها عليه سائلاً إياه أن يهبه الوسائل التي تتيح له تمجيد الله عز وجل، بأن يستوهبه " فَرَاغا يَفْسَحُ بِتَمْجِيدِهِ مَسْرَحَ الْفِكَرِ ، ولِسَاناً إذا أَهَبْتُ به إلى تَسْبِيحِهِ وتحميده تأهَّبَ وَبَدَر، وقَلْباً مَتَى اقْتُضِيَ انْبِعَاثُ الجِدِّ إلى غَيْرِ مَوْرِدِهِ العِدِّ آثر قَبْلَ الوِرْدِ الصَّدَرَ. وَمَعْرِفَة بِقَدْرِ عَارِفَةِ الإسْلاَمِ الذي أَظْهَرَهُ عَلَّى الدِّينِ كُلِّهِ"[١]. ثم يختم استفتاحيته بالصلاة على الرسول الذي أَيَّدَهُ بجوامعِ الكلمِ فَقَصَّرَتْ عنه فَصاحةُ الفُصَحَاءِ .

ثم انتقل إلى الحديث عن الغرض الأساسي من تأليفه ، وهو أن فضل الكلام ما يقال في تمجيد الله عز وجل ، وما يقدمه المسلم إلى أخيه المسلم من نصائح تهديه إلى طريق الرشاد فقال :" فَخَيْرُ ما أجَالَ المَرْءُ فِيهِ أَقْلاَمَهُ ، واسْتَجْلَى الخَاطِرُ بِمُزاوَلَتِهِ ظَلاَمَهُ واسْتَعْمَلَ

---

[٤] الغِلاء : السهم الذي يقدر به مدى الأميال والفراسخ والأراضي التي يستبق إليها .

[٥] اللبون : الصغير من الإبل ، لُزَّ : ربط ، البُزل : البعير القوي ، القناعيس : الشديد

[٦] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ص ٢٧٣

[١] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ص ٢٧٢

المُتَكلِّمُ فيهِ كَلاَمَهُ ، وظيفَةُ تَمْجِيدٍ للّه يُؤَدِّيها ، ونصيحة إرشاد وتسديد إلى أخيه المسلم يُهديها ، وإذا تهيأ له بذلك بَعْضُ الوَفَاءِ ، وبَلَغَ به السَّعْيُ إلى حيْثُ يُخِيلُ مُقارَبَةً الاكتِفَاءِ . "[٢]

ولا ينسى أبو الربيع أن يبين منهجه الذي سار فيه على نهج أبي العلاء فيقول : " وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْتَقِيَ وَاثِقاً بِعَوْنِهِ إلى هَذَا المَقَامِ ، وانْتَقِي في هذه السَّبيل ما أَمْكَنَني مِنْ حُرِّ الكَلاَمِ ، مُوَشّحاً له بالأَلْفَاظ التي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا كِتَابُ الفَصِيحِ ، مُسَاجِلاً في ذَلِكَ لأبي العَلاَء التَّنُوخِيَّ وَلَكِنْ بِسَهْمِ المَنِيحِ "[٣] كما بين أنه في أحيان كثيرة قد يتطلب منه الموضوع أنْ يتشعب الكلام إلى مواضيع فرعيه قد يظنها بعض الناس خارجة عن موضوع التأليف ، إلا أنّه مضطر إلى مثل هذا التشعب لاستيفاء الألفاظ الواردة في الفصيح لثعلب .

كما يتوقف في مقدمته عند الدافع الذي دفعه إلى هذا التأليف فيقول :" وَلَوْ لَمْ يُقَيَّدْ إلاّ مَا يَحْسُنُ به الاعْتِنَاءُ ، وَ يَتَأَكَّدُ التَّحصِيلُ لَهُ والاقْتِنَاءُ ، لَقَلَّتْ حَاجَةُ النَّاسِ اليوْمَ إلى الْقَراطِيسِ وَلَكِنَّهُ قَطْعٌ لِزَمَانِ الْفَرَاغِ، بِمَا يُوهِمُ حُسْنَ الْمَسَاغِ ، وَدَعْوَى في الْبَلاَغَةِ لَعَلَّ فِيهَا لِلْمُنْصِفِينَ وَ الْمُسْتَوْصِفِينَ بَعْضَ البَلاَغِ "[١]

لقد جعل أبو الربيع مؤلفه في واحد وثلاثين بابا ، بدأه بباب فَعَلتُ بفتح العين ، وختمه بباب من الْفَرْقِ[٢] . و يدور موضوعه " حول الزهد بالمفهوم الإسلامي الصحيح ، فهو ليس رفضاً للحياة الدنيا بقدر ما هو استغلال لهذه الحياة الفانية بما يضمن الجنة في الحياة الآخرة " [٣] ؛ لذا فقد انصبّ اهتمامه على عدد من المواضيع التي تتصل بحياة الإنسان وسلوكه داخل مجتمعه ، والتي تكفل له السعادة الدنيوية والأبدية ، فقد تعرض إلى كثير من الجوانب

---

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٧٣

[٣] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[١] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ٢٧٢

[٢] الفَرْق : الاختلاف في مُسميات لأعضاء تشترك فيها كل الحيوانات، أنظر جهد النصيح ص ٤٦٤

[٣] ثريا لهي : جهد النصيح ، دراسة المُحَقِّقة ، ص ٢١٥

الأخلاقية في حياة الإنسان ، مبينا ما على الإنسان الاتصاف به من صفات كالإيمان والصدق والوفاء والكرم والإيثار والإخلاص ، وما عليه الابتعاد عنها كالرياء والكفر والنفاق والبخل والغدر والحسد والعداوة [٤].

كما اهتم بتوضيح النهج السوي الذي على المؤمن أن يسلكه سواء أكان رجلاً أم امرأة أم ابنا أم ابنة أم معلما أم متعلما أم أميراً أم قائد جيوش . ووضح بعض الإشكاليات التي تمس حياة الإنسان اليومية. كما حفل تأليفه بتجارب إنسانية كثيرة . ويحكي أخباراً عن الأمم السابقة والملوك والأفراد والحوادث التي يأخذ منها الإنسان العبرة الدينية والدنيوية . كما دعا إلى أخذ العبرة من سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– فهو النموذج الأعلى والمثل الذي يجب على كل فرد السير على سننه وهديه .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتعرض كذلك لبعض المظاهر التي لحظها في مجتمعه بالانتقاد ، والتي تعود إلى بعض المعتقدات الخاطئة ، ونبّه المسلم على ضرورة مراعاة أداء الفروض الدينية على وجهها الأكمل ، وحضّ على القيام بالعبادات من صلاة وحج وجهاد وصدقة .

ونظراً لضياع كتاب خطبة الفصيح للمعرّي فإننا لا نستطيع عقد موازنة بين الرسالتين ومعرفة مدى تأثر أبي الربيع بالمعرّي ، ولكن ابن عبد الغفور الكَلاعي احتفظ لنا في كتابه إحكام صنعة الكلام بفقرتين من خطبة الفصيح للمعرّي لعلهما تساعداننا في التعرّف إلى طبيعة كتاب المعرّي وأسلوبه لا سيّما أننا لمسنا تشابها بينهما – النصين – وبين نص ابن عبد الغفور الكَلاعي ورسالة أبي الربيع الكَلاعي في الموضوع والخصائص الأسلوبية .

---

[٤] انظر المزيد عند ثريا لهي في الدراسة التي أجرتها على جهد النصيح أثناء تحقيقها لرسالة جهد النصيح ، حيث شملت أهم الخصائص الموضوعية والإسلوبية ص ٢١٧ – ٢٦٢

فكلاهما (المعرّي وأبو الربيع الكَلاعي) يرفضان الشعر القائم على التكسب ، و اتخاذه مهنه يتكسّب منها . فيقول المعرّي [١]: " الشعر إذا جُعِل مكسبا لم يترك للشاعر حَسباً . وإذا كان لغير مكسب حسن في الصفات والنسب . ما لم تُسبَّ المُحصنة ... " . ويقول أبو الربيع الكَلاعي [٢]:

" ولْيَحْذَرْ مَنْ أوتِيَ في تَنْميقِ الكَلاَمِ باعاً ، وأنِسَ من نَفْسِهِ في النَّظْمِ أو النَّثْرِ انْطباعاً أنْ يَغْتَنِمَ لَهُ في سُوقِ الدُّنيا نَفَاقا ، فيستجلِبَ به من غيرِ خَزَائِنَ رَبَّهِ رِزْقاً واتفاقاً ، فَيَجْعَلُ شُكَرَ مَوْلاهُ عَمَّا أوْلاهُ من إبداعٍ وإحْسَان التّعرُّض بنتائجِ إحْسَانِهِ لإنسانٍ ، أفَهَذا جَزَاءُ المُحْسِنينَ ، وَحَقٌّ مَنْ لو شَاءَ لَجَعَلَهُ مِنَ الخُرْسِ إذْ جَعَلَهُ من اللَّسِنينَ ، ولَعَمْري لقد رَخُصَ سِعْرُ الهِمّةِ على مَنْ كانَ الشِّعْرُ لَهُ رأسَ الذِّمَّةِ ، إذا أنْفَقَهُ في ابْتِغَاءِ النَّفَقَةِ وأطْلَقَهُ في مَسْرَحِ الغُلَوَاء الْمؤبِقَةِ[٣] . "

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فأبو الربيع يرفض أن يكون المدح موجها لغير الله عز وجل ، فهو وحده الذي يستحق كل مديح ، إذ إنّ كل ما ينعم به الإنسان من خيرات هو من عطاء الله عز وجل . فلماذا يتحول الإنسان من شكر مولاه إلى شكر عبده .ولا يقتصر اتفاقهما على رفض الشعر الذي يقال بدافع التكسب فقط ، بل نجدهما يحضان على مكارم الأخلاق ، ويدعوان الشاعر إلى القول فيها ؛ لأن الشعر مليء بالحِكَم . فيقول المعرّي :[١] " وإذا رأيت الشاعر فلا تقل : (والشعراء يتبعهم الغاوون) فإن الآية وصلت باستثناء ، وجني السيئة شر الجنى . لا

---

[١] ابن عبد الغفور الكَلاعي : إحكام صنعة الكلام ، ص ٣٨

[٢] أبو الربيع الكَلاعي : جهد النصيح ، ص ٣٧٤

[٣] المؤبقة : المهلكة ، الغُلَواء : المغالاة في الشيء

[١] ابن عبد الغفور الكَلاعي : الإحكام ، ص٣٨

تجهلوا فضيلة الشعر فإنه ينكِّر الناس ، ويحل عزمة الفاتك ، ويعطف مودة الكاشح[٢] ويشجع الجبان :

وإن أشعـر بيـت أنت قائـلـه بيـــت يـــقال إذا أنـشـــدته : صـــدقا "

ونجد أبا الربيع الكَلاعي يدعو إلى القول بالشعر كما قال عمرو بن الإطنابة فيقول :" ولا تَنْسَ ، والله ولكتَّابِهِ المَثَلُ الأعلى ، ما شاكَلَ من الشِّعْرِ أبْيات عَمْرو بن الإطْنابَةِ[٣] ممّا يُؤْنِسُ بِمَكارم الخِلال ويَحْمِلُ عَلَى أخلاق الرِّجالِ ، فمن الشّعْرِ حكمَة ، وكَلِمَةُ الحِكمَةِ ضالَّةُ المُؤمِن ، ورُبّما كان له فيها رحمَةٌ وبها عِصْمَةً "[٤] ؛ ولذلك نجده معجباً بشعراء الجاهلية لأنهم – بنظره – يتجنبون مسالك الشعراء في التكسب بشعرهم فيقول : "وإذا وَجَدَ المَرءُ فَضْلاً منَ القَوْلِ فإمّا أنْ يُصَرِّفَهُ في عَظَمَةِ ربِّنَا ذي الجَلالِ والطَّوْلِ ، وإمّا أن يَقْتَصِدَ خَوْفا مما في الغُلُوّ من الغَوْلِ[١] . ولَقَد كانت الجاهِليّةُ على عِلاّتِها وخَلاّتِها يَتَجنّبُونَ في ذلكَ مَسَالك الأنْذالِ ويَصُونُون هِمَمَهُمْ وأحْسَابَهُمْ عن الابتِذال ، ويَصْرِفُونَ أقوالَهُمْ فيما يَحْضُر لدَيهم ويَكْثُرُ دَوْرُهُ عليهم من الإبل والخيل ... " [٢]

---

[٢] الكاشح : العدو المبغض

[٣] عمرو بن الإطنابة ، وهي أمه ، وأبوه عامر بن زيد مناة الخزرجي شاعر جاهلي ، وقد عدّه حسان بن ثابت من أشعر الناس لقوله :

إنّي من القوم الذين إذا انتدَوا بدأوا بحقِّ الله ثم النائلِ

المانعين من الخنا جيرانهم والحاشدين على طعام النازلِ

أنظر المرزباني : معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ ، ص ٨

[٤] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ص ٤٣٨ – ٤٣٩

[١] الغَوْل : الهلاك

[٢] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ص ٣٧٥

ويبين أن من خالف هذه الأغراض منهم قليل جداً فيقول : " إن وجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يُخَالِفُ هذه المقَاصِدَ ، فَيجْعَلُ القصائِدَ لأغراضِه وَصائدَ[٣] ولآماله قصائِدَ ، فأولئك بالإضافة إلى جمَاهِيرهم قليلٌ وفي أوْصَافهم إذا ذُكِرَتْ على الوَهْنِ دَليلٌ "[٤] .

ومن الصعب أن نتبين الخصائص الأسلوبية لكل من خطبة الفصيح للمعرّي وخطبة الإصلاح لابن عبد الغفور الكَلاعي لفقدان الخطبتين ، إلا أنه يمكننا أن نتوصل إلى بعض الخصائص الأسلوبية المتشابهة بينهما وبين جهد النصيح نظراً لتوافر خطبة جهد النصيح بين أيدينا . إذ يمكننا الربط بين الخصائص الأسلوبية لجهد النصح بما وصل إلينا من الخطبتين السابقتين ، فثمة نص سجله ابن عبد الغفور الكَلاعي من خطبة الفصيح للمعرّي يتشابه كثيراً مع ما ورد عند أبي الربيع الكَلاعي وهو من باب فَعَلتُ بفتح العين . يقول المعرّي :

" الحمدُ لله الذي بفضلِه نَمى المالُ ، وسَمتْ الآمالُ ، ما كانَ للصمدِ أرجٌ ينمي ، وما كان لغيره قمنٌ ينمي[٥] . وما ذوى عودُ شجرةٍ مؤمنة ، وإنّما يذوي عود المفتتة . وإنْ ظننتَ عودَ المؤمنِ ذوى ، فإنّما ظنُّك رمي فأشوى[١] . إنّ شجرة الإيمان لا تتقرض بطول الزمان ، وإذا غوى الرجل فوحده يغوي ، وإن استغوى النفرُ فذلك غوي مغوي ، والله عرَّف ميتا وحيّا ، وعلّم رشداً من البشر وغيا :

---

[٣] وصائد : حظائر تتخذ من الحجارة في الجبال للمال

[٤] أبو الربيع الكلاعي : جهد النصيح ، ص ٣٧٥ – ٣٧٦

[٥] قمنٌ : نتن الرائحة ، ينمي : آذته رائحته

[١] أشوى : رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل .

فَمَـنْ يَلْقَ خَيْرَاً يَحْمَـدِ النـاسُ أمـرَه ومَنْ يَغـــوِ لا يَعـــدَمْ علـــى الغـــيِّ

لائما "[٢]

ويقول أبو الربيع الكَلاعي في الباب نفسه والجمل نفسها مع اخـتلاف بـسيط فـي الأفكار: " وإذا نَميَ في يَدَيْكَ المَالُ ، فاشْكُرْ مَنْ لَهُ الإحْسَانُ والإجمَالُ ، فَمَا بسوى فَـضْلِ الله يَنْمي النَّامي ، ولا بِغَيْرِ وقايتهِ يَخْلُصُ رَاكِبُ المَوَامِي[٣] ، لا تَقُلْ ذَوَى العُـودُ فإنّمـا يَـذوي ويَنْضَرُ بِقُدْرَةِ الذي يُبْدِيءُ وَيُعِيدُ . وإذا غَوى الرّجُلُ فإنما يَغْوي بما سَبَقَ لَهُ بـه الكتـابُ ، فَلْيَسْتَثْبِتِ المُؤْمِنُ ، ولْيَسْتيقِنِ المُرْتَابُ . كُلٌّ إلى قَدَرِ الله مَنْسُوبٌ ، وفي آثارِ عَامِلِهِ – خيـراً كان أو شراً – مَحْسُوبٌ :

فَمَـنْ يَلْـقَ خَيْرَاً يَحْمَـدِ النّاسُ أمْرَهُ وَمَـنْ يَغْوِ لا يَـعْدَمْ علـى الغَـيّ

لائماً "[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

يتبين من خلال هذين النصين ونص ابن عبد الغفور الكَلاعي السابق الالتزام بالأسلوب المسجوع فقد أقام كل منهم فقرته على سجعتين . ففي نص المعرّي المال والآمال ، ينمي و ينمي ، ذوى وشوى، مؤمنة و مفتتنة ، يغوي و مغوي ، حيا وغيا . كذلك أبو الربيع الكَلاعي فقد أقام فقرته على سجعتين : المال و الإجمال ، النامي و الموامي ، منسوب و محسوب . كما التزم ابن عبد الغفور الكَلاعي الأسلوب المسجوع فأقام فقرته النثرية على سجعتين ، التقوى والبقوى ، الصغر و الكبر ، جفون و سيوف ...

ولم يكن السجع الظاهرة الوحيدة الواضحة في أسلوب أبي الربيع فإنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من المحسنات البديعية ، لاسيما الجناس بنوعيه التام و الناقص ،

---

[٢] ابن عبد الغفور الكَلاعي : الإحكام ، ص ١٨٠ – ١٨١

[٣] المَوَامي : ج موماة : وهي المفازة التي لا ماء بها ولا أنيس

[٤] أبو الربيع الكَلاعي : جهد النصيح ، ص ٢٧٥

ومثال عليه من الفقرة التي أثبتناها لأبي الربيع مجانسته بين ينمي و النّامي ، وبين منسوب ومحسوب . أما المعرّي فقد جانس بين غوي و مغوي بالإضافة إلى استخدام الجناس مع السجع في مال و آمال ، ينمي و يذمي ، ذوى شوى.

ومن الظواهر التي تبدو جلية في جهد النصيح تأثر أبي الربيع الكَلاعي بالقرآن الكريم ، واقتباسه لآياته حتى بلغ به الأمر إلى ختم كل باب من أبواب كتابه بآية من القرآن الكريم ، بالإضافة إلى تضمينه الأمثال والشواهد الشعرية . ويبدو أنّ هذه الظاهرة أو السمة قد وجدت عند المعرّي وابن عبد الغفور ، فقد ضمّن كلٌّ من المعرّي وأبي الربيع فقرته النثرية بيتا للمرقش الأصغر دون أن يشيرا إلى اسم الشاعر ، وهذا كثير عند أبي الربيع و لعله آتٍ من تأثره بالمعرّي ، ففي الفقرة التي أوردها ابن عبد الغفور الكَلاعي للمعرّي عن الشعر ، نجد المعرّي قد ضمّن فقرته النثرية بيتا من الشعر دون أن يشير إلى صاحبه . كما ضمن كلٌّ من المعرّي و ابن عبد الغفور فقرته النثرية آية من القرآن الكريم ، ولا عجب من ذلك لا سيّما أننا أمام أدباء على مستوى عال من الثقافة ، يمكن أن نطلق عليها ثقافة موسوعية، بالإضافة إلى أن هذه الخطب تدور حول الزهد وتمجيد الله فمن البديهي أن يكثر فيها تضمين الآيات القرآنية .

وإلى جانب توظيف الجناس نلمح فنا بديعيا آخر زين به أبو الربيع الكَلاعي رسالته هو الطباق ، فقد طابق في فقرته بين يذوي وينضر ، وخير وشر. أما المعرّي فقد طابق بين حي وميت ، ورشد وغي. وطابق ابن عبد الغفور بين الصغر والكبر. كما يلحظ عند أبي الربيع تنوع الأساليب الإنشائية ، فمن الأساليب التي نلمحها في فقرتنا الأسلوب الإنشائي الطلبي خاصة الأمر والنهي وذلك بقوله : فاشكرْ ، فليستثب ، وليستيقن ، ولا تقلْ . وعند المعري نلمحه في فقرته عن الشعر بقوله : فاتقِ ربك ، ولا تقلْ ، ولا تجهلوا

ثالثا – الصاهل والشاحج :

كتاب للمعرّي يتكلم فيه على لسان فرس وبغل صنفه للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي [١] ، يرفع فيه إلى أبي شجاع " شكوى بني أخيه المتعلقة بأرض لهم يقال إنّ عليها مالاً ينبغي أداؤه إلى بيت المال ، وإنها لأرض قاحلة ، لو أن البغلَ الذي يَكدَحُ فيها أنطقه الله تعالى بقدرته ، لجأر مما يكابد فيها من عناء ونصَب " [٢]. وهو كتاب يقدم " تفسيراً تاريخيا لأحداث البيئة والعصر في رؤية بصيرة أبي العلاء الثاقبة ، وتسجل وقعها على وجدان السجين الحر ، فتضيء لنا تلك الفترة التاريخية الدقيقة الحرجة ... كما تقدم عرضا حافلاً مثيراً لأحوال المجتمع وأوصافه وطبقاته وصناعاته ، وتصور الأنماط البشرية للأفراد والجماعات والطوائف وقد سقطت عنها أقنعتها في جفلة الخوف من غزو العدو . [٣]"

وقد حظيت هذه الرسالة بإعجاب ابن عبد الغفور الكَلاعي ، فعارضها برسالة الساجعة والغربيب، يتكلم فيها على لسان حمامة وغراب حذا بها حذو أبي العلاء في الصاهل

---

[١] هو أبو شجاع فاتك بن عبد الله الرومي ، كان والياً على حلب من قبل المصريين في أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر ، وقد قتل في سنة ٤١٣ هـ كما ذكر ابن العديم في الإنصاف ، تعريف القدماء ، ص ٤٥

[٢] الجندي : الجامع في أخبار أبي العلاء ، ٢ / ٧٧٥

[٣] عائشة عبد الرحمن : مقدمة الصاهل والشاحج ، ص٤٠

والشاحج صنفها للوزير الفقيه أبي أيوب بن أمية . وعندما بعثها إليها ردَّ عليه الوزير مبينا إعجابه بها بقوله :[٤]

" بِكْرٌ ما زَفَفْتُها – أعَزَّك الله – نَحْوك ، وهَزَزْتُ بِمَقْدمِها سَنَاكَ وسَرْوَك ، فلم أَلفُظْها عن سَمْع ، ولا جَهِلْتُ ارتفاعَهَا عن كُلّ ما يُجْتلى من نَوعها ويُستَمَع ، ولكن لِما أنِستُهُ من أُنْسِكَ بانسجَاعها ، وحِرصِكَ على ارتجاعِهَا ، دَفَعْتُ في صَدْر الولوع ، وتركتُ بيْنها وبَيْنَ مجاثِمِهَا تلك الرُّبوع ، حيثُ الأدبُ غَضٌّ ، وماءُ البلاغةِ مُرْفَضٌ ، فأَسْعِدْ – أعزّك اللّهُ – بكْرَتَها ، وسَلْها عَنْ أفانين مَعَرَّتها ، بما تقطعه من ثمارك ، وتغرفُهُ من بِحارِكَ ، وتَرْتاحُ له ولإخوانه من نتائج أفكارك ، وإنّها لَشِنْشِنَةٌ تُعْرَف فيكم[١]من أخْزَمَ ، ومَوْهبَةٌ حُزْتُمُوُها وأحْرَزْتُم السَّبْقَ فيها مُنْذُ كَمْ ؟ إن شاء الله تعالى "

ونظراً لعدم وجود رسالة الساجعة والغريب بين أيدينا إلا أنّه يمكن الاعتماد في الدراسة الفنية على ما أورده ابن عبد الغفور من نصوص منها ، يتجلى فيها بعض السمات الأسلوبية المشتركة بينها وبين الصاهل والشاحج ، من أهمها التضمين . فقد عُرف المعرّي بولعه بتضمين رسائله الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار و الأمثال والأخبار .

ورسالة الصاهل والشاحج من أكثر رسائله تضمينا ، خاصة وهي التي " تتجلى فيها روح السخرية المرة والدعابة اللاذعة "[٢] ، بالإضافة إلى استخدامه الألغاز والرموز والتورية

---

[٤] ابن خاقان : القلائد : ٢ / ٤٦٤ – ٤٦٥ ، المقري : النفح : ٣ / ٥٥١ ، وقد نسبت عائشة عبد الرحمن هذا القول في مقدمة تحقيقها لرسالة الصاهل والشاحج للمعري ، استدلت به على معاصرة ابن عبد الغفور الكَلاعي للمعرّي . ص٥٧علماً بأن الكلاعي لم يكن معاصراً لأبي العلاء فقد توفي المعرّي سنة ٤٤٩هـ بينما توفي الكلاعي سنة ٥٦٢هـ

[١] أصل المثل شنشنة اعرفها من أخزم وهو شطر بيت لأبي أخزم الطائي وكان له ... القلائد ، ٤٦٥/٢

[٢] عائشة عبد الرحمن : مقدمة الصاهل ، ص ٤٢

، فكان من الطبيعي أن يستعرض مهارته اللغوية وزخم معرفته بإكثاره من التضمين و الألفاظ الغريبة ؛ ليبرهن لعزيز الدولة أبي شجاع على براعته بالكتابة . فقد وصل عدد الأبيات الشعرية التي ضمنها المعرّي في فقرة واحدة إلى ثمانية عشر بيتا متتاليا .[٣]

وما أثبته لنا ابن عبد الغفور الكَلاعي في رسالته الساجعة والغربيب من نصوص يؤكد ما ذهبنا إليه من أن ابن عبد الغفور أكثر من التضمين في رسالته . يقول : "[١] ومما يجري هذا المجرى[٢] ، وينحو هذا المنحى قولي في رسالة الساجعة والغربيب على لسان حرف العين : ومثلي في ذلك مثلَ هذا الأمير الذي تضمّنَ شخصُه مناقبَ ثواقب ، أما رأيه فمترجم عن مرآة المنجّم إذا انتضاه حُمد ما انتضى ، وإن هزَّه على عداه نفذ ومضى .

يَـــــقُدُّ عليهـــــم كُـــــلَّ درْعٍ و ويَـــفْري إلَيْهـــمْ كُلَّ ســـــورٍ و جَوْشَـــــــنٍ خَـــنْدَقِ

وأما بأسه فلو سامه أسامة لخام ،أورامه هرم لبَعُدَ ما رام . كأنما يعانق من السُّمر اللّدان قدود البيض الحِسان ، ويتعاطى من الصفاح كؤوس الرّاح:

ولا تـــذكراه مـــــــا أقـــــول شجـــاعٌ مَتـــى تُذْكَر لـــه الحـرب فإنـــــه يـــشتق

وأما جوده فجود إذا هطل أحسب . سيان عنده ما ورث وكسب . يرى ضرب الوعد ضربا من خلف الوعد . فهو على وجل وخوف من أن ينطق بالسين أو بسوف :

---

[٣] المعرّي : الصاهل والشاحج ، ص ١٢٦

[١] ابن عبد الغفور الكلاعي : الإحكام ، ص ١٥٢ – ١٥٤

[٢] المقصود بالمجرى المُفصَّل، لأنه فُصِّل فيه المنظوم بالمنثور فجاء كالوشاح المفصّل، الإحكام ص ١٤٤

لقد جاد حتى جاد في كل مِلّةٍ وحتى أتاه الحمْدُ في كُلِّ مَنْطِقِ

أما حياؤه ففي وجه أيّ وجه ، لا يولع بالنجه ، يجري عليه ماء الحياء ، كرقيق الغيم على قمر السماء ، إن عُصي تناسى وما نسي ، وإن أخرج وأقلق لم يزد على أن يقلق ولا يسي .

وإطْرَاقُ طَرْفِ الجفنِ لَيْسَ إذا كان طَرْفُ القَلْبِ لَيْسَ بِنَافِعِ بِمُطْرِقِ

وأما حلمه فلا حَلَمَ أديمه[١]، سيان حديثه وقديمه ، لازب[٢] لا ينزع ، راسب لا يُزعزع ، يغضي على خير وضير ، ويغضّ وليس من نمير[٣] .

وَيَمْتَحِنُ الناسَ الأميرُ برأيهِ وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بكُلِّ مُمَخْرِقِ[٤]

وأما عفوه فعن اقتدار ، وأما بطشه فبعد إنذار واستبصار ، يرى لثم البساط ملياً بالانبساط ، وتقبيل القدم حاقن المهج والدم :

ولَمْ يَثْنِك الأعداءُ عن بمثلِ خُضُوعٍ في كَلامٍ مُهَجاتِهِمْ مُنَمّقِ

---

[١] أي وقع فيه الحَلَم وهو القراد : فسد كدابغة الجلد وقد حلم الأديم

[٢] لازب : لازم شديد

[٣] يشير إلى بيت جرير المشهور : الإحكام ص ١٥٤

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعب بلغت ولا كلابا

[٤] ممخرق : صاحب العبث والأباطيل .

وأما عفافه فعفٌ عف ، لو شاء لم تساعده كف ، طيب معقد الإزار ، لا إيراد له في المحجورات ولا إصدار :

وما كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ عفافه قديراً ، ويُرْضي اللهَ والخيْلُ تَلْتَقِي

وأما عزمه فإذا أمّ وصل ، وإذا همّ فصل ، كأن هواجسه أعمال بِرّ لابدّ لها من ثواب ، وحروف جزاء لا غنى لها عن جواب .

كَسَائِلِه من يَسْأَلُ الغَيْثَ كَعَانِلِه مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ قَطْرَةً أرْفق

وأما انتقاده الأشعار فكانتقاد الصيرفي للدينار ، يهتز للمديح اهتزاز الغصن للريح إلا أنه يسقط بدراً تفوت العدّ ، ويُسقط ذلك ثمراً لا يملأ الصاع ولا المد .

ضَرُوبٌ بِأَطْرافِ السُّيُوفِ لَعُوبٌ بأَطْرَافِ الكَلاَمِ بَنَانُهُ المنَّمق "

لقد زاوج ابن عبد الغفور الكَلاعي في فقرته هذه بين النثر والشعر ، حيث بلغ عدد الأبيات الشعرية تسعة أبيات ، بالإضافة إلى أن القافية التي ضمنها نثره في هذا الفصل من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة الحمداني. وقد غير المؤلف بعض الكلمات وأبدلها بما يجعلها مطابقة لموضوعه [1] ، كما أقام نثره على سجعتين (مترجم و منجم) ، (انتضى و مضى) ، (لخام ورام) (اللدان والحسان) ، (الصفاح و الراح) ، وأكثر

---

[1] أنظر المتنبي : شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٩٨٠ ، ٣ / ٤٨ وأنظر ابن عبد الغفور الكلاعي : الإحكام ، ص ١٥٣ ، ومطلع قصيدة المتنبي :

لِعَيْنَيكِ مَا يَلْقَى الفُؤَادُ ومَا لَقَى وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي ومَا بَقِي

من المحسنات البديعية لا سيّما الجناس ، من ذلك حُلمه وحَلُمَ ، بساطة وانبساط ، مهتز واهتزاز ، سامه وأسامة ، عفّ وعفاف ، انتضاه و انتضى ، إطراق و مطرق ، سائله و يسأل . وطابق بين خير وضير ، عفو وبطش ، المر و البيض ، حديث وقديم . كذلك أكثر من توظيف الصور والتشبيهات .ومن السمات أو الخصائص الأسلوبية التي التقى بها ابن عبد الغفور الكَلاعي مع أبي العلاء المعرّي " التورية "، وهو ما كان باطنه على غير ظاهره[٢] .

يقول المعرّي سالكا هذا المسلك :" العلم يدلُّ على أن الحَسَنَ لم يرَ الحسين قط[٣]، وأن فاطمة – رضي الله عنها – لم ترَ في بيتها عليا[٤]، وقد يجوز أن تكون أبصرته على باب البيت . وكان عليٌّ – رحمه الله – يرحم الأرملة ، ويبرُّ اليتيم ، ويضرب بجدِّ سيفه أم الصبيين[٥]، وقطع يد الفيل[١] على السَّرق ، وجلده على شرب الخمر . وكان يأمر بقتل الأعرج والأعيرج[٢] وهما في الحرم ويكره دخول الأعمى[٣]المسجد . وكان ينصف الخسيس من أهل الأقدار، ويوطىء الجليل [٤] في زمانه القَدم "[٥].

---

[٢]ابن عبد الغفور الكلاعي : الإحكام ، ص١٨٨

[٣]الحسن والحسين كثيبان في بلاد .

[٤]عليا : الفرس الشديد

[٥] الصبيين : هامة الرأس

[١] الفيل : الضعيف الرأي ، الخسيس

[٢] الأعرج : الغراب ، الأعيرج : حية صماء شديدة السم

[٣] الأعمى : الكافر

[٤] الجليل : جبل الشام

[٥] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ١٨٩

وقد سلك ابن عبد الغفور مسلكه واتبع هذا الأسلوب فيقول :[٦] " وكان بمصرنا فقيه مالكي لا يرى أن يصلي [٧]على النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان لا يبالي مع القدرة وعدم الخوف ، صلّى[٨]إلى شرق أو إلى غرب أو إلى جوف . وكان لا يرى في الضِّرس عقلاً قليلاً ولا كثيراً . وكان يرى أن عقل الباكية[٩] خمسون من الإبل وعين الضاحكة [١٠] خمس من الإبل ، وكان لا يرى أكل العِلج[١١] والحُر[١٢] ولا يجيز أكل الأمة . وأما العبد فذكر أنه لا يقدر على ذبحه وأكله" .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رابعا – مقدمة سِقْطُ الزند :

ديوان المعرّي المعروف قاله في أيام الصبا في أول عمره ، وهو من أحسن أشعاره وقد اعتنى به العلماء وشرحوه[١] ، وعارضه ابن عبد الغفور الكَلاعي بكتاب وَسَمَهُ بثمرة الأدب ، ويبدو من كلام ابن عبد الغفور أنه لم يقصر كتابه هذا على الشعر فقط مثلما فعل

---

[٦] المصدر نفسه ، ص ١٩٠

[٧] يصلي : ما ارتفع عن الأرض

[٨] صلّى : يعني الصلاة على النبي

[٩] عقل الباكية : العين

[١٠] عين الضاحكة : كل سن تبدوعند الضحك

[١١] العلج : حمار الوحش القوي السمين

[١٢] الحر : فرخ الحمام

[١] تعريف القدماء ، نقلاً عن الإنصاف والتحري لابن العديم ، ص٥٣٥

المعرّي بل مزج معه النثر . وقد عرض في مقدمة كتابه (ثمرة الأدب) رأيه في الشعر والنثر مبينا سبب تفضيله النثر على الشعر . وأوله كما جاء في الإحكام :

" أما بعد التبرُّك باسم الله العظيم . والتيمن بالصلاة على رسوله محمد الكريم ، فإن البلاغة تنقسم قسمين : منظوما ومنثوراً ، والترجيح بينهما يَمٌّ قَدْ خاض فيه الخائضون ، وميدانٌ قد ركضَ فيه الراكضون . ورأيي أن القريض قد تزين من الوزن والقافية بحلّة سابغة صافية ، صار بها أبدع مطالع، وأنصع مقاطع ، وأبْهرَ مياسم ، وأنور مباسم . وقد كنتُ مولعاً بترصيعه وتصنيعه مائلاً في تقريظه وتَشْنيفه إلى مرتبةٍ كنت أعدها أعلى المراتب . ومنقبة كنتُ أعتقدها أسنَى المناقب . إلى أن رَفَضْتُه رَفْضَ الشُّعلةِ للزِّناد ، ونفضْتُه نفضَ القادم الغانم حافَّ الزَّاد . فنزعت مَنْزَعاً كريما من علم الدِّيانة ، واقتصرت من قِسمَي البلاغة على قسم الكتابة ، لأنَّها أنجحُ عاملاً وأرجَحُ حاملاً ، وأكرمُ طالباً وأسلمُ جانبا . وأنا ذاكر – إن شاء الله تعالى – من هذين الفنَّين ما يُعلَم به أني ما تركتُ الشِّعر عجزاً عنه ، ولا اتخذْتُ النثرَ بدلاً بئيساً منه . بحول الله "[٢] .

ومن خلال عقد موازنة بين مقدمة ثمرة الأدب هذه ومقدمة سقط الزند للمعرّي ، يتبين أن الكَلاعي قد تأثر في مقدمته بمقدمة المعرّي في سقطه . من ذلك قول الكَلاعي معبرا عن موقفه من الشعر في شبابه وعدّه أعلى المراتب ، والذي جاء متفقا مع قول المعرّي : " وقد كُنْتُ في رُبّان الحداثة وجنِّ النشاط مائلاً في صَغْو القريض أعتدّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ."[١] وثمة تشابه آخر نجده في التشبيهات والصور التي عبّر فيها الكَلاعي عن رفضه للشعر ، والتي تبدو متشابهة مع صور وتشبيهات المعرّي في قوله : " ثمّ

---

[٢] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٧

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ١٠/١

رفضته رفض السَّقْبِ غِرْسه[٢] ، والرَّأْلِ تريكته[٣] ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويَجدِب [٤] ."[٥] و نظراً لضياع ثمرة الأدب فلا نستطيع التعرف إلى أي مدى تأثرَ ابن عبد الغفور بمضمون كتابه وشكله مع ما جاء به المعرّي في سقطه .

خامسا – كتاب السجع السلطاني :

كتاب " يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة ، وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته ، ولا قدم له في الكتابة ، سأل أن ينشأ له كتاباً مسجوعاً من أوله إلى آخره ، وهو لا يشعر بما يريد ؛ لقلة خبرته بالأدب ، فألف هذا الكتاب "[٦] وذكر ابن العديم أنه " عمله لبعض الكتَّاب القليلي الصناعة ، ليستعين به على الكتابة " [٧]

وقد عارض ابن عبد الغفور الكَلاعي هذه الرسالة برسالة تحمل الاسم نفسه ، يعود سبب تأليفها إلى ما جرى في أحد المجالس من اتهامه بالقدرة على الكتابة بالإخوانيات فقط وعدم نفاذه في السلطانيات . وقد احتفظ ابن عبد الغفور باستفتاحية رسالته في كتابه الإحكام . يقول فيها :

" ثمَّ حملني – أعزك الله – ما جرى في هذا المجلسِ من الكلام ، وما وجدتُ له في نفسي من الكلام، على تأليفِ كتابٍ على مثالِ السجعِ السلطاني لأبي العلاء المعرّي استفتاحه :

---

[٢] السقب : ولد الناقة أول ما تضعه أمه إذا كان ذكرا . الغِرس : الجلدة الرقيقة التي تخرج على الولد إذا خرج من بطن أمه .

[٣] الرأل : فرخ النعامة . تريكته : البيضة .

[٤] يجدب : يعيب .

[٥] ابن السيد : شروح السقط : ١٠/١ .

[٦] تعريف القدماء نقلا عن إرشاد الأريب لياقوت الحموي ، ص ١٠٧

[٧] تعريف القدماء نقلا عن الإنصاف والتحري لابن العديم ، ص ٥٣٣

بحُكمِ البيانِ رَجحَ القلمُ القناةَ وإنْ كانت أطولَ باعاً ، وفضَلت السَّاجعةُ غيرها وربّما أبصرت أجمل قناعاً ، ولكنْ وجدتُ من الفضل اللِّسان ، ما لا يعرفُ قَدْرَه كلُّ إنسان ، والحمد لله الذي رزقني منه ما إن لم أتَّشِ[١] به بين الأدباء فإني أتميَّزُ له من الأمةِ الوكعاء [٢] ... وقد قَرَعْت من السجع السلطاني ما أُبهِمَ دوني – فيما زَعَم – رِتَاجُه ، وسُلِب من فوْدَيّ – فيما ذكر – تاجُه ، لأحقّق دعوى لمآرب أخرى . وقبل الرَّمْي تُملأ الكنائن ، وكُلُّ ما قُدِّر فهو كائن ، وبالله التوفيق "[٣].

تُظهِر هذه الاستفتاحية ولع ابن عبد الغفور في الإكثار من السجع ، إذ أقام جمله على سجعتين متقابلتين كقوله : (باعا و قناعا) ، (اللسان وإنسان) ، (الأدباء و الوكعاء) ، (رتاجه و تاجه) ، (الكنائن و الكائن). وهو أمر بديهي لا سيما أن أسلوب السجع كان من أكثر الأساليب شيوعا في كتابات أبناء عصره.

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المعارضات الشعرية

عرّف أحمد الشايب المعارضة الشعرية بقوله : " أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة ، فيقول قصيدة في بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها مع انحراف عنه يسير أو كثير ، حريصا على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سبّه ، ودون أن يكون فخره صريحاً علانية ، فيأتي بمعان أو صور بإزاء الأولى تبلغها

---

[١] اتشِ ، الاتشاء : افتعال من الوشي وهو التحسين .

[٢] الوكعاء : الحمقاء

[٣] ابن عبد الغفور الكلاعي: الإحكام ، ص ٢٤– ٢٥

في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل . وجمال التمثيل ، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة "[١]

ويرى محمد نوفل أن اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية وحركة الروي والغرض والموضوع يجعل المعارضة تامة ووافية ، وأن أي اختلاف في هذه العناصر الثلاثة يجعلها ناقصة [٢] .

يتبين مما سبق أنه لا بد من توافر ثلاثة عناصر أساسية لتتم المعارضة هي الاتفاق بالموضوع ، والوزن والقافية . وهو ما لم يتحقق إلا في مجموعة قليلة من الأشعار الأندلسية التي عارض بها أصحابها أشعاراً للمعرّي ، فقد اقتصرت معارضتهم – فيما أعلم – على معارضتين لقصيدة المعرّي الدّاليّة ، ومقطوعات شعرية غينية عارض بها أصحابها أبيات المعرّي الغينية .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولمعرفة وجه التقارب والتشابه بين المعارضات والأصل ، لا بدّ من الوقوف على النصوص

وعقد موازنة بينها . وأول ما يقابلنا منها داليّة المعرّي ومطلعها :[٣]

أرَى العَنْقاءَ تَكْبُرُ أنْ تُصادَا فَعَانِدْ مَن تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا

---

[١] أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٤ ص٧ .

[٢] محمد محمود نوفل : تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ؛ ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١٣ .

[٣] ابن السيد : شروح السقط ، ص ٥٥٣

وهي قصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها ستين بيتاً ، عارضها اثنان من شعراء الأندلس و هما ابـــن

عطيون التُجيبي[١] وأبو بحر بن عبد الصمد[٢] . لم يصل إلينا من هاتين المعارضتين إلا مجموعة أبيات

، يمكن من خلالها تلمس نقاط التقارب بين داليّة المعرّي ودالية كل منهما .

ومن أوجه التقارب بين الداليات الثلاث أن موضوعها واحد يصبّ في المدح . فقد قال المعرّي قصيدته في مدح قوم من الصعاليك نزل بديارهم موجها أكثر مديحه لرئيسهم ، وقال ابن عطيون قصيدته في مدح المتوكل بن المظفر بن الأفطس . أما ابن عبد الصمد فقد وجه مدحه للوزير أبي بكر الوليد ابن الشاعر المعروف ابن زيدون . وقبل الولوج إلى عالم الممدوح لا بدّ من الإشارة إلى المنهج الذي اتبعه كل واحد منهم في بناء قصيدته .

من الملاحظ أن المعرّي لم يدخل إلى موضوع المدح مباشرة بل صدّر قصيدته بمقدمة يشكو فيها الدهر ، مبينا معرفته به وبأحكامه، وأن الإنسان لا قدرة له على معاندته وما عليه إلا الرضا والتسليم بحكمه ، كما يُظهر تنمره من الناس لما يتصفون به من الغدر وقلة الصفو والود . فيقول شاكيا الدهر بالإضافة إلى المطلع [٣]:

---

[١] ابن عطيون : هو أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التُجيبي الطليطلـــي . أحـــد بحـــور البراعة ورؤوس الصناعة ، قال الشعر متحببا لا متكسباً ، وألمّ به مترنَّما لا متزيناً ، أنظر الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٧٧٣ ، المغرب ، ٢ / ١٦

[٢] ابن عبد الصمد : هو الأديب أبو بحر يوسف بن أبي القاسم بن أحمد . جدهم الأول كـــان أحـــد أمـــراء الأندلس قبل دخول بني مروان ، مات أبو بحر في دولة بني صمادح سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، أنظر المغرب ٢ / ٢٠٣ ، الذخيرة ٣ / ٢ / ٨٠٩

[٣] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٢/ ٥٥٤ ، ٥٥٥

ومَـــا نَهْنَهْـــتُ[١] فـــي طَلَـــبٍ ولكِـــنْ هـــــي الأيّـــامُ لا تُعطـــــى قِيـــادَا

فَـــــــلا تَلُمِ الـــــسَّوابِقَ والمَـــطَايا[٢] إذا غَـــرَضٌ من الأغـــْراض حـــــادا

لَعَلـــــكَ أنْ تَـــــشُنَّ بهـــا مَغـــَاراً فتُنـــــجِحَ أو تُجشِّمَـــــها طـــــرَادا

ويبدو أن هذا النهج قد راق لابن عطيون وإن لم يَظهر بالقوة نفسها التي ظهرت عند المعرّي ، إلا أنه يبين أن الإنسان عاجز عن نيل كل ما يتمناه ، فهو محكوم للأقدار ومصيره متعلق بالغيبيات . فيقول : [٣]

أمِـــنْ كيـــوانَ[٤] أطلـــبُ أن أُقـــادا لقـــد أعظمـــتُ شَـــأوي ذا بعـــادا

وفـــي الأرضـــينَ أعجـــزُ عـــن مـــداه فكيـــف أرومُهـــا ســـبعاً شـــدادا[٥]

ومقـــصـــورٍ علـــى الآفـــاق يـــراوح بالـــبرى إن لـــم أمســـى يـــغادى

---

[١] نهنهت : كففت

[٢] السوابق والمطايا : الخيل والإبل

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ /٢ / ٧٧٧

[٤] كيوان : نجم

[٥] سبعا شدادا : السموات السبع

وقد اتبع ابن عبد الصمد النهج نفسه وصدّر قصيدته بأبيات تدور حول الزمن وتقلبه وقدرته على قلب الأمور ، ويستدل على رأيه بقوله : [٦]

زمـــانٌ يمنـــعُ الخيـــلَ الطّـــرادا وســـيرٌ يحـــسب النّخْـــل القتـــادا[١]

وأيـــامٌ تُغَلِّـــبُ كـــلَّ ضـــدٍّ وتخلعُ في رضـــىَ النعـــل النجـــادا[٢]

وقـــد جـــبن الـــشجاعُ فلـــيس يـــدري أيـــرتبطُ الحمـــارَ أم الجـــوادا

كما يلتقي ثلاثتهم في نسب صفتي الشجاعة والكرم لممدوحيهم ، فالمعرّي يرى أن ممدوحه شجاع لم يتوانَ في يوم من الأيام عن القتال والغزو ، وهو ممن يجيدون القتال بالرماح الطويلة دلالة على حذقه بها وتمكنه منها . أما كرمه فيستدل عليه المعرّي من عماد بيته المرفوع ليكون على مرأىً من الضيوف، وإكرام أهل بيته فهو يعمل على إعالتهم ويقوم بمعاشهم ، ويطعم الضيف ويدافع عنه بترسه . فيقول :[٣]

وأطْـــوَلِهِمْ إذا ركِبُـــوا قَنَـــاةً وأَرْفَعِهِـــمْ إذا نَزَلـــوا عِمَـــادا

أبَـــنّ الغَـــزْوَ مُكْـــتَهِلاً وبَـــدْراً وَعُـــوِّدَ أن يَـــسُودَ ولا يُـــسَادا

وَيَغْبُـــقُ أَهْلَـــهُ لَـــبَنَ الـــصَّفَايا ويَمْـــنَحُ قُـــوتَ مُهْجَتِـــه الجَـــوَادا[٤]

---

[٦] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٨١٢

[١] القتاد : شجر له شوك

[٢] النجادا : حاملة السيف

[٣] ابن السِّيد : شروح السقط ، ص ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥

[٤] يغبق : الغَبُوق : شرب العَشِيِّ ، الصفايا من النوق : الكثيرة اللبن

يَـــــرُدُّ بِتُرْسِـــــه النكْبَـــــاءَ عنّـــــى وَيَجْعَـــــلُ دِرْعَـــــه تحْتَـــــي مهـــــادا

ويرى ابن عطيون أن ممدوحه لا يقل مكانة عن ممدوح المعرّي ، فبه عمّ الخير، وهو كريم يسد الحاجات ، مترفع انصرفت نفسه عن الدنايا وولعت بالمعالي ، في حين ولع غيره باللهو والترف واللغو ، كما أصلح الأوضاع بعد فسادها . ونظراً لما اتصف به فهو أحق الناس بالمدح فيقول :[١]

يـــراعُ الـــدهرُ مـــن عَزَمـــاتِ شـــهمٍ يعفّـــي مـــا أفـــات بمـــا أفـــاد

عـــزوفُ الـــنفسِ يكَلَـــفُ بالمعـــالي إذا كلفـــوا بـــسعدى أو ســـعادا

علـــيَّ أليَّـــةٌ[٢] مـــا دمـــتُ حيـــاً أخـــصُّ بمـــدحتي إلا جـــوادا

فلـــمْ نلـــقَ الكـــرامَ ألفيـــتَ مـــن عـــوَزٍ سِـــواك إلاّ ســـدادا

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا يكتفي ابن عطيون بهذا الوصف بل يجعل الأيام تأْتَمِر بأمره وتفعل ما يريد لا ما تريد ولعله مبالغ في هذا الوصف . فيقول : [٣]

وتُمـضِـــي حُكْـــمَهُ الأيـــامُ فتـــتركُ ما تريـــدُ لمـــا قـــسَراً أرادا

أما الممدوح عند ابن عبد الصمد فكريم لا يضاهى ولا يُساد وإن كرمه شمل العباد ، ولولا مجد ممدوحه لما استطاع قلمه أن يجيد النظم ، غير أنه لم يُقدَّر حق قدره ، فزهد به قومه مثلما زهدت طيء في أبي تمام وإياد في كعب . فيقول : [٤]

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٣ / ٧٧٨

[٢] آلية : يمين

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ /٢ / ٧٧٨

تتزّهـــك العـــزائم أن تـــضاهَى ... وتمنعـــك المكـــارمُ أن تـــسادا

فـــإن خـــصَّتك بالحمـــد القـــوافي ... فقـــد عمَّـــتْ أياديـــك العبـــادا

أجـــادَ نظامَهـــا قلمـــي وحلّـــى ... ولـــولا وصـــفُ مجـــدك مـــا أجـــادا

أبـــا بكـــرٍ تقـــولُ لـــي القـــوافي ... وجـــدتَ البحـــر فـــاطّرحِ الثمـــادا

فإن زَهـــدَّتَ طيّـــا فـــي حبـــيبٍ ... فقـــد زهـــدّتَ فـــي كعـــبٍ إيـــادا

وبينما يختم المعرّي قصيدته بالافتخار بنفسه نجد كلاً من ابن عطيون وابن عبد الصمد يختمان معارضتيهما بالدعاء للممدوح ، فيقول ابن عطيون داعياً الله أن يبقي المتوكل ويزيده مجداً :[١]

فأبـــقاك الـــذي أعطـــاك أبـــنيـــ لـــك حُكْـــمُهُ إلاّ مجـــدا انفـــرادا

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما ابن عبد الصمد فيطلب من الزمان أن يبعد الهموم عن أبي بكر وأن لا يصيبه حادث أو مرض يقعده . فيقول :[٢]

فلا جلـبَ الزمـان إليـكَ همـّاً ... ولا مَنَعـــــتْكَ حـــــادثة رقـــــادا

وقد رسم كلٌّ واحد منهما(ابن عطيون وابن عبد الصمد) صورة جميلة للممدوح تعبر عن مكانته عند الناس ؛ فذِكْر المتوكل أصبح حديث السّمار في سهراتهم وسمرهم ،

---

[٤] المصدر نفسه ، ٣ / ٢ / ٨١٣

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٧٧٩

[٢] المصدر نفسه ، ٣ / ٢/ ٨١٣

ومديحه أصبح زادا للمسافرين يضعونه في حقائبهم . وهذا دلالة على انتشار ذكره وعلو قدره بين الناس وملازمته لهم في بقائهم وترحالهم . فيقول ابن عطيون :[٣]

فصيـــــرّ ذكـــــركَ السّـــــمّارُ وأحقـــبَ مدْحَـــكَ الركبـــــــانُ

أُنـــساً زادا

أما ابن عبد الصمد فقد رسم لممدوحه صورة بديعة إذ جعل الناس عينا وأبا بكر السواد الذي بين جفني هذه العين يرى به كل شيء . فيقول : [١]

فـــإن الـــــــناسَ والأيـــــــامَ وَجَدْتُـــــــكَ بـــين جفنيـــــها

عـــــــينٌ سوادا

وتبدو هذه الصورة قريبة من الصورة التي رسمها المعرّي لنفسه ، مبينا فيها معرفته بالدهر وأحكامه وتصاريف لياليه . فشبه الدَّهر بالإنسان وشبه نفسه بلفظ في لسان الدَّهر ، يعبر عن خفيات معانيه ، وتحته أغراض بعيدة لا تُعلم وأسرار لا تفهم . يقول المعرّي :[٢]

كأنـــّي في لِســـَانِ الدَّهـْرِ لـَفْظٌ تَـــضَـــــمَّنَ مـــــنْهُ أَغْرَاضـــــا

بِعـــــَادا

وثمة تشابه بين المعرّي وابن عطيون في رسم صورة الخطوب وبيان موقف كل واحد منها . فكلاهما لا ينكر أثرها غير أن المعرّي سار باتجاه تيارها وهونَّها عليه وأعطاها وده فهي جزء منه . فشبه قلبه بالأرض والخطوب بالنبتة التي نمت فيه ، فهو لا يستطيع

---

[٣] المصدر نفسه، ٣ / ٢ / ٧٧٩

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٨١٣

[٢] ابن السِّيد : شروح سقط الزند ، ص ٥٦٣

إنكارها كالأرض التي لا تستطيع إنكار الشوك فربط بين الخطوب والشوك بما يُلْحِقَانه من أذىً . فيقول المعرّي : [٣]

وَهَوَّنْتُ الخُطُوبَ عَلَيَّ حَتَّى ... كَأَنِّي صِرْتُ أَمْنَحَهَا وِدَادَا

أُنكِرُهَا وَ مَنْبِتُهَا وَكَيْفَ ... تُنَكِّرُ الأَرْضُ فُؤَادي القَتَادا

أما ابن عطيون فقد عانى كثيراً من مصائب الدهر فبعد أن كان تصبره يشبه الدرع الواسعة الصلبة التي لا يستطيع كسرها إلا رؤوس المسامير والحدادة ، استطاعت أسهم الخطوب النفاذ إليه . فيقول : [٤]

ألُوذُ بعطفِ مجدك من خطوبٍ ... تخوَّنتِ الطوارف والتلادا[١]

وأنفدتِ التجمّلَ وهو فُلٌّ ... قتيرها الأسَلَ زَعفٌ الحدادا [٢]

ونظراً لقلة ما بين أيدينا من أبياتٍ لابن عطيون وابن عبد الصمد فإننا قد نلمح التقاء بين المعرّي وابن عطيون ولا نلمحه عند ابن الصمد ، وكذلك العكس ، قد نجد التقاء بين المعرّي وابن عبد الصمد لا نجده عند ابن عطيون . ومن الأمور التي يظهر فيها تأثر ابن عبد الصمد بالمعرّي ولا نلمحها عند ابن عطيون غلبة الحكمة على بعض أبياته وإن لم تكن بالكثرة التي لمسناها عند المعرّي . من ذلك قول ابن عبد الصمد : [٣]

---

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥٦١

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٧٧٩

[١] الطوارف : الطارف الحديث والمستفاد من المال ونحوه وهو خلاف التالد

[٢] زعف : الدرع الواسعة ، يفلّ : كسره في حده ، قتيرها : رؤوس المسامير في حلق الدرع . الأسل :رققه

[٣] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٨١٢

عليــك الجــدّ فــي طلَــبِ المعــالي ولــيس عليــكَ أن تُعطــي القيــادا

فأسْــنى المجــد مــا أدركــتَ ســعياً وخيــرُ الــسَّعي مــا كــان اجتهــادا

ولا يقْنعــــكَ عيــــشٌ فــــي خمــــول فغيــــرُ البــــازِ مَــن صــــادَ الجــــرادا

أما الحكمة فتظهر عند المعرّي بأكثر من موضع منها : [٤]

فَظُــــنَّ بِــــسائِرِ الإخْــــوَانِ شَــــرّاً وَلا تَــــأمَنْ عَلَــــى سِــــرٍّ فُــــؤَادا

فلَــــوْ خَبَرَتْهــــمُ الجَــــوْزَاءُ لمــــا طَلَــــعَتْ مَخــــافَةَ أن خــــبْرِي تُــــكَادا

وثمة التقاء واتفاق بين القصائد الثلاث في البحر ، فقد أقام المعرّي قصيدته على بحر الوافر مفاعلتن مفاعلتن فعولن ، وكذلك قامت قصيدة كلٍّ من ابن عطيون وابن عبد الصمد على البحر نفسه . هذا بالإضافة إلى اتباع ابن عطيون وابن عبد الصمد القافية نفسها والروي نفسه الذي اتبعه المعرّي في داليته، وقد أشار محمد نوفل إلى أن هذه الرنة الموسيقية التي أخرجها المعرّي في داليته كانت من الدوافع التي دفعت ابن عبد الصمد لمعارضتها[١] .

ومما يلفت النظر أن تتبع ابن عطيون وابن عبد الصمد للمعرّي لا يقتصر على الاتفاق معه بالموضوع والبحر والقافية والصور ، إنما امتد إلى الألفاظ ، فألفاظهما تجاري فخامة ألفاظ المعرّي وإن لم تفقها ، فقد أحسن المعرّي في انتقاء ألفاظه لتسمو بمعانيه ، كما أبدع في اختيار كلماته الدالية التي " تدل على تمكنه من اللغة وبراعته في توظيف مفرداتها

---

[٤] ابن السِّيد : شروح سقط الزند ،٢/ ٥٥٩

[١] محمد نوفل : تاريخ المعارضات ، ص ١٢٣

في تراكيب مخصوصة "[٢] ، كما تدل على زخم معجمه اللغوي . وتبعه ابن عطيون وابن عبد الصمد باختيار الكلمات الدالية نفسها التي اختارها المعرّي ، ووضعها في عبارات تخدم ما يرميان إليه من معان وهي كثيرة . منها لفظة (ثمادا) يقول المعرّي :[٣]

كَأنَّ ظِمـاءَهُنَّ بَنـاتُ نَعـشٍ يَـــــــــرِدْنَ إذا وَرَدْنَ بِنَـــــــــــا

الثِّمـــــادَا[٤]

أي أن الإبل لشدة عطشها ،إذا ظفرت بالمياه القليلة فكأنها ظفرت ببنات نعش لسرورها بما نالته . ويقول ابن عطيون مستخدما الكلمة نفسها : [٥]

ونكـرعَ في نمـير طالـما قـد رشفنا دون جَمّـــــــــــتِهِ

ثمـــــادا[٦]

بعهد المتوكل سرنا نتناول المياه الطيبة الصافية دون إناء دلالة على وفرتها بعد ما كنا نمصها بشفتينا لقلتها ، دلالة على الرخاء والكرم الذي عمّ في زمن الممدوح. ووردت كلمة (ثمادا) عند ابن عبد الصمد بقوله :[١]

---

[٢] مصطفى السعدني :البناء اللفظي في لزوميات المعري ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، ص ٩٠

[٣] ابن السِّيد : شروح سقط الزند ، ٢/ ٥٧٢

[٤] بنات نعش : نجوم مجتمعة في السماء ، الثمادا : مياه قليلة تكون تحت الرمل

[٥] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ /٢ / ٧٧٨

[٦] نكرع : تناوله بغية من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء ، رشفنا : مصّه بشفتيه . جَمّت البِّر : تراجع ماؤها بعد الأخذ منها . نمير : الطيب من الماء

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٣ / ٢ / ٨١٣

أبا بكـــر تقول لـــي القوافـــي وجـدت البحـــر فاطـّرح الثـمادا

أي أن شعره لا يستحقه إلا أبو بكر فهو بمثابة البحر دلالة على كرمه ، في حين الباقي هم ثماد مقارنة به . ومن كلمات المعرّي الدّاليّة التي استعان بها ابن عطيون وابن عبد الصمد في معارضتهما ، قتادا ،و نجادا ،و جوادا ،و قيادا ،و سوادا ،و رمادا ،و تسادا ،و زادا ،و تقادا ...

وثمة مقطوعة شعرية غينية للمعرّي حظيت بإعجاب عدد كبير من شعراء الأندلس على مدى أكثر من قرن ، فحذوا حذوها ناسجين على طريقته ، وسالكين مسلكه من حيث المضمون والشكل ، يقول المعرّي :[٢]

رَغبـــتُ إلـــى الـــدنيا زمانـــا فلـــم تَجُـــدْ بغيـــر عَنـــاءٍ والحيـــاة بـــلاغُ[٣]
وألقـــى ابنـــه اليـــأسُ الكـــريم وبنتـــه لـــدىّ ، فعنـــدي راحـــةٌ وفـــراغُ
وزاد فـــسادَ النّـــاسِ فـــي كـــلِّ بلـــدةٍ أحاديـــثُ مَـــيْنٍ تُفتـــرى وتُـــصاغُ
ومن شرِّ ما أســرَجْتَ فــي الــصُّبح والــدُّجى كُميـــتٌ لهـــا بالـــشّارِبينَ مَـــراغُ[٤]

لقد أقام المعرّي مقطوعته على بحر الطويل والتزم فيها حرفي الألف والغين المضمومة ، دعا فيها إلى الزهد في الحياة الدنيا ، وعدم الإصغاء لملذاتها ؛ لأنها لا تأتي إلا بالتعب والمشقة ، كما دعا إلى الابتعاد عن اللغو في الحديث والكذب . وبما أن النزعة الزهديّة طغت وانتشرت في القرون السادس والسابع والثامن الهجريّة وإن لم يكن بانتشار

---

[٢] تعريف القدماء ، نقلا عن تاريخ الإسلام للذهبي ، ص ١٩٨
[٣] بلاغ : ما يتبلغ به
[٤] مراغ : مخادع

التصوف ، فلا عجب أن تحظى هذه المقطوعة بإعجاب أبي الربيع الكَلاعي فقام بمعارضتها ملتزماً البحر نفسه والقافية نفسها والموضوع نفسه فيقول :[١]

قنعـــتُ مِـــنَ الـــدّنيا ببلغـــة مُكْتَـــف ... ألا إنَّ عـــــيشَ المُكْتَفـــين بـــــلاغُ

وهـــلْ ثـــروةٌ فاتـــتْ غـــضارتها يـــدي ... إذا كـــــان عنـــدي صِـــحّةٌ وفـــراغُ

وقـــد لاحَ وجـــهُ الحـــقِّ أبلـــجَ ســـافرا ... فمـــا عُـــذرُ مُـــصْغٍ للمُحَـــال يـــصاغُ

وأعجـــبُ ممّـــنْ ضـــلّ بـــالموتِ مُوْقِنـــا ... فكـــــان لـــــسلْوانٍ لديـــــه مـــــساغُ

وما الـــمرءُ إلا نصـــب راشـــقة الردى ... وليـــسَ لهُ عنْ أن يصـــاب مـــــراغُ

وعارضها في القرن السابع الهجري ابن الأبار تلميذ أبي الربيع الكَلاعي . إذ يقول :[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع رسائل الجامعية

بأنْفُـــسِنا لِلْمـــوتِ شـــغلٌ وقَبْـــضِهَا ... فَفِـــيمَ انبِـــسَاطٌ خَـــادعٌ وفَـــراغُ

أمَـــا للمنايـــا والأمـــانيُّ ضِـــلّةٌ ... مَغَـــارٌ مُبِيْـــدٌ لـــيسَ منْـــهُ مَـــراغُ

يـــصاغُ بنـــو الـــدّنيا لتجريـــع حَرِّهَـــا ... فيـــا عجبـــاً للعَـــذْبِ كيـــفَ يُـــساغُ

تَبَلَّـــغْ بقُـــوتِ اليـــومِ فـــالعُمْرُ خُلْـــسةٌ ... وقـــدِّمْ جمـــيلا فالحيـــاةُ بـــلاغُ

ولا تتّبِـــعْ فـــي الغَـــيِّ آثـــارَ مَعْـــشَرٍ ... ذوي الـــشَّرِّ كـــم لاح الرّشـــاد فَراغُـــوا

يَزيغُـــون جَهْـــلاً لا يَرِيُعـــون للحِجـــى ... وإنْ سُـــدِّدوا نحـــوَ الطّريقـــة زاغـــوا

وفـــي الباقيـــاتِ الـــصالحاتِ لـــو اقْتَنَـــوْا ... مَتـــاعٌ فمـــا للفانيـــاتِ تُـــراغُ

---

[١] ثريا لهي :أبو الربيع الكلاعي حياته ... ، ص ٢٧٤ نقلا عن المسلسلات من الأحاديث لأبي الربيع الكَلاعي .

[٢] ابن الأبار : ديوانه ، قراءة وتعليق عبد السلام الهرّاس ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٩٩٩ ، ص ٣٨٦ .

يدور ابن الأبار في أبياته هذه حول الموضوع نفسه الذي دار حوله كل من أبي العلاء المعرّي وأبي الربيع الكَلاعي ، فيدعو إلى الزهد بهذه الدنيا ، فعلى الإنسان أن يُحْسِن خاتمته ويبتعد عن أصحاب الشر واللغو . وقد استعان بالكلمات الغينية نفسها التي ختم بها المعرّي أبياته ومن بعده أبو الربيع الكَلاعي . ومما يلحظ أيضا إكثار كل من أبي الربيع وابن الأبار من المحسنات البديعية على الرغم من صغر قطعهم الشعريّة ، فقد جانس أبو الربيع بين (ببلغة وبلاغ) ، (مكتف ومكتفين) ، (مصغ و يصاغ) ، وجانس ابن الأبار بين (منايا وأماني) ، (يصاغ و يساغ) ، (تبلغ وبلاغ) ، وطابق بين (مرها والعنب) ، (شر ورشاد) ، (الباقيات والفانيات) .

وعارضها أبو الحسن بن رَزين التُّجيبي المُرْسيّ[١] مؤكدا زوال الدنيا ، وقلة حظ الإنسان منها ، لذا يستغرب من تضييع الإنسان عمره في اللهو واللغو وقد بدت معالم الكبر عليه، فهو غير مخلد وعليه أن يستعد لذلك اليوم الذي يموت فيه فيقول فيها :[٢]

نصيبُكَ مِنْ دُنياك أيسرُ بُلغةٍ ... قليلٌ لديها صحةٌ وفراغُ

فما بالنُا نلهو و نغترُّ بالمُنا ... كأنْ ليس للأُخرى الغداةَ بلاغُ

وكيفَ وقدْ ولّى الشبابُ ولاحَ للـ ... ـمَشيبِ بفوديْ عارضيك صباغُ

يُساغُ لنا نَسء الحياة لغايةٍ ... ولكنْ خلودُ المرءِ ليس يساغُ

فشمِّرْ وبادرْ منك فضلَ إنابةٍ ... فحادي المنايا ليس عنه مراغُ

---

[١] أبو الحسن هو علي بن محمد بن أبي القاسم بن رَزين التُّجيبيّ المُرسي ، المهاجر من الأندلس إلى تونس ، وبها توفي ، ومولده بمُرسية سنة ٦٢٦هـ . وصفه العبدري بقوله : له النظم الرائق ، والنثر الفائق ، أدرك جُلة من الأعلام وجملة من علماء الإسلام ، وسمع كثيرا منهم وأجازه خلق كثير ، وله في ذلك فهرسة . أنظر ترجمته رحلة العبدري ، ص٢٥٢ ، وتعريف القدماء ، ص٤٥٦ .

[٢] العبدري : رحلته ، ص ٢٥٣ نقلها عنه عندما لقيه بتونس سنة ٦٨٩ هـ

كما عارضها ابن سيّد الناس اليعمري[١] من تلامذة أبي الربيع ، وقد سئل عنها في نظمها في ذلك الروي وعلى تلك القافية[٢] :

أيَـــا ســـائراً نحـــوَ الحجـــاز وقـــصده ... إلـــى الكعبـــةِ البيـــتِ الحـــرام بـــلاغ

ومِنْـــهُ إلـــى قبـــرِ النبـــي محمـــدٍ ... يكـــــونُ ه بالروضـــــتين مـــــراغ

فبلّغـــت مـــا أملـــتَ كـــم ذا أراغـــه ... أنـــاسٌ نـــسَوا قـــصدَ الـــسبيلِ فـــراغ

وقـــوم أولـــو وَجْـــد وجـــد ونجْـــدهٍ ... أراغهـــم الجـــدُ العثـــور فراغـــوا

فيَـــا أَســـفي كـــمْ ذا تمنّيـــتُ قـــصدَهُ ... فـــأدفع عـــن قـــصدي هُ وأُراغ

وقـصّر بـي جـدي إذ الأمـرُ فـي يـدي ... جميـــع وعنـــدي ثـــروةٌ وفـــراغ

فـــلان وقـــدْ خـــطّ المـــشيبُ بمفرقـــي ... وكلـــل رأســـي مـــن حلـــى وصـــياغ

أعلـــلُ نفـــسي بـــالمنى وتـــصدّني ... ذنـــوبٌ لهـــا عنـــد الفـــراقِ مـــصاغ

إذا مـــا أجلـــتُ الـــدّهرَ فيـــه فكيـــفَ لـــي ... يـــسوغُ شـــرابٌ أو يلـــذُّ مـــصاغ

عـــسى توبـــة قبـــلَ الممـــات وزورة ... فينـــضحُ مـــن شَـــين الـــذنوب رداغ

وألقى شيـــــ يؤنسُ المـــــرءَ منـــــهم ... أحاديـــــثُ صـــــدق تُجتـــــلى وتـــصاغ

ويتبين من أبيات ابن سيّد الناس السابقة أن الشاعر قد لجأ إلى تكرار اللفظة الغينيّة أكثر من مرة وإن لم يكررها نفسها أتى بكلمة من الجذر نفسه من ذلك تكراره لكلمة مصاغ و

---

[١] ابن سيد الناس : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن محمد اليعمري الإشبيلي ، ولد سنة ٥٧٩ هـ وأصله من أُبَّدة عمل جيان . كان راوية ، حافظا للحديث ، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم ، وكان يكتب جيدا و ينظم نظما حسنا . توفي سنة ٦٥٩ هـ . انظر ترجمته عنوان الدراية ص ٢٩١ .

[٢] الغبريني : عنوان الدّراية ، تحقيق عادل نويْهض ، لجنة التأليف والترجمة والنشر – بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩ ، ص٢٩٥ .

فراغ وهو ما يسمى بالإيطاء ، وأغلب الكلمات الغينية جمعها جذر واحد راغ و صاغ ، ولعل هذا عائد إلى قلة معجمه اللغوي.

وممن نظم على هذه الطريقة وسلك طريقة المعرّي أبو القاسم بن جُزَيّ[١] من أشياخ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٤١ هـ) يقول :[٢]

لكلٍّ بني الدّنيا مُرَادٌ ومَقْصد ... وإن مُرادي صحّةٌ وفراغُ

لأبلغَ في علم الشريعةِ مبلغاً ... يكونُ به لي للجِنانِ بَلاغُ

ففي مثلِّ هذا فلينافسْ أولو النُّهى ... وحسبيَ من دار الغرورِ بَلاغُ

فما الفوزُ إلا في نعيمٍ مؤبدٍ ... به العيشُ رَغْدٌ والشرابُ يساغُ

ولأبي علي بن سليمان القرطبي قطعة شعرية سلك فيها مسلك من سبقه من الشعراء يقول فيها :[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

ألا هَلْ إلى ما أرتضيه بلاغُ ... وكيف يُرى يوما إليه فراغُ

وقد قطعتْ دُوني قواطعُ جمّةٌ ... أُراع لها مهما جَرَتْ وأُراغ

وما ليَ إلاّ عفو ربٍّ وفضله ... فَفيهِ إلى مَا أرْتَجيهِ بلاغ

تعكس هذه المقطوعات الغينيّة تأثر مؤلفيها بغينيّة أبي العلاء المعرّي من حيث الشكل والمضمون ، إذ يبدو تأثرهم جلياً باتباعهم الوزن نفسه والروي نفسه الذي اتبعه المعرّي في

---

[١] ابن جُزي : هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد ، من أهل غرناطة ، وذوي الأصالة والنباهة فيها ، كان فقيها حافظا قائما على التدريس ، مشاركا في مختلف الفنون من عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث . من تواليفه "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم " و " الأنوار السنّية في الكلمات السُّنِّية "، وله فهرسة كبيرة اشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق والمغرب . أنظر ترجمته النفح ، ٥١٤/٥ .

[٢] المقري : النفح ، ٥ / ٥١٥

[٣] المقري : النفح ، ٥ / ٤٧٤ ، وفي الصفحة نفسها مقطوعة شعرية غينيّة لأبي البركات ابن الحاج البلفيقي (ت ٧٧١ هـ) ، ثمة قطعة شعرية غينية للشاعر ابن لؤلؤة أبي عبد الله محمد بن يوسف السلوي الأندلسي .أنظر النفح ، ٥١٦/٥

أبياته ، واستخدامهم المحسنات البديعية ، بالإضافة إلى استعانتهم بكلمات المعرّي الغينيّة واستخدامها في أشعارهم ، فمنهم من أحسن وأجاد فجاءت معارضته قريبة من معارضة المعرّي شكلا ومضمونا ، ومنهم من جاءت معارضته دون المستوى الفني لأبيات المعرّي كمعارضة اليعمري وابن سليمان القرطبي .

ويبدو أن نثر أبي العلاء قد حظي بالنصيب الأكبر من معارضات الأندلسيين لا سيما رسالته ملقى السبيل ؛ ولعل هذا الإقبال على معارضته عائد إلى التمكن اللغوي للمعرّي ، وإلى ما اتسمت به رسائله من سمات على صعيد الشكل والمضمون ، فكان لها أكبر الأثر في نفوس الأندلسيين ، ووجدوا فيها المثال الذي يحتذى .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الرابع

أدب المعرّي في أنظار النقاد الأندلسيين

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تعرضت كثير من الدراسات للحديث عن النقد الأدبي في الأندلس ، فتناولت بدايته ومراحل تطوره . ووقفت عند أعلام النقد الأندلسي ، الذين كان لهم حضور بارز على الساحة النقديّة العربيّة .

ومن خلال ما أوردته هذه المؤلفات ، يتبين أن النقد الأدبي في الأندلس لم يصل إلى مستوى مثيله في المشرق ، لاسيما قبل القرن الخامس الهجري من حيث تناوله لقضايا نقدية كبرى كموضوعات الطبع والصنعة ، واللفظ والمعنى ، والقديم والحديث ، والصدق والكذب[١] ، والسرقات الأدبية وغيرها من القضايا . إذ يمكن القول إنه كان في أولياته بعيداً عن المنهجية ، وأقرب ما يكون نقداً ذوقياً جزئياً يلتفت – في الأغلب – إلى أمور تتعلق بالنحو والصرف ، واللغة وطرق استعمال الكلمات [٢] ، ولعل مردّ ذلك لوجود "طبقة من المعلمين والمؤدبين نيطت بهم مهمة تعليم التلامذة ، وتثقيفهم بلسان العرب وآدابهم ، فكان منهم من يجمع بين علوم الدين وعلوم اللسان مما جعل سلطانهم واسعاً وعملهم أشد عمقاً وأثراً " [٣]

ومن الأمثلة على طريقة المؤدبين في النقد ما ذكره القفطي في أثناء ترجمته لجوديّ النحوي[٤] ، فقد أنكر في إحدى حلقاته على عبّاس بن ناصح قوله :

"يشهدُ بالإخلاص لله فيها وهو

---

[١] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٧٨ .

[٢] محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢ ،١٩٨١ ، ص ٢٧١ .

[٣] المرجع نفسه ، ص ٢٧١ .

[٤] جوديّ بن عثمان النحويّ المغربي المورُوريّ : مولى لآل طلحة العنْبَسيِّين ، من أهل مَوْرُور، رحل إلى المشرق ، ولقي الكسائيّ والفرّاء وغيرهما ، وعاد وقد صار معه طرف من هذا الشأن ، وسكن قرطبة وأخذ الناس عنه ، وتصدّر لإقراء الأدب . توفي جُودي سنة ١٩٨هـ . انظر ترجمته في الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ص٢٥٦ ، إنباه الرواة ١ / ٢٧١ ، بغية الوعاة ٢١٣

نُوتِيُّـــــــها نَصـــــــرانِي

فلُحِّن حيث لم يُشدّد ياء النسب ، وكان بحضْرتهم رجل من أصحاب عباس ، فساءه ذلك وكان مسكنه بالجزيرة فسار إلى عباس فلما طلع عليه ، قال له عباس : ما أقدَمك – أعزك الله – في هذا الأوان ؟ قال: أقْدَمني لحنُك ، قال عباس : وكيف ذلك ؟ فأعلمه بما جرى من القول في البيت . قال : فهلاّ أنشدتَهم بيت عِمران بن حِطّان :

يـــــوما يمـــــانٍ إذا لاقـــــيتُ ذا يَـــمَنٍ وإنْ لـــــــــــَقِيتُ مَعـــــــــديّا فعـــــَدْنانيْ

فلما سمع البيت كرّ راجعاً . فقال له عباس : لو نزلتَ فأقمتَ عندنا ! قال : ما بي إلى ذلـك من حاجة . ثم قدم قُرطبة ، فاجتمع بجوديّ وأصحابه فأعلمهم"[١] . و تؤكد هذه الحادثـة أن المعيار النقدي لدى المؤدبين في أوليات النقد الأندلسي كان يصدر عن القاعدة النحوية ، فمـا اتفق معها من الشعر أثنوا عليه ، وما لم يتفق معها نبّهوا عليه وصوّبوه . و مع ذلـك فقـد تعرض المؤدبون إلى بعض الملاحظات النقدية كرواية الشعر وتوثيقه ، والأخذ والـسرقة ، والبديع والضرائر الشعرية وغيرها من الآراء النقديّة الجزئيّة التي أثبتهـا بعـض الـشراح كالطبيخي (ت٣٥٢هـ) على شعر مسلم بن الوليد وشرح أبي القاسم الأفليلي(٣٥٢_٤٤٢ هـ) على ديوان المتنبي[٢] ، ومع ذلك فلا يمكن أن يطلق عليهم لقب نقّاد لأنهم لم يكونوا يملكون أدوات النقد المنهجية . إلا أن آراءهم كانت تحمل بذوراً نقدية ساذجة .

ويبدو أن التأثير المشرقي الذي اجتاح الأندلس لا سيما في القـرنين الثالـث والرابـع الهجريين ، وتغلغل في أدبها ، قد شمل تأثيره النقد أيضا . فثمة كتب أندلسيّة ذكرتها المصادر

---

[١] الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص٢٥٦ –٢٥٧ ، القفطي : إنباه الرواة ، ١ / ٢٧١ – ٢٧٢

[٢] مصطفى عليان : تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، ص ٤٥ .

تُظْهِرُ تأثر مؤلفيها بكتب الطبقات والتراجم المشرقيّة ، بما تحمله من عناوين . منها : كتاب طبقات الكتاب في الأندلس للأفشتين محمد بن موسى بن هاشم بن زيد (ت٣٠٧هـ)[٣] ، وكتاب اللفظ المختلَس من بلاغةِ كتّاب الأندلس لعُبَيْديس بن محمود الجيّاني[١] ، وكتاب الحدائق لأحمد بن محمد بن فرح الجيّاني [٢] ، وألّف أبو عبد الله محمد بن عبد الرؤوف (ت٣٤٣هـ) كتابا في شعراء الأندلس[٣] ، وثمة كتاب آخر في شعراء الأندلس لحُرْقوص عثمان بن سعيد الكِناني (ت٣٢٠هـ)[٤]. وقد صنّف مُطرِّف بن عيسى بن لبيب الغساني (ت٣٥٧هـ) كتابا في شعراء إلبيرة [٥] ، ولعبد الله بن محمد ابن مغيث كتاب جمع فيه أشعار الخلفاء من بني أميّة [٦] ، ووضع ابن الفرضي كتابا في أخبار شعراء الأندلس[٧] ، ومن كتب التراجم – أيضا – كتاب الشعراء من الفقهاء بالأندلس لقاسم بن نصر بن رقاص بن عَيشون المعروف بابن أبي الفتح (ت٣٣٨هـ)[٨] وأخبار الشعراء بالأندلس لمحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير بن الأمير ابن الحكم بن هشام (ت٣٤٠هـ) [٩]، وذكر الحُميدي كتابا

---

[٣] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩ ، ٦٧٢/٢ ، الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص٢٨٢ ، جذوة المقتبس، ص ٨٢ . إنباه الرواة ، ٣ / ٢١٦ ، بغية الوعاة ، ص ١٠٨ .

[١] الحُميدي : جذوة المقتبس ، ٤٦٩ . وقد ذكر أن عُبيديس الجيّاني كان أيام الحاكم المستنصر .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٩٥

[٣] ابن القرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٧٢٤ ، الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين . ص ٣٠٩

[٤] الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، ص ٢٨٨ ، ترجم له ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٥١٣

[٥] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٨٣٧

[٦] الحُميدي : جذوة المقتبس ، ص٣٩٣

[٧] المصدر نفسه ، ص٣٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣ / ١٠٥

[٨] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٢ /٦١٠

[٩] الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٥٦ .

لعبادة بن ماء السماء (ت٤١٦هـ) يحمل عنوان أخبار شعراء الأندلس[١٠] ، ووضع سكَن بن سعيد كتابا في طبقات الكتاب بالأندلس[١١] .

ومما يلحظ أن هذه الكتب تقتصر على الترجمة لأدباء وشعراء أندلسيين ، وهي تشبه إلى حد كبير ما أُلِّف في المشرق ، ولعل أصحابها نهجوا فيها منهج ابن سلام وغيره من أصحاب الطبقات ، فبثوا آراءهم النقدية إلى جانب ترجمتهم للأعلام ، غير أن ضياع هذه الكتب قد فوّت فرصة التعرف إلى طبيعة النقد عند هؤلاء ، وحرم الباحثين من الاطلاع على مناهجها وعلى الآراء النقدية . وهي آراء كانت ستسهم – دون أدنى ريب – في إغناء أبحاثهم ودراساتهم .

ومما يلحظ كذلك أن هذه المصنفات قد أُلِّف معظمها في القرن الرابع الهجري ، حيث أخذ النقد في الأندلس طريقا أكثر نضجاً مما كان عليه في القرنين الثاني والثالث الهجريين . ولعل ذلك يعود إلى الانفتاح على المشرق ، وإلى جهود القالي وما جلبه إلى الأندلس من مؤلفات ودواوين شعر ، بالإضافة إلى الحركة الثقافية التي رعاها وطورها الحكم المستنصر في الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري ، ففتح الباب أمام الأندلسيين للاستفادة من كل ما هو مشرقي .

وخير من يمثل النقد في القرن الرابع الهجري ابن عبد ربه في كتاب العقد ، فقد تضمن كتابه وقفات نقديّة جميعها متأثرة بما عرفه المشارقة من حديث عن عيوب الشعر ، وعدم تفضيل القدماء على المحدثين ، وتوفر الملكة والدُربة [١] ، كما تضمن " ملاحظات متناثرة للمؤلف بث فيها شيئا من رأيه في الشعر والنثر من استحسان واستهجان ، وعقّب على

---

[١٠] المصدر نفسه، ص٤٦٣ .

[١١] الضبي : بغية الملتمس ، ص ٢٧٤

[١] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٧٨ .

بعض الآراء وبعض الأعلام مما يلحق بالذوق والنقد الأدبي"[٢] ، وبذلك مكّن الأندلسيين من التعرف إلى بعض القضايا النقديّة التي توقف عندها المشارقة .

وعلى الرغم من هذا التطور الذي أصاب النقد ، إلا أنه لم ينضج إلا في القرن الخامس الهجري ، على يد أشهر ناقدين عرفتهما الأندلس في هذا القرن وهما ابن حزم وابن شهيد ، إذ تركا بصمة واضحة في تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، وذلك بما خلّفاه من مؤلفات وسِمَتْ بالطابع النقدي كرسائل ابن حزم ، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد بالإضافة إلى كتابه حانوت عطار الذي لم يصل إلينا ، و ضاع في جملة ما ضاع من مؤلفات الأندلسيين .

وعلى الرغم من وجود بعض العوامل التي أسهمت في تقوية النقد وتطوره في القرن الخامس الهجري ، كانفتاح العقول على شيء من المنطق والفلسفة لتوفر قسط من الحريّة ، فعمّقت النظرة إلى الظواهر الإنسانية ، من بينها الشعر والأدب عامة ، بالإضافة إلى وصول عدد من الكتب النقديّة لأهم نقّاد المشرق كابن طباطبا والآمدي والجرجاني والحاتمي ، والتي فتحت المجال أمام الأندلسيين للقول في النقد [١]، ومع توفر هذه العوامل إلا أن النقد لم يصل إلى درجة النقد في المشرق ، نظراً لطبيعة الوضع الأندلسي الذي صبغ النقد بالصبغة الدينية والأخلاقية ، التي تظهر جلية لدى ابن حزم وابن بسام وابن عبد الغفور الكَلاعي وغيرهم ، و لطبيعة الشعر الأندلسي الذي أفقد النقد حيويته ؛ لغياب ضروب الصراع التي شهدها المشرق ، كالصراع بين القديم والحديث ، والمعارك التي دارت بين الشعر والمنطق ، أو حول

---

[٢] محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ص ٢٨٠ .

[١] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٨٠ .

شاعرين متباعدي الطريقة كأبي تمام والبحتري أو حول شاعر يتفرد عما هو سائد من حوله كالمتنبي [٢].

ومع أن تلك الكتب النقدية قد انتقلت إلى الأندلس بما تحمله من صراعات إلا أن هـذه الصراعات لم تلقَ رواجاً واسعاً في الأندلس ، ولم يستعر لهيبها كما كان في المشرق . وقلّما وجدنا شاعرين أندلسيين كان بينهما من الخصومة والصراع كالذي كان بين شعراء المشرق. ونظراً لقرب نقاد القرن الخامس الهجري – لا سيما ابن حزم وابن شهيد – من عصر أبـي العلاء ، فقد كان من المتوقع أن نحظى بمادة نقدية جيدة حول أدبه كالتي كانت حـول شـعر المتنبي وأبي تمام وغيرهما من الشعراء ، لا سيما أن صيته كان قد انتشر في أرجاء الأندلس ، فعرفه الشعراء والأدباء ، وعارضوه واحتذوا به في كثير من أدبهم . لكن أكثر مـا يثيـر الاستغراب إغفال كل من ابن حزم وابن شهيد لأدب أبي العلاء ، علماً بأن ابن حزم – رغـم ظاهريته – قد اطلع على الفلسفة وتعلمها ، ودعا طلبته إلى تعلُّمها وتعلم المنطـق ، وأبـو العلاء تطرق في كثير من شعره إلى الآراء الفلسفية وأدخل في أدبه كثيراً من ألفاظ الفلاسفة والمتكلمين ، إلا أن ابن حزم – فيما أعلم – لم يتوقف عنده في مؤلفاته . أما ابن شهيد فقـد تأثر في بعض شعره ونثره بأبي العلاء . وقد أشار ابن بسام للعديد من المواضع التي يبـدو تأثر ابن شهيد فيها جلياً بأبي العلاء ، غير أننا لا نجد له ذكراً في رسالة التوابـع والزوابـع بالرغم ممّا بين هذه الرسالة ورسالة الغفران لأبي العلاء من وجوه تشابه كثيرة ، ولا نعلم إذا كان قد تطرق إليه أو إلى شيء من أدبه في كتابه حانوت عطار .

ويبقى أمرٌ واحد لعله السبب في عزوف ابن حزم وابن شهيد عن أدب أبـي العـلاء ، يكمن في نظرة الناس إلى أبي العلاء عقائدياً ، لا سيما أن الاتجاه الديني الأخلاقـي _ الـذي

---

[٢] المصدر نفسه ، ص ٤٨٠ – ٤٨١ .

ذُكر سابقاً _ كان يغلب على طبيعة النقد في الأندلس ، وكان يرفض الإغراق في الأمور الفلسفية التي تؤدي إلى الإلحاد أحيانا ، لكراهية الأندلسيين للفلسفة و إرهاق العقل كثيراً فشنت الحرب على الفلسفة والفلاسفة كما حدث مع ابن رشد ، فلهذا نجد ذكراً للمتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم من الشعراء في مؤلفات حازم القرطاجني والرُّندي في كتابه الوافي في نظم القوافي ، ولانجد ذكراً لأبي العلاء . فقد يكون هذا سببا من الأسباب غير أنه لايعد سببا كافيا أو مسوغا لإحجام النقاد عن إبداء الرأي في أدب أبي العلاء سواء أكان سلبا أم إيجاباً ، فثمة ثلاثة مؤلفين عُرفوا باتجاههم الديني ، وثقافتهم العالية ، تطرقوا إلى الحديث عن أبي العلاء متناولين شعره ونثره بالنقد ، وهم : ابن بسام الشنتريني في كتاب الذخيرة ، وابن عبد الغفور الكَلاعي في كتاب إحكام صنعة الكلام ، وابن السّيد البطليوسي في شرح سقط الزند . وقبل الوقوف عند رأي كل واحد من هؤلاء الثلاثة ومعرفة موقفه من أدب أبي العلاء ، لابدّ من التوقف عند رأي نقدي قصير ؛ لما يثيره من الاستغراب خاصة إذا علم أن صاحب هذا الرأي هو السرقسطي صاحب المقامات اللزومية .إذ يقول في مقامة الشعراء مبدياً رأيه في أدب أبي العلاء : " قلت فالتنوخيُّ أبو العلاء ، قال : سْهِمُ عُلوٍّ وعَلاء ، ولابس وشيٍ وملاء ، خضع له النظم وخَنَع ، وأبى عليه النثر وامتنع ، فمات دونه أسفا ، ولم يزل لمجاهله معتسفاً ، عالِمٌ جاهل ، وطاسِمٌ آهل . علا وهَبط ، ونَفَضَ وَرَقَ الغواية وخبط "[١]

فالغريب أن السرقسطي في مقاماته يبدو متأثراً بأبي العلاء في لزوم ما لا يلزم ، حتى " أغرق في أسلوبه بتعقيدات كثيرة فهو إلى هذا اللزوم بنى بعض مقاماته على طرائق

---

[١] السرقسطي : المقامات اللزومية ، تحقيق بدر أحمد ضيف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – الاسكندرية – ١٩٨٢ ، ص ٣٨١ .

أكثر تعقيداً "[٢]مما نجده عند المعرّي ، ومع ذلك فلا يشهد له إلا بالشعر ويهاجمه ويعيبه في النثر . وهو بهذا يخالف كثيراً من الأدباء الذين شهدوا له بالإبداع في شعره ونثره على السواء فنعتوه " بفارسِ المنظوم والمنثور ، أقرّ له بالبلاغة والأدب كلٌّ بليغ وأديب"[٣] ، فهو لا يجارى ولا يعارض "غزيرُ الفضلِ ، شائعُ الذكر ، وافرُ العلمِ ، غايةٌ في الفهمِ ، عالمٌ باللغةِ ، حاذقٌ بالنحو ، جيدُ الشعرِ، جزلُ الكلامِ ، شهرتُه تغني عن صفتهِ وفضلِهِ ينطقُ بسجيته "[٤] . فكان على السرقسطي أن ينظر بعين الناقد الناصف ، وأن يثبت رأيه بنصوص من أدب المعرّي كما فعل ابن السِّيد وغيره من النقّاد .

وبعد هذا العرض لرأي السرقسطي سنتوقف عند ثلاثة نماذج نقدية حول أدب أبي العلاء يمثلها ثلاثة نقاد .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

أولاً : ابن بسام الشنتريني :

عُرف ابن بسام أديبا ، وناقداً ، ومؤرخا ، صاحب ثقافة واسعة ، وذا نزوع ديني أخلاقي سيطر على كثير من أحكامه وآرائه النقدية ، وتأتي شهرته وعلو مكانته من أهمية مؤلفه الموسوم بـ "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " ، الذي يعدُّ من أهم ما أُلف في الأندلس في القرن السادس الهجري ، إذ يتضمن تراجم لأمراء وقادة ووزراء وفقهاء وعلماء وشعراء وكتاب ، كان لهم دور مميز في تاريخ الأندلس وحضارته ، بالإضافة إلى ما احتفظ به من نثر وشعر لكتاب وشعراء أندلسيين ومشارقة ، وإلى وقفاته النقديّة التي تناثرت في مواضع كثيرة ،و تبين منهجه في معالجته لعدد من القضايا من خلال تطبيق ما اعتمده من أسس نقديّة ، أتى على ذكرها في مقدمة كتابه .

---

[٢] محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ص ٣٥٧

[٣] تعريف القدماء بأبي العلاء نقلا عن نزهة الجليس للعباس المكّي ، ص ٣٥١ .

[٤] المصدر نفسه ، نقلا عن إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، ص ٦٧ .

ومع أن ابن بسام حاول جاهداً في كتابه أن يحقق الهدف المرجوّ من تأليفه ، وهوإثبات مقدرة الأندلسيين على التفوق والتميز في الشعر والنثر ، والتأليف في مختلف العلوم ومجاراة المشارقة ، إلا أنه – رغم حرصه – لم يستطع أن يخفي إعجابه بالمشارقة ، وهو أمر يُستشف من آرائه وتعليقاته وإشاراته إلى كثير من المواضع التي تأثر فيها الأندلسيون بالمشارقة ، وأخذوها عنهم .

وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد يؤخذ على ابن بسام ، إلا أنّه خدم الباحثين في الحصول على مادة نقدية ، تعبر عن رأيه النقدي في أدب المشارقة ، وشعرائهم قدماء ومحدثين كامرئ القيس وزهير والبحتري وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء ، الذي كان لابن بسام وقفة معه ، تعكس موقفه النقدي من أدبه الذي يحكمه عاملان : أولهما : إعجابه بأبي العلاء وبأدبه ، وثانيهما : نفوره من فلسفته ومذهبه الكلامي . فتوقف عند ألفاظه ومعانيه وما أخذه من غيره ، كما توقف عند عقيدته وما أدخله في شعره من ألفاظ فلسفية . ومع ذلك فالمادة النقدية التي تناولت أبا العلاء جاءت قليلة جداً ، وضمن ترجمته لأعلام أندلسية ، لا سيما أن كتاب الذخيرة لم يكن نقديا بحتا .

ومما يلاحظ فيما أبداه ابن بسام من آراء حول أبي العلاء ، أنه لم يلجأ إلى استخدام كلمة سرق أو سرقة نهائيا ، في أثناء تعليقه على بعض ما أثبته للمعرّي من أبيات تأثر فيها بشعر من سبقه بالنظر أو الاستفادة من معانيهم ، فاستعمل بدلاً منها أخذ ومأخوذ للدلالة على التأثر والتأثير . ولم يعب النقاد العرب على الشاعر أخذ معاني من سبقه من الشعراء ، ولكنهم "عابوا عليه كثرة أخذه لمعاني السابقين ، فيستقي أفكاره منهم ، ويبني شعره على

معانيهم .فكثرة الأخذ تعطل مواهبه ، فيعيش بليداً عاجزاً مقلداً " [١]. أما أبو العلاء فإذا أخذ معنى من سبقه جاء به بأسلوب جديد، وعبارة لم يُسْبَق إليها حسب رأي ابن بسّام . يقول ابن بسام معلقاً على بيت لابن سارة الشنتريني:[٢]

"ومن شيمة الماء القَراحِ ، وإن صفا إذا اضطرمَتْ من تحته النّارُ أن يغلي

هو قول ابن عُينيه المُهلبي :

ولا بُدّ للماء في عُلى النّار موقدةً أن مِرْجَلِ يفورا

وينظر أيضا معناه – من طرف عليل – إلى بيت عُمارة بن عقيل :

وما النفسُ إلا نُطفةً إذا لم تُكَدَّرْ كان صفواً بقرارةٍ غديرُها

وأخذه المعَرّي وزاد عليه حتى كاد يخفيه فقال :

والخلُّ كالماءِ تبدو لي مع الصفاءِ ويُخفيها مع ضمائرُهُ الكَدَرِ"[٣]

---

[١] أحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، مكتبة نهضة مصر – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٠ ، ص٣٧٥ .

[٢] ابن سارة الشنتريني : أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة (سارة) البكري الشنتريني الأصل ، نزل إشبيلية وسكنها ، وتَعيّش فيها بالوراقة ، كما سكن المرية وغرناطة ، تجول في بلاد الأندلس ، وامتدح الولاة والرؤساء ،كان أديبا ماهراً وشاعراً بليغاً ، توفي سنة ٥١٧هـ . أنظر ترجمته القلائد ، ص٨٠٩ ، الذخيرة ٢ / ٢ ٨٣٤ ، الخريدة ٤ / ٢ / ٢٥٦، البغية ص٤٣٨ ، المغرب ١ / ٤١٩

[٣] ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٢ / ١ / ٨٠ – ٨١ .

فابن بسام يشهد بذكاء المعرّي وإبداعه ، وقدرته على إخفاء ما يأخذه من غيره . ونجده في موضع آخر يستعيض عن كلمة " أخذ " بكلمة ذهب ، من ذلك قوله في بيت لابن وهبون[٤] :

" أيغـــــــرُّني أن يـــستطيل بـــيَ المـــــــدى وأبـــــي بحيـــــثُ تواصـــــتِ الغـبراء

يلمح من بعض الوجوه ، وإن لم يشبهه كل التشبيه ، قول أبي العلاء :

وقـــــــبيحٌ بنـــــا وإن قـــــدُمَ العهـــــــــــ دُ هـــــــــوانُ الآبـــــــــاء والأجـــــــدادِ

وأبو العلاء إنما ذهب إلى قول أبي الطيب :

يـــــــدفّنُ بعـــضنـــــا بعـــضـــاً أواخـــرُنا عـــــلى هـــامِ الأوالـــي ويمشـــــي "[١]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إذا كان ابن بسام فيما ذُكِر قد توقف عند ما أخذه المعرّي من غيره ، مثبتا قوته وقدرته ، فإنه كذلك توقف عند ما أخذه الأندلسيون من ألفاظه ومعانيه ، مظهراً إعجابه بشعر المعرّي ، وتفوقه على شعراء عصره ، فبعد ذكره لبيت ابن بقيّ :

كـــــــرُمَتْ فـــــــي حدائـــــقٍ لكـــــــــــــرامٍ فـــــسمّيـــتْ غرســـــوها بالكـــــروم

يقول : " يشبه لفظه لفظ بيت المعرّي ، وبينهما من البعد ، ما بين الدرّة والحجر الصّلْد المعرّي أثبتُ فيه قدما ، وأمسّ رحماً ، حيث يقول :

---

[٤] ابن وهبون : هو أبو محمد عبد الجليل بن وهْبُون المُرسي شمس الزمان وبدره ، وسرُّ الإحسان وجهـره ومستودع البيان ومستقره . أنظر ترجمته القلائد ٢٤٢، الذخيرة ٢ / ١ / ٤٧٣ ،النفح ، ١ / ٦٥٧ .

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١/ ٤٨٥ – ٤٨٦ . ٢ / ١ / ٤٧٨ ، ٤٨٥ – ٤٨٦

وأنـــــــت أبـــــوها إن غَـــــدَتْ وإنْ سكّنـــــــــَتْ راءٌ فوالـــــدها

كـــــــرَمِيّةً الكرم"[٢]

وهي شهادة من ابن بسام بشاعرية المعرّي تتكرر في أكثر من موضع ، من ذلك تعليقه على

قول ابن عبدون :[٣]

" وعـــــُلاً نشـــــأنَ مـــع الـــــــنجوم ولهـــــنَّ مـــــن بعـــــد النـــــجوم

وقبلها خُـــلود

مأخوذ من قول المعرّي . وله فيه زيادة ، تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقـــت فـــي الإحسان كلَّ عادة ، وهو قوله يصف خيلا :

نشـــــأنَ مـــع النعـــــام بـــــــكلِّ فقـــد ألِفـــــَتْ نتـــــائجُها الرئالا

دوٍّ "[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهو يثني على قريحة أبي العلاء الشعرية ، فبحسب القريحة يكون الإبداع والاختراع . فبعد أن يأتي على أبيات لابن سارة يقول " ألمَّ في هذا بقول المعرّي وقصّر عنه "[١] ويقـول في موضع آخر بعد ذكره لبيت ابن وهبون " وأجاد المعرّي في هذا المعنى ما أراد وزاد "[٢] .

---

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٢/ ٦٣٢ .

[٣] ابن عبدون : هو الوزير أبو محمد عبد المجيد اليابري كان أديبا وشاعراً ، عَوّل على ملوك الطوائف على بلدة المتوكل بن الأفطس وعليه نثر دره الثمين ، وكان قد رحل إلى المعتمد لكنه لم يجد لديه قبولاً . أنظـــر ترجمته الذخيرة ٢ / ٢ / ٦٦٨، البغية ، ص٧٢ ، المغرب ١ / ٣٧٤

[٤] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢ / ٧٠٧ .

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ٢/ ٨٤٢ .

[٢] المصدر نفسه، ٢ / ١ / ٤٩٢ وانظر ٣ / ٢ / ٨٩٢ .

فمن الملاحظ أن ابن بسام لا يترك موضعاً يلمس فيه تفوقا لأبي العلاء إلا توقف عنده مادحاً ومعجبا ، وهذا يعكس ثقافته وقدرته على تلمس مواضع الإجادة والإساءة . وثمة رأي صرّح به ابن بسام مظهراً إعجابه الشديد بأبي العلاء فيما يتعلق بوصف الحَمام ؛ يقول ابن بسام :

"ومن حرِّ الكلام ، وسريِّ النظام ، فيما يتعلق بوصف الحَمام ، قول أبي العلاء المعرّي ، وأنا أُثبته هنا زيادة بعد إجادة حلّة نثر ونظام ، في صفة الحَمام ، أخذ فيه بثوب الحُسنِ من طرفيه ، واشتمل على رداء البديع من حاشيتيْه ، ولولا تأخر زمانه ، وتقدُّمُ يحيى بن هذيل وطبقته لقلت : إن كلام المعرّي نقلوا وعليه عوّلُوا ، وهو قوله : ما حاملة طوق من الليل ، وبُرْدٍ من الربيع مكفوفِ .... "[٣] .

جميع الحقوق محفوظة

غير أن الاتجاه الديني الأخلاقي الذي كان مسيطراً على ابن بسام ، قد زعزع موقفه أو نظرته تجاه أبي العلاء ، فيما يتعلق بعقيدته وفلسفته فقط ، إذ لم يستطع إخفاء موقفه من فلسفته ، وممن ساروا على دربه ، فَيُبْدي نفوراً من كل ما يدخل في باب الفلسفة والمنطق والمذهب الكلامي .فبعد ذكره أبيات السُّمَيْسر التي يقول فيها[٤] :

" يا ليتنا لَمْ نَكُ من آدمٍ ... أورَطَنا في شَبهِ الأَسْر

إن كان قد أخرَجَهُ ... فمالنا نُشرك في الأمرِ؟ !

ذَنْبُه "[١]

---

[٣] المصدر نفسه ،٣ /١ /٣٤٨ .

[٤] السُّمَيْسر : هو أبو القاسم خلف بن فرح الإلبيري من أعلام شعراء إلبيرة مدة ملوك الطوائف ، أقام في إحسان المعتصم بن صمادح بأوطانه حتى طلع عن ملكه وسلطانه . كان كثير الهجاء وله كتاب سماه بـ (شفاء الأمراض بأخذ الأعراض) أنظر ترجمته الذخيرة ، ١ / ٢ / ٨٨٢، الخريدة ٤ / ٢ / ١٥ ، المغرب ، ٢ / ١٠

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ١ / ٢/ ٨٩٠

يعلق مظهراً كراهيته لهذا الكلام لما يحمله من الغلو فيقول :

" والسُّمَيْسر في هذا الكلام ممن أخذ الغلّو بالتقليد . ونادى الحكمة من مكـــان بعيـــد ، صرَّح عن عمى بصيرته ، ونشرَ مطويَّ سريرته ، في غير معنى بديع ، ولا لفظ مطبوع ، ولعلّه أراد أن يتبع أبا العلاء فيما كان ينظمه من سخيف الآراء . "[٢]

فابن بسام يقف وقفة المتشدد من كل ما له علاقة بالفلسفة والمنطق ، وموقفه هذا نـــابع من فكره وميوله الديني واتجاهه الأخلاقي اللذين جعلهما مقياسا نقدياً في حكمه على الـــشعر والنثر ، إذ يلازمه هذا المقياس إلى أن ينتهي من تأليفه ، فيستوقفه عند كل ما يرفضه الـــدين والأخلاق كالهجاء وألفاظ الفلسفة والمنطق ، من ذلك توقفه عند أبيات للحُصري الكفيف يقول بعدها : " .. وله على ذلك سَجْع ، يَمجُّ أكثره السّمع ، لم يَسْمَحْ نقدي أن أكتبه ، ولا رأيتي أن أرويه ، وما أراه يَسْلُك إلا سبيل المعرّي فيما انتحاه "[٣]

ويكرر رأيه فيما أتى به الحُصْريّ في موضع آخر يقول فيه : " وقد قلت فيما تقدم من تلخيص التعريف بخبر الحُصري إنه اتّبع المعرّي في سلوك هذه المسالك ، فضلَّ عنها هنالك ، على أنه لا يتفق لأحد لضيق هذا الباب أكثر من الوزن والإعراب . "[٤]

فابن بسام لا يرى أهمية في إيراد هذه الألفاظ والسير في هذه المسالك ؛ لأنهـــا تـــضلُّ صاحبها ، فتصل به إلى الإلحاد . فبعد أن يذكر أبياتاً تحمل ألفاظاً فلسفية يقول : " وهذا كلام من الإلحاد على غاية الاضمحلال والفساد ،فليس تساوي الناس في الموت والفناء ، حجة في عدم البقاء ، والمراتب في دار الجزاء . " [١]

---

[٢] المصدر نفسه ، ١ / ٢ / ٨٩٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ٤ / ١/ ٢٤٦ .

[٤] المصدر نفسه ، ٤ / ١ / ٢٥٩.

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ /٤٨٢ .

ويأتي بأبيات لأبي العلاء ، سلك فيها هذا المسلك فيقول : " ومن شعر أبي العلاء – في هذه الأنحاء التي ولع بها أيضا وشغف وصرف كلامه فيها فتصرف ، قوله :

والنفسُ أرضيّةٌ في قولِ طائفةٍ وعند قومٍ ترقّى في السموات

وكونُها في طريحِ الجسم إلى ملابسَ عنّتْها أحوجها وأقواتِ

وقال :

وأوصالُ جسمٍ للتراب ولم يدرِ دارٍ أين تذهبُ روحُها مآلُها "[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبين ابن بسام أن هذه المعاني الفلسفية قلما استعملها العرب ، وأنه ليس الوحيد الذي يقف هذا الموقف ، فبعض النّقاد يعدون إدخال هذه الألفاظ عيباً في الشعر والنثر ، ويأتي كلامه هذا بعد أبيات يذكرها لأبي عامر بن سوار الشنتريني التي يقول فيها :

" يا لَقومي دفنوني ومَضَوْا وبَنَوْا في الطين فوقي ما بَنَوْا

ليت شعري إذ رأوني ميتا وبكوني أيَّ جُزْأيَّ بكوا

أنَعَوْا جسمي فقد صار إلى مركز التعفين أم نفسي نَعَوْا

كيف تنْعَوْنَ نفوساً لم تزلْ قائماتٍ بحضيض وبجوّ

ما أراهم ندبوا فيَّ فُرقةْ التأليف إنْ كانوا دروْا "

سوى [٣]

---

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ١/ ٤٨٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ٢ /١/ ٤٧٩ .

ويتابع بعد ذلك قوله : " وهذا معنى فلسفي ، قلما عرّج عليه عربي ، وإنما فـزع إليـه المحدثون من الشعراء، حين ضاق عنهم منهج الصواب ، وعدموا رونقَ كـلام الأعـراب ، فاستراحوا إلى هذا الهذيان استراحَ الجبان إلى تنقّص أقرانه ، واستجادة سيفه وسنانه ، وقـد قال بعض أهل النقد إنه عيبٌ في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمة مـن كـلام الأطباء ، أو بألفاظ الفلاسفة القدماء وإني لأعجب من أبي الطيب ، على سعة نفسه ، وذكـاء قبسه ، فإنه أطال قرع هذا الباب ، والتمرس بهذه الأسباب "[١] .

ويُرْجِعُ اتهام أبي العلاء بدينه إلى إكثاره من الألفاظ الفلسفية في شعره ونثره ، فيقول : " وكذلك المعرّي كَثُرَ به انتزاعه ، وطال إليه ايضاعه ، حتى قال فيه أعـداؤه وأشـياعه ، وحسبك من شرِ سماعه ، وإلى الله مآله ، وعليه سؤاله "[٢] .

وعلى الرغم من تمسك ابن بسام برأيه ، وتفوره من إدخال الألفاظ الفلسفية فـي الأدب والذي بدا جليا في أكثر من موضع ، واعتراضه على سلوك أبي العلاء هذا المـسلك الـذي أوقعه في محاذير كان بإمكانه تجنبها ،إلا أنه يشهد لأبي العلاء بتفوقه في هذا الباب ، وحسن إبداعه . ويأتي رأيه هذا مباشرة بعد اعتراضه على أبيات للسُّمَيْسر اتبع فيها أبـا العـلاء ، فيقول : " ويا بُعد ما بين النجوم والحصباء ، وهبه ساواه في قصر باعه ، وضيق ذراعـه ، أين هو من حُسْنِ إبداعه ، ولُطف اختراعه ؟ "[٣] .

فأسلوب أبي العلاء بمعانيه وألفاظه الذي لفت أنظار الكتّاب والشعراء ، وحاولوا الاقتداء به ومنهم ابن بسام ، فتوقفوا أمامه معجبين ، إلا أن هذا لم يمنع ابن بسام من إبداء رأيه فـي بيت المعرّي الذي يقول فيه :

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٨٠ .
[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ١ ٤٨٠ .
[٣] المصدر نفسه ، ١ / ٢ / ٨٩ .

لـــو اختـــصرتـــــم مـــن الإحـــــسان والعـــذبُ يُهْجـــَرُ للإفـــراط فـــي زرتُكـــــمْ الخصَرِ

وما قيل في العجز عن الشكر بكثرة البِرِّ ، أحسن من بيت المعرّي هذا وقد تضمنه ابن عمار أحسن تضمين "[١] .

وهو بهذا يثبت نزاهته وعدم انحيازه لأهل أفقه ، مع أنه وضع كتابه دفاعا عـــنهم ، إلا أن هذا لم يمنعه من نظرة إنصاف يحكم بها ، فابن بسام " من خير مؤرخي الأدب الذين كان لهم منهجٌ نقدي واضح المعالم ، بحيث لا يساميه في هذه المنزلة مؤرخون كثيرون إلا أنه كان ابن عصره وقطره يكره الفلسفة كما كرهتها الأندلس ، ويعتقد بأن العنصر الأخلاقي لابدّ أن يكون أساساً في كل نشاط إنساني حتى في الفنون ، لأن وجوده من علائم التماسك في البيئـــة الأندلسية "[٢] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً :ابن عبد الغفور الكَلاعي :

لم يكن ابن بسام وحده من أدباء القرن السادس الهجري الذي أعجب بأبي العلاء المعرّي ، بما أثبته من آراء حول أدبه ، وثمة أديب لا يقلّ مكانة وشهرة عن ابن بسام ، كانـــت لـــه علاقة وثيقة بأبي العلاء ، ومعرفة جيدة به وبأدبه ، تأتّت له من حسن اطلاعه على مؤلفاته ، ففهمها فهما صحيحاً بنى عليها آراءه النقديّة في أدبه فيما بعد . هذا الأديب هو أبـــو القاســـم محمد بن عبد الغفور الكَلاعي ، " الذي يمثل وعيا نقديا بارزاً بين أقرانه " [٣] ، ومقدرة أدبية مبدعة في مجالي الكتابة والمعارضة .

---

[١] ابن بسام : الذخيرة ، ٢ / ١ / ٤٠٠ .

[٢] احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عد العرب ، ص ٥١٥ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥١٧ .

وكتابه إحكام صنعة الكلام الذي ضمّنه كثيراً من الآراء النقديّة والبلاغيّة في الكتابة والتأليف ، يعد من الكتب النقدية الأندلسية المهمة ، والأثر الوحيد الذي وصل إلينا من آثاره . وتأتي أهمية هذا الكتاب [١] بالإضافة إلى ما تضمنه من آراء نقدية ، من كونه يعدّ المرجع الوحيد الذي يستعان به للتعرف إلى طريقة الكَلاعي في كتابة رسائله ، خاصة تلك التي عارض بها المعرّي ، كما يظهر فيه أسلوب أبي العلاء في نثره ، وطريقة المتنبي في شعره بصورة واضحة وجلية ، ويشتمل – هذا الكتاب – على ثبت بمؤلفات أبي العلاء ، و أبي منصور الثعالبي وإشارات إلى بعض الكتب المشرقية التي كانت متداولة في عصره .

وقد اقتصر الكَلاعي في تأليف كتابه على النثر دون الشعر ، ليس عجزاً منه عن التأليف في الشعر ، لكن لأسباب دينيّة تتعلق بتفقهه في الشرع[٢] ، لأن الشعر في رأيه " داع لسوء الأدب ، وفساد المنقلب ، لأنه – لضيقه وصعوبة طريقه – يحمل الشاعر على الغلو في الدين ، حتى يؤول إلى فساد اليقين "[٣] . أما الكتابة فبعيدة عن هذا كله ، فلا عجب إذا رأينا كل آرائه النقدية في أدب أبي العلاء التي وردت في كتابه إحكام صنعة الكلام مصوّبة إلى أعماله النثرية ، علماً بأن شعر المعرّي لا يقل قيمة في رأي الكَلاعي عن نثره ، إذ يثني على أدبه عامة شعراً ونثراً فيقول : "وشأن أبي العلاء عظيم ، وحكم نقدة الكلام فيه أنه لم يكن في صنعة النظم والنثر مثله ولا قبله ولا بعده ... " [٤] وهو رأي صريح يظهر مدى إعجاب الكَلاعي بشعر المعرّي ونثره حتى إنه لا يرى مثيلاً له إلا ما كان من المتنبي في الشعر فقط .

---

[١] محمد رضوان الداية : مقدمة إحكام صنعة الكلام ، ص ٦

[٢] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

[٤] المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

وعلى الرغم من رأيه هذا في أبي العلاء وأدبه ، فإن نفسه سولّت له معارضته ومجاراته ، لكثرة الانتقادات والاتهامات التي وجهت إليه في مجلس أحد الأشخاص الذين يعتزّ بهم ، بأنه يكتب في الإخوانيات ولا يستطيع الكتابة في السلطانيات ، فعزم على معارضة المعرّي ليثبت له ولمن في مجلسه قدرته على ذلك . إلاّ أنه سرعان ما أقرّ بإبداع المعرّي ، وقِصرِ باعه عن معارضته ، مؤكداً قدرة المعرّي على التأليف ، وصغره أمام عبقريته ، ويأتي اعترافه هذا في أثناء قوله : " وقد ذكرت – أعزك الله – مما جاريت به أبا العلاء نتفا ، وناولتك مما ضاهيته به طرفا ، وكأني بالناظر في هذه الرسالة يقول إذ قرأ هذه الفصول : أي فتى ميّزَ حدَهُ فوقفَ عندَه ، وعرفَ قدرَ نفسِه فلم يزدْ منه على همسه ، ورأى بونَ ما بينَ الأرضِ والسماء ، فلم يتطاولْ إلى أبي العلاء ، وتالله إني لأعلم قدري ، ومساحة صدري ، ومثقال فهمي ، وغلوة سهمي ، وقصوري عن أقصر إشاراته ، وعجزي عن أدنى عباراته، ولكن نوزعت الظل فادعيت الجدار ، وأبعدت عن القعر فاقتعدت الدار " [١] . وكأنه بكلامه هذا يعتذر لأبي العلاء عن معارضته له .

ويتضح موقفه أكثر باعترافه بأن أيّ ناظر يقرأ ما كتب في معارضة المعرّي ، يستطيع التمييز بين أدب المعرّي وما ألفه الكَلاعي من رسائل في معارضته ، غير أن الكَلاعي لا يكتفي بهذا بل يُظهِر عجزه عن مضاهاتِهِ إذ يقول : " وهيهات ! ما ناهضتُهُ في سقطِ الزند إلا بما لفقت به رأسي حياءً من المجد وما أنا في مضاهاتِهِ في رسالةِ الصاهلِ والشاحج إلا كمنْ ضاهى بالنغُبة عباب البحر المائج ، وما أنا في معارضته في خطبةِ الفصيح ، إلا كمن عارضَ بالنفسِ هبوب الريح ، فليجف قلمُ المعترض ، وليَخْبُ سهمُ المتعقبِ المُغرِض "[٢] .

---

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٣٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٠ – ٣١ .

وهو بقوله هذا يقطع الطريق على كل متعقب لمعارضاته يحاول رميه بسهام الاتهام . ومثل هذا التصريح بإبداع المعرّي يتكرر في أكثر من موضع ، فهو يرى أنه ليس لإبداعه غاية ولا انتهاء .[٣]

ويستمر الكَلاعي في تسجيل رأيه النقدي في أدب أبي العلاء ، كلما وجد الفرصة مواتية لذلك . فلا نكاد نجد رأيا يخلو من عبارات الإعجاب والثناء إما تصريحا أو تلميحاً ، فهو يرى أن "أظرفَ الاستفتاحِ والابتداءِ ما شاكلَ قول أبي العلاء : ما حمامةٌ ذاتُ طوق ، يُضرب بها المثلُ في الشوق ..." ، فعلى الكتّاب أن يستفيدوا من هذه الابتداءات لأنها أفضل ماتُصدّر بـه الرسائل . ولا يتوقفُ إعجابَهُ باستفتاحاتِ رسائله فحسب ، بل يبدي إعجابه بفن الخطبة عنده لاسيما خطبة الفصيح التي تعد برأيه من أطرف الخطب معنى ، وأعذبها منحى ومبنى ، فهي خطبة شريفة تشتمل على علم جمّ وأدب ، ويأتي على نص من هذه الخطبة كدليل على كيفيتها ، وتنبيه على فضيلتها ومزيتها .[١]

غير أن هذا لا يعني أن آراءه في أبي العلاء كان مصدرها الإعجـاب بأدبـه فقـط أو التعصب له ، فالكلاعي لا يحكم لأبي العلاء بالأفضلية أو الإخفاق ، ولا يدلي بـأي رأي إلا إذا كان على اطلاع على أدب المعرّي وعلى أدب غيره ، فلولا المزايا التي اتصفت بها خطبة الفصيح لما أثنى عليها ، ولولا ثقافته وسعة اطلاعه لما أدرك هذه المزايا . ودليل ذلـك أنـه حكم للمعرّي في كتابه القائف[٢] – الذي جاء على ألسنة الحيوان – بالأفضلية على كتاب كليلة ودمنة لما تضمنه من مزايا فقال : " ولأبي العلاء المعرّي في كتاب القـائف إحـسانٌ

---

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ١٨٠ .

[٢] القائف من كتب المعرّي المفقودة

مشهور ، وإبداعٌ كثيرٌ موفور . وهو أكثرُ من كليلة ودمنة ورقاً ، وأفسح طلقاً ، وأطيب شميماً وعبقا . "[٣]

ولا يفوت الكَلاعي في الفصل الذي تعرض فيه للتأليف أن يتوقف عند مؤلفات المعرّي ، مبينا طريقته في التأليف ، فهو يرى أن للتأليف أقساما عدة منها : ما اعتمد فيه المؤلف على فكره، واغترفه من بحره ، كمؤلفات أبي العلاء التي تميز بها في طبقات العلماء ، فيذكر تواليفَ له في النثر والرسائل وتواليفَ في النظم كسقط الزند وغيره ، ومنها مما لم يغترفه المعرّي من بحره ، ولا اعتمد فيه على نظمه ولا على نثره ككتاب ذكرى حبيب ، وكتاب في شعر المتنبي[١] ... ومما يلاحظ أن الكلاعي يفضل طريقة المعرّي في التأليف ، فعلى الرغم من إعجابه وشهادته بحسن تأليف الثعالبي – إذ تعد تآليفه حسان المصادر والموارد– إلا أنه يأخذ عليه عدم سلوكه مسلك المعرّي في التأليف[٢]. وهو بهذا يجعل طريقة المعرّي في التأليف مقياساً لكل من يرغب في التأليف .

فالمعرّي في نظر الكَلاعي قادر على الخوض في جلّ أنواع الكلام ، ففي الفصل الذي يتحدث فيه الكَلاعي عن المورّى من الكلام وهو ما كان باطنه غير ظاهره ، يأتي بنص من رسالة الصاهل والشاحج يظهر فيها تمثّل أبي العلاء هذا الأسلوب في أدبه ونجاحه في تمثله إذ يقول : " وقد سلك أبو العلاء أيضا هذا المسلك ، وجرب فيه ملء عنانه فأدرك "[٣]. ولعل المُرَصّع من الأنواع التي أكثر المعرّي من توظيفها في نثره ، فرأى الكَلاعي أن " ممنْ فازَ

---

[٣] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢١٠ وانظر ص ٢٠٨ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٣١ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

في هذا الباب بالمتخيَّر اللُّباب أبو العلاء المعرّي "[٤] نظراً لثقافته الواسعة ، فقد احتوى من المعارف على فنون ، فكان عالماً بالفقه واللغة والأدب والنحو والعروض والفلسفة ؛ وسمي المُرَصّع بهذا الاسم لأنه رُصِّعَ بالأخبار والأمثال والأشعار وروايات القرآن وأحاديث النبي .....[٥]

وفي فصل المُستجلب يصور الكَلاعي التطور الذي أصاب الأسلوب العربي ، وما تلاه من أساليب ، مبيناً أثر السجع في ذلك ، وتفننهم في أن تكون العبارة مصنوعة من أولها إلى آخرها بكلماتها وحروفها وحركاتها [٦] ، فيقول : " ثم كثرت الصناعة وتشذّذ فيها القالة . فاستجلبوا فيها السجع الفائق واللفظ الرائق ، فلم يأتوا بغفور مع بصير ، ولا وقفوا عند إتيانهم بغفور مع شكور ، وبخبير مع بصير ، بل جاؤوا بغفور مع كفور ، فضمّوا الفاء وحرف المد واللين والراء ... ، وجاؤوا بقمر مع ثمر . فراعوا شكل الحرف المضمّن ، والتزموا من ذلك ما لا يلزم ، واستجلبوا منه ما ربما لم يأت في سياق الكلام "[١] .

ونبّه الكَلاعي على أن أبا العلاء كان يلتزم في أسجاعه ما لا يلزم كثيراً ، دون أن يراعي الإعراب ، وهو مأخذ أخذه على المعرّي ؛ لأن اتفاق الإعراب في السجع يترك تأثيراً عظيماً في النفوس .[٢]

كما تجنبوا في هذا الباب أن يأتوا بلفظ البراءة مع لفظ القراءة ، لأن الراء الواحدة مفخمة والراء الثانية مرققة . كذلك يرى الكَلاعي أنه مما يجب أن يتجنبه في هذا الباب

---

[٤] المصدر نفسه ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

[٦] محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ص ٤٢٧ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

التضمين وهو افتقار السجع الأول إلى الثاني . فقد أخذ على أبي العلاء عدم تجنبه هذا الأمر على الرغم من سعة صدره وجلالة قدره فقد كان يأتي به في نثره ، والأولى تركه [٣].

ويبدو أن الكَلاعي لم يكن متأثراً ومعجبا بنثر المعري فحسب ، بل يُستَشَفُّ من آرائه أنه كان متأثراً بآراء المعري النقدية ، و يظهر ذلك جليا في رأيه بما يستحب للكاتب بأن لا يكرر في كتبه خلاله وفِقره ونوادره وغُرَرَه ، فالفقرة المكتوبة كالدُّرَّة الموهوبة وأن لا يكثر من تكرار الألفاظ والمعاني . وهو برأيه هذا يتفق مع المعرّي في قوله : " فتكريرُ الكلمةِ في الكتابِ مرتين كالجمعِ في النكاحِ بين الأختين : الأولى حِلٌّ يُرام ، والثانية بَسل حرام " [٤]. كما تمثل الكَلاعي بشعر المعرّي فيما يتعلق بعدم الميل إلى تكرار المعاني والألفاظ ، عندما أشار إلى ابن زيدون وابن عبدون اللذين كانا " كثيراً ما يفعلان ذلك " ، ويسلكان هذه المسالك . ولأبي الوليد بن زيدون قصيدٌ أوله :

هو الدّهرُ فاصبرْ للذي أحدثَ الدهرُ ... فمن شِيَمِ الأحرارِ في مِثلها الصَّبْرُ

رثى به أمّ أبي الوليد بن جهور ، ثم رثى به المعتضد بالله ، فأنّث مرة وذكّر ، وقدَّم بعض أبياته وأخرّ ، فجاء كما قال أبو العلاء :

رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً ... ضاحِكٍ من تَزاحُمِ الأضدادِ"

مِراراً [١]

وهذا مكروه في الشعر برأي الكلاعي . ونلمح في موضع آخر تأثر الكَلاعي جلياً برأي المعرّي في أثناء تناوله للشعر ، خاصة فيما يتعلق بترجيح المنثور على المنظوم . فهو يأتي

---

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٤٤

[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

برأي المعري في الشعر تدعيما لما يرمي إليه فيقول : وما أعدلَ قولَ أبي العلاء في خطبةِ الفصيحِ : " الشعرُ إذا جُعِلَ مَكْسَبا لم يتركْ للشاعرِ حَسَباً .وإذا كانَ لغيرِ مَكْسَب حسن في الصفات والنسب ما لم تُسبّ المحصنة ... " [٢] و يعقب بعد ذلك على كلام المعرّي بقوله : صدق أبو العلاء وأنصف، إنَّ جنى السيئة شر الجنى كما وصف ما كذب في قوله ولا فرّط ، ولكن من لنا بما شرط؟ فالكَلاعي ليس بمنكر فضائل الشعر ... ، لكن قوم الرسول والصحابة غير هؤلاء القوم ويومهم غير هذا اليوم .[٣]

وعلى الرغم من كل هذه الآراء التي تثبت إعجاب الكَلاعي بأبي العلاء وبأدبه فإن الاتجاه الديني الأخلاقي الذي سيطر على ابن بسام نجده متمثلاً أمام الكَلاعي ، فيأخذ على المعرّي ما أخذه ابن بسام فيما يتعلق في عقيدته إذ يقول : " و أنّه – عفا الله عنه – أضاءَ حتى أظلمَ ، وأعربَ حتى أعجمَ ، وغاصَ في بحرِ هذه الفنون ، حتى تجاوزَ الدّرَ إلى الحمإ المسنون ، فحارَ في أمرِه ، وبَرِم بذات صدرِه ، فلم يحل بطائل من دينه ، ولا انتفعَ بظنه ولابيقينه ."[١] فالكَلاعي يتفق مع ابن بسام بأن غوص المعرّي في الفلسفة ، وسوء مذهبه كانا مما اعترض عليه النقّاد في شعره ونثره .

ثالثاً : ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي :

اتضح مما تقدم مدى عناية كل من ابن بسام و الكَلاعي بأبي العلاء المعرّي ، وما أسهما به من آراء نقدية – حول أدبه – وسِمَتْ بطابع الإعجاب والثناء ، حيث تلتقي في كثير منها مع آراء ابن السّيد البطليوسي الذي يُعدّ أشهر من أقدم على شرح شعر المعرّي عامة وسقطه

---

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

[١] ابن عبد الغفور : الإحكام ، ص ١٣١ .

خاصة الذي لقي احتفاء كبيراً من العلماء والأدباء ، فتناقلوه ودرسوه وشرحوه ، بينما أعرضوا عن لزومياته ، وغضوا الطرف عن شرحها . ولعل ذلك يعود إلى طبيعة المضامين التي تطرق إليها المعرّي في لزومياته ، فجاءت متحررة متشائمة وشاكة ، لاسيّما تلك التي تناول فيها الروح والنفس والجسد، بالإضافة إلى ما أدخله في لزومياته من ألفاظ فلسفية ومنطقية ، مما أدى إلى صعوبة الخوض فيها ،فتعذر على الأدباء تحليلها وتفسيرها وفهم مراميها ؛ نظراً لانعدام الرغبة في شرحها المتمثل بانعدام الاستعداد النفسي اللذين توفرا لابن السيِّد البَطَلْيَوْسي [٢] .

لقد كان الفهم الخاطئ للزوميات المعرّي وراء شرح البَطَلْيَوْسي لها ، إذ وجد نفسه ملزماً بتوضيح ما جاء فيها ، متحملاً كل ما يواجهه من صعوبة ومشقة ، معبراً عن ذلك بقوله : " إنّما تكلّفنا شرحه لأنّا رأينا الناس يخبطون فيه خبط العشواء ، و يفسرونه بغير الأغراض التي أراد والأنحاء "[٣]. فلو شرحه غيره لأكثر فيه من التصحيف والتحريف ، لذا حرص البَطَلْيَوْسي على تتبع رواياته وتصحيح ما جاء فيه من تحريف .

وعلى الرغم من كراهية الناس لما جاء فيه فإنّه كان أقرب إلى نفس المعرّي ؛ لما يحمله من فكره وآرائه فهو " ديوانه الذي سجل فيه تجربته ، وخبرته ، ومراحل تفكيره ، واتجاهه إلى كشف الحقيقة . هو نهج من الشعر جديد ، لا مثيل له في الشعر العربي ، من حيث المعاني الجديدة التي تضمنها ، ومن حيث الموضوعات التي طرقها واتخذ الحياة غاية فيها ،

---

[٢] انظر محمد مصطفى بالحاج : شاعرية أبي العلاء المعري ، الدار الغربية للكتاب ، طبعة جديدة ، ١٩٨٤ ، ص ٧٠ ، محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلسي ، ص ٨٢ – ٨٣ .

[٣] ابن السيِّد : الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ، ص ٥٢ .

ومن حيث الأسلوب أو الشكل الذي اصطنعه ، فجمع فيه بين صعوبة المعاني وقيود القافيـــة " [١].

فجاء موقفه من اللزوميات مغايراً تماماً لموقفه من سِقْط الزند الذي كان يكره أن يقــرأ عليه . من ذلك ما رواه التبريزي إذ يقول : " فرأيته يكره أن يُقْرَأ عليه شــعره فــي صــباه الملقب بسقط الزند ، وكان يغيّر الكلمة إذ قرأتُ عليه شعره ، ويقول معتــذراً عــن تأبِّيــه وامتناعه من سماع هذا الديوان : مدحتُ فيه نفسي ، فأنا أكرهُ سماعَهُ ، وكان يحثنــي علــى الاشتغال بغيره من كتبه ، كلزوم ما لا يلزم ، وجامع الأوزان وغير ذلك "[٢] ، ومع ذلك كان ديوانه سقط الزند أكثر شعره انتشاراً وذيوعاً لا سيما شرح البطليوسي عليــه الــذي حظــي بإعجاب الأدباء والكتاب ، منهم ابن سعيد الذي يرى أن " له فيه الغاية ، ويكفي ذكــره عنــد أرباب هذا الشأن وثناؤهم عليه "[٣] وابن خلكان إذ يقول: " إنه أجود من شرح شــعر أبــي العلاء "[٤] . وقد كان ذلك استجابة لشخص سأله أن يشرح له ديوان سقط الزند ؛ لأنه عجــز عن فهم بعض ما جاء في شرح المعري على سقطه المسمى بضوء السقط، لعدم استيفائه جميع معانيه [٥] .

ولم يكن هذا يتأتى لابن السِّيد البطليوسي لولا ما عُرف به من دقــة الفهــم ، وغــزارة الحفظ ، وسعة الاطلاع ، وتحققه من علوم الفلسفة و المنطق . فقد كــان " عالمــاً بــالآداب واللغات ، متبحراً فيهما مقدما في معرفتهما وإتقانهما ، يجتمع الناس إليه ويقــرأون عليــه ،

---

[١] ابن السِّيد : شرح المختار من لزوميات أبي العلاء المعري (مقدمة المحقق) ، ص ٣ .

[٢] ابن السيد : شروح سقط الزند ، ص٣ .

[٣] المقري : نفح الطيب ، ٣ /١٨٤ .

[٤] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢ / ٢٨٢ .

[٥] ابن السِّيد : شروح سقط الزند ، ص ١٥ .

ويقتبسون منه"[١] ، كذلك " كان ثقة مأمونا على ما قيّد وروى ، ونقل وضبط " [٢] ، كل هذا أعانه على فهم أغراض أبي العلاء وإدراك خفيّ معانيه ، فكانت عونا له في دقة الموازنة ، وسلامة المقارنة ، وفي تتبعه للمعنى حتى يدرك أول ما قاله ونبّه عليه [٣] . فجاء تناوله لشعر المعرّي أشمل وأوسع وأعمق من شرح التبريزي[٤] ، مما جعله أكثر الشراح قدرة على التوغل في عالم المعرّي ، وإزالة الغموض الذي أحاط به وبأدبه ، وفك الخيوط المتشابكة المنسوجة حول شخصيته بإحكام .

وقد اشتمل شرحه لشعر المعرّي لا سيّما سقط الزند على سمات كثيرة جعلته متميزاً عن غيره من الشروح ، حيث اعتنى البطليوسي ببيان " قيمة معنى المعرّي بالقياس إلى من سبقه إليه ، أو إلى بعضه ، وعُني ببيان تجديد المعرّي على المعاني الشائعة أو السابقة له ، ودرجة تجديده ، فكأنه يخلص ما ابتكره مما اتكأ عليه ، ونبّه على معانيه المبتكرة التي لا يحفظ لغيره فيها شيئا ، وهي شيء كثير "[٥] . كما تعقب آثار المتنبي وأبي تمام وغيرهما على شعر أبي العلاء ، فعقد مقارنة بين معانيهم ومعاني المعرّي ، مظهراً ما اشتركوا فيه ، أو ما توكأ فيه المعرّي على أحدهم ، أو عارضه ، أو عكس معناه أو أعاد تشكيله أو توليده لا سيما تتبعه أثر المتنبي .

كما تطرق البَطَلْيَوْسي في شرحه إلى بعض الجوانب الشائكة في حياة المعرّي دون خوف أو تردد ، فتحدث عن عقيدته ، وحاول قراءة أشعاره قراءة تبرئه مما أُلصِق به من

---

[١] ابن بشكوال : الصلة ، ت ٣٦٩ ، انظر السيوطي : بغية الدعاة ، ص ٢٨٨ .

[٢] الضبي : بغية الملتمس ، ت ٨٩٢.

[٣] ابن السِّيد : الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ، صفحة . ض

[٤] محمد مصطفى : شاعرية أبي العلاء ، ص ٧٤١

[٥] محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ص ١٨٧

اتهامات [٦] ، لا سيّما تلك الأشعار التي وردت في اللزوميات . كما استطاع أن يبـــرز لنـــا بصورة واضحة معالم فلسفة المعرّي وعلمه وآرائه ، فكشف عن الكثير من المسائل الفلسفيّة والمنطقيّة [١] والنحويّة واللغويّة والبلاغيّة والصرفيّة التي تطرق إليها المعرّي في أشـــعاره ، مبدياً رأيه النقدي فيها .

لقد نبّه البطليوسي في مقدمة شرحه لشعر المعرّي إلى القضايا والمسائل التي سيتناولها في شرحه ، مبينا رأيه النقدي فيها ، ومصدرا حكمه النقدي المسبق على شعر المعـــرّي ، إذ يقول : "لعمري إنه لشعر قوي المباني ، خفيّ المعاني ؛ لأن قائله سلك بـــه غيـــر مـــسلك الشعراء ، وضمّنه نُكتا من النِّحل والآراء ، وأراد أن يُرىَ معرفته بالأخبـــار و الأنـــساب ، وتَصرُّ فه في جميع أنواع الآداب ، فأكثر فيه من الغريب والبديع ، ومزج المطبوع بالمصنوع ، فتعقدت ألفاظه ، وبَعُدت أغراضه "[٢] .

فمن خلال قوله هذا نلمح موقفه النقدي من شعر المعرّي ومن معانيه وصياغته ، كمـــا نلمح وعيه بطبيعة شعره ، ويبين أن إكثاره من الغريب والبديع ، وسلوكه غير مسلك الشعراء ، بالإضافة إلى ثقافته الواسعة ، كل هذا أدى إلى تعقيد شعره وغموضه . وهو بهذا يتفق مع ابن بسام والكَلاعي ، ويرى ما يريانه من أن طبيعة المضامين التي تناولها المعرّي ، ومعجمه اللغوي والمعرفي واطلاعه الواسع ، تسببت في اتهام الناس له بعقيدته ، فظنوا بـــه الـــسوء وفهموا كلامه على غير مراده . وسنعرض في هذا البحث لمعظم آراء ابن السِّيد النقديّة التي تطرق إليها في شرحه لشعر المعري . وأول ما يقابلنا منها الآراء اللغويّة من حيث الألفـــاظ والمعاني .

---

[٦] أيمن ميدان : تأثير أبي العلاء في الأدب الأندلسي ، ص ٩

[١] ابن السِّيد : شرح المختار (مقدمة المحقق) ، ص ٣٢

[٢] ابن السيد : شروح سقط الزند ، ص ١٥

- الألفاظ :

أدرك النقاد أهمية اللفظ وارتباطه بالمعنى ، فتركوا للشعراء حرية اختيار ألفاظهم للتعبير عن معانيهم شريطة أن يحافظوا على سلامة المعنى ووضوحه واستقامته ، ويبتعدوا عن الألفاظ التي لا تخدم المعنى أو لا تؤدي غرضا جماليا . وقد كان لابن السِّيد البَطَلْيَوْسي وقفة مع ألفاظ المعرّي تتراوح بين الأخذ والإعجاب والتعليل ، إذ أخذ عليه استخدامه للفظة (التحلم) استخداما خاطئاً لعدم تأديتها المعنى المراد فيقول معلقا على قوله :

وهَل فيكُمُ من باطلٍ يُظهِرُ رِياءً به أو جَاهلٍ النَّدى يتحلّمُ

يقول البطليوسي "بنى أبو العلاء بيته هذا على أن التَّحلُّم أن يظهر الإنسان أنه حليمٌ رياء وتصنعا وليس كذلك ، وهذا هو التّحالم في المشهور ، وأما التحلُّم فإنه رياضة الإنسان نفسه على تعلم الحلم ، ليصير له خُلقاً "[1] فالمعرّي في رأي البَطَلْيَوْسي لم يكن مصيبا في اختيار هذه اللفظة ؛ لأنها استعملت في غير موضعها وأدت معنى آخر . كما أخذ عليه استخدامه للفظة (أمواه) ، لأنها لم تؤدِّ المعنى المطلوب في قوله :

وَسَقَاكَ أمْوَاهَ الحَيَاةِ وكَسَاك شَرْخَ شبابِك مُخَلّداً الأفْوَاف

"أمواه : جمع ماء . ولو اتفق له ذكر المياه هاهنا ، أو ذكر الماء غير مجموع ، لكان أبلغ ، لأن أفعالا إذا استعمل معه فعال أو فعول ، فإنما يكون لأقل العدد . هذا هو الغالب عليه "[2] .

---

[1] ابن السِّيد : شرح المختار ، ص ٢١٣ .

[2] ابن السيد : شروح سقط الزند ،٣ / ١٢٩٧ .

ويرى البطليوسي أن المعرّي أحيانا قد يأتي باللفظة مضطراً لها دون أن يراعي صحة المعنى ، من ذلك تعليقه على لفظة (الراحة) في قول المعرّي :

ومـــن يَعْفُ عــن ذنـــبٍ ويَـــسخُ فخـــــالقُنا أعْفَـــى ورَاحَتـــــُه بنائـــل أسخـــــَى

اضطره الشعر إلى أن يضع الرّاحة موضع اليد ، ولا يجوز أن يقال : إن لله راحـــة ، وإن كانت بمعنى اليد ، لأن الشرع قد منع أن يوصف إلا بما وصف به نفسه "[٣] .

ومن الملاحظ أن مآخذ ابن السِّيد على ألفاظ المعرّي قليلة جداً ، إذا ما قيست بإعجابـــه بقدرته على اختيار ألفاظه ونجاحه في استخدامها استخداما يزيد الجملة قوة وبراعة ، إذ يعد ه من حِذْق الشاعر العارف بوجوه الكلام ، القاصد للتشاكل بين الألفاظ والالتئام .[١]

ولا يقتصر البطليوسي في نقده للمعرّي على الإشارة إلى الألفاظ وموضعها في البيت ، بل نجده ينبه على اللغة النادرة لدفع الخطأ عن المعرّي ، ومثبتا قدرته وتقدمه وثقافته . مـــن ذلك روايته

للفظة (تصيّد) التي وردت في قول المعرّي :

تـــصَيـــــَّدُ سَفْرَهـــــــا فـــي كُـــلِّ وَجـــــــْهٍ وغَايَـــــــةُ مَـــنْ تُـــصَيـــــّدَ أن يُصـــــَادا

" ويُروى تَصَيّد أن يَصَادا بفتح التاء والصاد والياء من الفعل الأول ، وفتح الياء من الفعـــل الثاني ، وهو من قولهم : صَادَ يصَادُ ، لغة في صادَ يصيد ، وهي لغة نادرة ... فمعناه على

---

[٣] ابن السيد : شرح المختار ، ص ١٣٤ .

[١] ابن السِّيد ، شروح السقط ، ١ / ٤٢٨ .

هذا أن غاية مَنْ صاد أن يبلغُ غرضه . والأول هو الأوجه . " [٢] ويرى البَطَلْيَوْسي أن لفظة (ضفادي) التي وردت في قول المعرّي :

وَتُصْغي وتُرْنى كُلَّ خَلْقٍ لَعَلّها ... تَتَقُّ ضَفَادِيها ويَلْعَبُ نُونُها

لغة في الضفادع مخالفا رأي سيبويه وأصحابه الذين يرون أنها جاءت في البيت الذي أنشده سيبويه

ومنهلٍ ليس له حوازقُ ... ولضفادي جُمِّهِ نقَانِقُ

على وجه الضرورة من الشاعر ، وليس بلُغةٍ على الصحيح ؛ لأن الضفادي ليس لها واحد مستعمل من لفظها ، وإنما المستعمل المسموع : ضِفْدَع ، بكسر الدال وفتحها ، وقد حُكي " ضُفْدَع " بضم الضاد وفتح الدال ، وهو نادر ".[٣]

وتأتي معرفته بلغة العرب لتخدمه في التمييز بين ما هو أصل فيها من الألفاظ و ما هو من ألفاظ الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم ، كوقوفه على لفظة (أزليّة) في قول المعرّي :

وَصفْتِ لقومٍ رحمةً أزليةً ... ولم تُدركي بالقول أن تَصفِيها

" هذه لفظة كثر استعمال الفلاسفة والمتكلمين لها . يقولون للشيء القديم الذي لا يعلم له مبدأ أزلي ، ويقولون كان ذلك في الأزل . يريدون المعنى في قولهم لم يزل ، وليس لذلك أصل في لغة العرب ، ولا هو صحيح في القياس ، لأنه لا يجوز أن يكون الأول مشتقا من قولهم ما

---

[٢] المصدر نفسه ، ٢/ ٨٠٠- ٨٠١

[٣] المصدر نفسه ، ٢/ ٩٠٣

زال وما يزال ، لأن أحدهما معتل عين الفعل غير مهموز ، والآخر صحيح عين الفعل مهموز ، وقد استعمله أبو العلاء كما ترى اتباعا لما جرت به عادة المتكلمين "[١] . وشرحه لهذا البيت لا يعكس معرفته بلغة العرب فحسب بل يُسْتَشَفُّ منه معرفته بألفاظ الفلاسفة والمتكلمين التي أكثر منها المعرّي في شعره.

ومما يلاحظ أيضا أن البطليوسي لم يكتفِ ببيان ما إذا كانت بعض الألفاظ قد وردت في لغة العرب أم لا ، بل نجده ينبه على اللغات المختلفة التي تأتي عليها اللفظة الواحدة ، وهو بذلك ينفي عن المعرّي الوقوع بالخطأ ، وهذا كثير في شرحه . من ذلك توضيحه للفظة (كفر طاب) في قول المعرّي:

وبَيْنَ يَدَيْهِ كَفْرُ طَابَ يَعِيشُ لفَقْدِ الماءِ عَيْشِ وإنْسُهَا ضبَابِ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" ... ويجوز في " كفر طاب " ضم الراء وفتح الباء ، على لغة من يقول : هذه بعلُ بَكّ . ويجوز في كفر طاب فتح الراء وضم الباء ،على لغة من يقول : هذه بعلَ بكٌّ ، ويجوز فتحهما ، جميعا على لغة من يقول : هذه بعلَ بكَّ ".[٢]

وأحيانا نجده يرجح لغة على لغة كتعليقه على قول المعرّي :

تَدانَتْ به الأَقْرانُ حَتّى كأنَّ قِتَالَ الفَيْلَقَيْنِ تَجَاثَأَتْ جِدَالُ

"... والتجاثؤ والتجاثي ، بالهمز وترك الهمز لغتان ، والأشهر فيه ترك الهمز "[١] . ولا يتوقف الأمر عند هذا بل نجده يوجه إلى ما كان ينبغي أن يقوله المعرّي كتعليقه على قوله :

---

[١] ابن السِّيد : شرح المختار ، ٤٧٥ – ٤٧٦

[٢] المصدر نفسه ، ٤/ ١٦٩٣ ، ١٦٩٥ .

كَـــأَنِّي حَيـــــْثُ يَنـــْشَا الدَّجـــْنُ فَهـــــَا أَنَـــا لا أُطـــــَلُّ ولا تَحْتـــــي أُجـــــَادُ

... كان ينبغي أن يقول : ينشأ بالهمزة ، ولكنه خفف الهمزة " .[٢] كما يبـين البَطَلْيَوْسـي أن اللفظة الواحدة قد تحمل البيت على معنيين من ذلك :

أَيَـا جـــــَارةَ البَيـــــْتِ المُمَنَّـــعِ غَـدَوْتُ ومـــــَنْ لـــي عِنْدَكـــُمْ جـــــَارُهُ بِمَقِـــيلِ

" وصفها بالعزّة والمُنعة ، وأن من استجار ببيتها عزّ جانبُه ، ولم يطمع في اهتضامه عـدوُّه وطالبُه . والمَقِيل : الموضع الذي يُنام فيه أو يُتودّع في القائلة . وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد : إن الدهر قد أزعجني للسفر ، وحال بيني وبين الأمنية والوطر ؛ ولم يُوجِدْني سبيلا إلى التمتّع بوصلكم ، والمقيل عندكم . والآخر أن يريد : من لي بأن يساعدني الزمانُ بالعودة إليكم بعد فراقكم ، حتى أقيل عندكم ، وأنال البغية منكم "[٣] .

ويرى البطليوسي أن المعرّي قد يأتي باللفظ أحيانا ليناسب بينه وبين لفظ آخر ، كقوله :

بِهـــــَا ركَـــزَ الرُّمـــــْحَ الـــسِّماكُ عـــــرَا الفَرْغِ فـــي مَبْكَـــى الثُّرَيَّـــا وقُطِّعـــــَتْ بِهُمـــَّعِ

"... أراد أن يقول السِّماك الرامح ، فلم يمكنه ، فقال : ذي السلاح ، وذكر الإصبع مع ذكـره الذراع، وتقطيع العُرا مع ذكر الفرغ ، والركز مع ذكر الرمح ، تتميما للصنعة ،ومناسبة بين الألفاظ "[٤]. ومن ذلك قوله في :

---

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣/ ١٠٦٢ .

[٢] المصدر نفسه ، ١ / ٢٨٥

[٣] المصدر نفسه ،٣ / ١٠٤١ .

[٤] المصدر نفسه ، ٤ / ١٥١٧ – ١٥١٨

تطَيـــــــــرَ لِهْبـــــــيٌّ تَلَهـــــــبَ بِأسْحَـــــمَ يَرْدى فـــي الدِّيـــــــارِ و قَلْبُـــــــهُ أَبقَع

"... وقوله تلّهبَ قلبُه دعاءٌ عليه بأن لا يعدم قلبُه لهيبَ لوعةٍ وتذكّر ، حين تطيَّرَ وقد نُهى عن التطيُّر . وخصّ هذه اللفظةَ بالدُّعاء دون غيرها للمجانَسة بين الألفاظ " [١].

ومثلما اهتم البطليوسي باللفظ وأحواله ،التفت إلى علاقته بالمعنى فشهد للمعرّي بحسن انتقائه لألفاظه ومناسبتها للمعاني مما أضفى عليها جمالاً ورونقا ، حيث وفق باختياره للفظة (سعياً) بدلاً من (رعياً) في قوله :

" وإنما قال " فسقياً " ، ولم يقل " فَرْعيا " والوزن واحد ، لأن لفظة السقي هاهنا أليق " [٢].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا يكتفي البطليوسي بربط اللفظ والمعنى بل نجده يُتْعِبُ نفسه في التعليل والتخريج من ذلك قوله في قول المعرّي :

أحيَاهُمـــــا اللهُ عَصْرَ البَيْنِ ثُمَّ قضَـــــىَ قَبـــــلَ الإيَـــابِ إلـــى الـــذُّخْرَينِ أنْ مُـــوْتَا

"... وقوله " أن موتا " يحتمل أن يريد " أميتا " فكأنه يجوز على هذا : مِيت الرجل وأميت . وجاء به على لغة من يقول : بُوع الثوب ؛ وقُول القول ، ولا أعلم أحداً من اللغويين حكى : مِيت الرجل ، بمعنى أميت . وأبو العلاء ممن لا يُتَّهم في حفظ اللغة . فإن كان مِيت الرجل محفوظا فلا نظر فيه ، وإن كان غير محفوظ فله عندي وجهان : أحدهما أن يكون جاء به على حذف الزيادة كقوله تعالى : " وأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لواقِحَ " ... والثاني أن يكون قوله "موتا"

---

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٤ / ١٤٨٨ .

[٢] المصدر نفسه ، ٣ / ١٢١٩ .

أمرا ؛ لأنه إذا قضى عليها بالموت ، فقد قال لهما : موتا..."[٣]. ومن ذلك تعليله اختيار المعرّي لكلمة (الأخدع) في قوله :

إذا سَحَلَتْ في القَفْرِ كَانَ سَحِيلُهُ صَلِيلا يُريقُ العِزّ مِنْ كُلِّ أخْدَعِ

"... وخصّ الأخدع بالذكر لأنه عِرقٌ في القفا ، حيث يكون ضرب الرِّقاب ، ولأنهم يزعمون أن هذا العرق إذا انفجر منه دم لم يكن ينقطع حتى يموتَ صاحبه"[١] .

ويشير البطليوسي إلى أن المعرّي قد يأتي ببعض الألفاظ لتؤدي غرضا جمالياً أو ذوقيا فقط ولا أثر لها في اظهار المعنى كلفظة (أديم الأرض) في قول المعرّي :

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنُّ أديمَ أرْضِ إلا مِنْ هذِهِ الأجْسَادِ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"... أديم كلّ شيءٍ : جِلدُه : فسمّى وجه الأرض أديماً على التمثيل كما قال الأعشى...، وخص أديم الأرض ، وإن كان الأبلغ في المعنى الذي أراده أن يقول : ما أظن الأرضَ ، من حيث كان الوطء على وجه الأرض ، وكذلك دفن الموتى "[٢].

وأحيانا يأتي المعرّي باللفظ لإتمام المعنى ، كلفظة (الإمام) في قوله :

وأَذَّنَتِ الجَنَادِبُ في أذَانا غَيْرَ مُنتَظَرِ ضُحَاها الإمَامِ

---

[٣] المصدر نفسه ، ٤ / ١٥٩٤ – ١٥٩٥

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٤ / ١٥٤٢ .

[٢] المصدر نفسه ، ٣ / ٩٧٤ – ٩٧٥ .

"هذا البيت وفَّى معنى البيت الذي قبله ، تتميما للصنعة . أعنى أنّه لما استعار للحرباء الصلاة ، وصف الجنادب بالأذان ؛ إذ كانت الصلاة محتاجة إلى مؤذّن يُشعِر بوقتها . ولذلك ذكر الإمام لكمال المعنى ، والجنادب : الجراد "[٣] .

إلا أن المعرّي قد يغفل عن اختيار اللفظ المناسب للفظ آخر ، مما يؤدي إلى اخلال بالصنعة وعدم إتمام المعنى ، وهذا ما لحظه البطليوسي في قول المعرّي :

قلّدْتِ كُلَّ مَهاَةٍ عِقْدَ وفُزْتِ بالشكر في الآرامِ

غانيةٍ والعُفُر

"... ولو اتفّق له أن يذكر في هذا البيت البقر مع الآرام لكان أكمل للمعنى ؛ لأنه أفرد الظباء بالشكر ، فكان إخلالا بالصنعة"[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعلى الرغم من إعجاب البطليوسي بانتقاء المعرّي لألفاظه ، إلا أننا نلحظه يوجه بعض الألفاظ إلى معناها الصحيح على غير ما أراد المعرّي مع بيان السبب . من ذلك رأيه في استخدام المعرّي لكلمة (الآباد) إذ يقول في قول المعرّي :

وَدَفِينٍ على بَقايا في طَويلِ الأَزْمانِ

دَفينٍ والآبادِ

"... الآباد : الأزمنة ، واحدها أبد . والوجه أن تُجعل الآباد هاهنا الدُّهور ، لأنه قد ذكر الأزمان ، وإذا أمكن أن يكون لكل واحد من اللفظين معنى كان أولى . والفرق بين الزّمن

---

[٣] المصدر نفسه ، ٤ / ١٤٦١ .

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١ / ١٢٧ – ١٢٨

والدّهر ، أن الزّمن مدة الأشياء المتحركة . والدّهر مدة الأشياء الساكنة ؛ ويقال : الزمن مُدة الأشياء المحسوسة ، والدّهر مدة الأشياء المعقولة"[٢] .

ومما يلفت انتباه البطليوسي إكثار المعرّى من الألفاظ المشتركة التي تعكس إبداع المعرّي وبراعته في توظيف ألفاظه ، فيحاول البطليوسي تخليص المعنى المناسب أحيانا بعد ذكره للمعنيين ،وهذا يتكرر كثيراً في شعر المعرّي من ذلك قوله :

فَهَلْ حُدِّثْتَ بالحِرْبَاءِ بِرأْسِ العَيْرِ مُوضِحَةً يَلْقَى الشِّجَاجِ

" الحرباء . لفظة مشتركة يسمّى بها مسمار الدرع الذي تُشَدّ به ، ويسمّى بها نوع من الحشرات يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ، ويقال هو ذكر أُمّ حُبَيْنٍ . والعَيْر أيضا لفظة مشتركة ، يسمّى بها الحمار الوحشي والحمار الإنسي ، ويسمَّى بها الناشر في وسط الرمح والسيف والسهم ، وأبو العلاء يُلغز كثيرا بالأسماء المشتركة ، فيوهم أنه يريد معنىً وهو يريد معنىً آخر ، ويصف أحد الاسمين المشتركين بصفة الآخر" [٣]. ومن ذلك قوله :

أَوَالَى نَعْتِ الرّاحِ من شَغَفٍ لعَلّكَ خَالٌ للمُدَامَةِ بها أوعَمُّ

" الراح : لفظة مشتركة تقع على معان مختلفة ، فمنها الراح التي يراد بها الخمر ، ومنها الراح التي يُراد بها الارتياح والطرب ، ... وكان هذا الشاعر قد مدح أبا العلاء بشعر افتتحه بوصف الخمر . وكان لا يليق بمَنْصبِ أبي العلاء ورُتبته أن يذكر الخمر في تَقَرِيظه ومِدْحتهِ.... ثم قال : إنما يجب أن تُنسب إليك الراح التي يراد بها الارتياح إلى الكرم ،

---

[٢] المصدر نفسه ، ٣ / ٩٧٦

[٣] المصدر نفسه ، ٤ / ١٧٢٣ .

ويُوصف بها أهلُ السماحة وحلاوة الأخلاق والشِّيم ، وأما الراح المعتصرة من العنب ، فــلا يليق بمثلك أن يكون لها إليه نسب "[١].

ويأتي حكم البَطَلْيَوْسي صريحا على انتقاء أبي العلاء لألفاظه ووضعها الموضع المناسب واللائق ، فلا يستطيع إخفاء إعجابه بحُسن نظمه وتراكيبه ، إذ يقول معلقا على قول المعرّي :

فواعَجَــــبا كَــمْ يَــدّعِي الفَــضــــلَ ناقِــصٌ وَوَاأسَفــــاَ كــمْ يُظهــــرُ الــنَّقصَ فاضــلُ

"هذا من الكلام البديع الحَسن الذي يدلُّ على حِذْق قائله بصناعة الشعر ؛ لأنه قــرن العَجَــب بادعاء الناقص للفَضْل ، والأسفَ بإظهار الفاضل للنقص ، فوضع الألفاظ في المواضع اللائقة بها . ولو عكس الأمر لأخلّ بالنَّظم ، وأوجد فيه موضع انتقاد لذوي الفهم "[٢].

وهو بهذا يتفق مع قول عبد القاهر الجرجاني في اللفظ والمعنى : " وهل يقع في وَهْــمٍ وإن جَهَدَ ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان ، من غير أن يُنْظَر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفةً مستعملة ، وتلك غريبةً وحشية أو أن تكون حُــرُوفُ هذه أخفَّ ، وامتزاجها أحسن ... وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحةٌ، إلا وهو يعتبــر مكانَها من النظم وحُسْنَ ملائمةِ معناها لمعاني جاراتها ، وفــضل مؤانــستها لأَخَواتهــا "[٣] فالبطليوسي يؤكّد قدرة المعرّي في اختيار ألفاظه ووضعها الموضع اللائق والمناسب . فتأتي متلائمة مع المعنى ، مؤدية الغرض المطلوب .

المعاني :

---

(١) ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣ / ١١٥٠ ، وأنظر شروح السقط لفظة (غروب) ، ٤ / ١٧٤٣

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٥٢٨ .

(٣) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ، علق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ،، ص ٤٤

تعرض البطليوسي في شرحه لشعر المعرّي لبيان قيمة المعنى عنـــده ، فتوقـــف عنـــد المعاني المخترعة والمولّدة والمبتكرة والمأخوذة من غيره ، ومما يلاحظ أن البطليوســـي لـــم يستخدم كلمة سرقة قطّ واستخدم بدلاً منها كلمتي أخذ ومأخوذ . وهو بذلك يتشابه مع ابن بسام والمعرّي في شرحه لشعر المتنبي .

و نرى أنّ البطليوسي يثني على ابتكار المعرّي لمعانيه ، ويصنفها بأنها معان جديدة لم يسبقه إليها أحد ، ولا يستطيع أحد مجاراته فيها . وهي كثيرة في شعره يدل عليها بعبارة (لا أحفظه لغيره) ، (هذا معنى مليح لا أحفظ له نظيراً فيما رأيته من الأشعار). وقد تكررت هذه العبارة كثيراً في شرحه . من ذلك :

فَإنْ زَعَمُـــوا أَنَّ الهَجِيرَ اسْتَـــــشَفَّهُمْ إلَيْـــــهَا فَمِنْهَـــا فـــي المَزَايـــــدِ أَسْمَـــــالُ

" ... وهذا معنى مليح ، لا أحفظ فيه شيئا لغيره "[1]. وفي موضع آخر نراه ينوه إلى مجـــيء الشعراء بكثير مما جاء به المعرّي من وصف ، إلا أنه جاء بطريقة لم يسبقه إليها أحد كقوله :

وَأُكْبِـــــــرُ أن يُرَثّيَهـــــا لِسَانـــــي بلَفـــــــظٍ سَالـــــــك طـــــــرُقَ الطّعـــَامِ

" يقول : إنما كان ينبغي أن يُصاغ لها المراثي من النُّجوم العُلْوية ؛ لأنهـــا مـــشاكلةٌ لنفـــسها الطاهرة القُدسيّة ؛ لا من الأشعار التي تقذِف بها خواطرُ الأجسام ، وتسلك مسالكَ الطعـــام .

---

[1] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣ / ١٢٢٤- ١٢٢٥ ، انظر شروح السقط ، ١ / ١٧٨ ،٢ / ٦٥٣

وهذا معنى لا أحفظه لغيره ؛ غير أن الشعراء قد أكثروا من تشبيه المعاني والشِّعر بـــالنجوم والكواكب "[٢].

وأحيانا يبين اقتراب أحد الشعراء من المعنى الذي أراده المعرّي لكنّه بعيد عنه كقوله في :

لِغَيْرِي زَكـــــاةٌ مِـنْ جمَـــــالٍ فـإن تَكُــنْ زكـــــاةُ جَمـــَالٍ فــاذكُرِي ابــنَ سَبــِيلِ

" يقول : إن زكّيتِ إبلك فأنا غنيّ عنها ، وإن زكّيت حُسنك فاشركيني في زكاتك ، واجعلـــي لي حظّا منها ، فإني ابنُ سبيل تجب الصدقةُ عليه ، ويُؤجَر من يرحمه ويُحسِن إليه . ولـــست أحفظُ نظير هذا المعنى لغيره ، غير أن المجنون قد قال ..."[١]. وفي موضع آخر يقول فـــي تعليقه على أحد أبيات المعرّي : "ولا أحفظ لغيره في هذا المعنى شيئا . غير أن أبا الطيب قد قال وإن لم يكن بعينه :

يكاد يذيـــــبُ اللحـــم ثائـــــر فيمنعهـــــا مـــن زاك يـــرد حقـــدها المناهـــــل"

ويعلق بعد ذلك بقوله :الشاعر الفطن ينبهه بعض المعاني على بعض .وهذا ما قام بـــه المعرّي

واستشفه البطليوسي من قوله :

تَأَخـــــرَّ عَـــنْ جَيْـــــشِ الـــصبَّاحِ فَأَوْثقـــــــــهُ جَيـــــشُ الظَّـــلام لضُعْفِهِ إســـــــارَا

---

[٢] المصدر نفسه ، ٤ / ١٤١٧ .

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣ / ١٠٤١- ١٠٤٢ .

" فقال : هذا معنى مليح لم يُسبَق إليه ، وإن كان الشعراء لم يُوردوه على هذه الصفة فقد نبهوا عليه "[٢]. ونجد البطليوسي أحيانا ينبّه على المعنى المبتكر عند المعرّي بذكر كلمة (مخترع) ، من ذلك قوله :

تَدَاعَـــى مُـصْعَـــداً فـــي الجِيـــدِ فَغَـــــالَ الطَـــــوْقَ مِنـــــهَا وَجْـداً بِانْفِصـــــَامِ

"... الانفصام : أن ينكسر الشيءُ ولا يَبين بعضُه من بعض ، فإذا بان بعضُه من بعض فهـو انقصامٌ بالقاف . وقال بعض اللغويين : هما بمعنى واحد ، ومعناه أنّ طوقَ الحمامة لا يكون مستديراً بعنقها من جميع نواحيه ، ولكنه ينقطع بعضُه من بعض ؛ فاخترع من ذلـك معنـى طريفا ، فذكر أن سببَ انقطاع طوقها أنَّ وجدها تزاحم في حلقها لكثرته . فأحدث في طوقها انقطاعاً ".[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكذلك تعليقه على قوله :

نَسِيـــــتِ مَكَانَ العِقْـدِ مِـن دَهَـش فَعَلّقْتِـــــــهِ فـــــي وَجْنَـــــةٍ وَ النـــوَى مَســـــيلِ

" ... أراد أنها بكت عند الوداع فسالَ دمعُها على خدها شبيها باللؤلؤ ، فكأنها دَهِـشت حـين فاجأها الفراق ، فأرادت أن تُعلّق عقدَها في جيدها ، فأخطأت وعلّقته في خدها . وهـذا مـن معانيه التي اخترعها ولا أحفظ فيه شيئا لغيره "[٢]. وقد كان للبطليوسي وقفـة مـع معـاني المعرّي التي استخرجها من معاني غيره وهي كثيرة جداً ، من ذلك :

---

[٢] المصدر نفسه ،٦٢٥/٢

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ،١٤٢٤/٤ ، انظر ٤/ ١٧٣٥

[٢] المصدر نفسه ، ١٠٤٢/٣-١٠٤٣

فَـصِيـــــمٌ نـصْفُهُ فـي المـــــاءِ وَنِـصـــفٌ فـي الـسَّمـاءِ بِـهِ بـــــادٍ تُـــــزَانُ

" ... وإنما أراد أنّ الهلال أشرف على الغدير فهو يُرى فيه ، فولّد من ذلك معنىً مستظرفا فقال : كأنّ نساء الجنّ لعبن بهذا الغدير ، ففاجأها الصباح ففرت وتركت فيه جاناً مكسورا، نصفُه يبدو في السماء ونصفُه يبدو في الغدير ".[٣] فالمعرّي بنظر البطليوسي شاعر حاذق يكفيه الإيماء والتلويح ليُولِّد المعاني بعضها من بعض .[٤]

كما توقف البطليوسي عند المعاني التي أخذها المعرّي من أبي تمام والمتنبّي وغيرهما متتبعا أثر كل واحد منهما في شعر المعرّي لاسيما المتنّبي ؛ نظراً للعلاقة المتينة التي تربط البطليوسي بالمتنبي وتعكس شدة إعجابه بشعره وقيامه بشرح شعره بعد ذلك ، فأصبح أكثر إدراكاً لمضمونه ، مما سهّل عليه استخراج المواضع التي بدا فيها المعرّي متأثرا بالمتنبي بطريقة واضحة ، معبراً عن ذلك بقوله – وهو مأخوذ من قول أبي الطيب[١] . كما يبين في بعض المواضع الزيادات التي زادها المعرّي على المتنبّي ، من ذلك قوله معلقا على بيت المعرّي :

وَلاَ ظَنَنْـــــتُ صِغـــارَ النَّـــمْل مَشْـيٌ علـى اللُّجِّ أو سَـعْيٌ علَـى يُمكِنُهـــا السُّعُرِ

" كما قال أبو الطيب :

وخُضْرَةَ ثوبِ العيشِ فـي الخـضـرة أرتـكَ احمرارَ الموتِ فـي مَـدْرَجِ

---

[٣] المصدر نفسه ، ٢١١/١ ، انظر ٢٠٧

[٤] المصدر نفسه ، ٣/ ١٠٩٧

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١/ ١٨٦، ١٦١

التـــي النَّملِ

فأخذ أبو العلاء هذا المعنى وزاد فيه زيادات مُستملحة وأموراً مـستظرفة ."[٢] ، ومـن ذلك قوله في قول المعرّي :

رَوْضُ المَنَايـَا عَلَـــى أنَّ الدِّمـــــاءَ وإن تَخَالَفْـــــنَ أَبَـــدالٌ مـــن بـــه الزَّهـــــرِ

" وهذا نحو قول أبي الطيّب :

يـــا مُزِيـــــلَ الظـــــلَّام عنّـــي يـــومَ شِرْبـــــي ومَعْقلـــي فـــي ورَوْضـــــي البِـــــرازِ

وقد زاد عليه أبو العلاء بأنْ جعله روضاً للمنايا ، وجعل الدّم فيه بدلا من الزهـر فـي الروض، فجاء بما أغفله أبو الطيّب مما يتمّ به المعنى فكان قوله أرجح ومعناه أملح"[٣] .وثمة مواضع أخرى كثيرة تثبت أخذ المعري معاني غيره من الشعراء ، وزياداته عليهـا زيـادات حسنة تشهد بعبقريته ، كما تشهد بثقافته وثقافة البطليوسي و اطلاعه على أشعار العرب. من ذلك تنبيه البطليوسي على أن بعض معاني المعرّي قد وردت في أشـعار العـرب القـدماء والمحدثين لكن بألفاظ أخرى كقوله في بيت المعرّي :

ورأيـــــت البقـــــاء فيهـــــا وإن ـــدَ لِوشْكِ الحِمـــــام كالعربـــــون مُد

يقول : أهل الدنيا يفرحون بطول البقاء ، ولا يعلمون أنه يفضى بهم إلى الفناء . لأنهم خلقـوا خِلقة لا يمكن أن تبقى على تعاقب الأيام ، ففيهم مقدمة من مقدمات الحِمام كما يقوم المشتري

---

[٢] المصدر نفسه ، ١٦٠/١

[٣] المصدر نفسه ، ١٥٨/١

بدفع العربون في السلعة لسيتوجبها ويكون أحق من غيره بها . وهذا المعنى موجود في أشعار المتقدمين والمحدثين ، وإن كان بغير هذا اللفظ ، فمن ذلك قول النمر بن تولب :

يود الفتى طول السلامة فكيف يُرى طولُ السلامة والبَقَا يفعلُ"[١]

ومع أن البطليوسي بدا معجباً بكثير من معاني المعري التي أخذها من معاني غيره ، إلا أنّه يأخذ عليه قوله :

طَمُوحُ السَّيفِ لا يَخْشَى ولا يَرْجُو القِيَامَةَ إلَهاً والمَعَادَا

"... يقول : لا يغترُّ الجاهلون بحكم هذا الممدوح وتَقْواه ، فإنّ سيفه لا يتّقي الله ولا يخشاه ، فإن اضطر إلى الحرب بتَعَدِّيهم ... ، وهذا معنى كثير في الشعر المُحْدَث والقديم ، إلا أن المعرّي استعمله بلفظ شديد البَشاعة ، ظاهر الشَّناعة ، يُنكره من يراه ، ويتأوله على غير معناه ، واستعمله غيره بألفاظ لا تمُجُّها الطِّباع."[٢]

كما نبّه البطليوسي على معاني المعرّي التي خرج بها مخرج الإيماء والتلويح ، بالإضافة إلى أسلوبه المعتاد بإخراج المجازات مخرج الحقائق ، وأجرى الكاذب مكان الصادق .وقد أشار البطليوسي إلى هذا من خلال شرحه لقول المعرّي :

ورُبّ سَاحِبِ وَشْيٍ من جَآذرِها وكان يَرْفُلُ في ثَوْبٍ من الوَبَرِ

---

[١] ابن السِّيد : شرح المختار ، ص ٣٥٨- ٣٥٩

[٢] المصدر نفسه : شروح السقط ، ٢/٥٩١ - ٥٩٢

" ... وتحت هذا الشعر معنىً مليح أخرجه مخرج الإيماء والتلويح، وذلك أنّ النساء الحسان لمّا كُنّ يُسَمِيَّن ظباءً وبقراً على التَّمثيل والاستعارة جعلهنّ منهنّ على الحقيقة ، لأن من شأنه أن يخرج المجازات مُخرج الحقائق و يجري الكاذب من الأقوال مُجرى الصّادق ، مبالغةً في المعاني التي يغوص إليها ، ويبني شعره عليها ."[١] وهو بذلك يعكس فهمه العميق لأشعار المعرّي التي أسعفته في فهمها ثقافته الواسعة ومصادره المختلفة ، من ذلك رجوعه إلى أصحاب المعاني في إيضاح معاني بعض أبياته وشرحها . كقوله معلقا على بيت المعرّي :

ومَأكولَةُ الأَغْمادِ مُرْهَفَةُ الظُّبَا بَرَاهَا قِرَاعٌ دَائِمٌ وصِقَالُ

" ... قال أصحاب المعاني : أراد أنّ سيوفهم تحرق أغمادَها لشدة إرهافها . والإرهاف : الحدّة . والظُّبا : أطراف السيوف ، وأحدها ظُبة ".[٢]

وأحيانا نجد البطليوسي يقف على المعاني العديدة للبيت الواحد مفسراً وموضحاً، مشيراً إلى ورودها بكثرة في أشعار المعرّي ، من ذلك توضيحه لسفائر ليل في قول المعرّي:

أَأَبْغِي لَهَا شَرّا وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا سَفَائِرَ لَيْلٍ أو سَفَائِنَ آلِ

" وأما قوله " سفائر ليل " فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون من قولهم : سفرت الإبل وأسفرت ، إذا ذهبت على وجوهها . والثاني أن يكون من قولهم : سَفَرتُ البعير ، إذا جعلت على أنفه السِّفار ، وهي حديدة أو وتر ملويّ ... فيكون في هذين الوجهين قد بنى من سَفَر اسماً على زنة فَعُول ، على جهة المبالغة ، ثم جمعه على فعائل ... والوجه الثالث أن يكون "

---

[١] ابن السِّيد: شروح السقط ، ١٢٨/١

[٢] المصدر نفسه ،١٠٥١/٣ – ١٠٥٢ ،انظر ١٠٩٠

سفائر " جمع سفير ، وهو الرسول الذي يمشي في الصلح ؛ فلما كانت الإبل تهوّن على راكبها ركوب الليل وتزيل عنه صعوبتة وتوصله إلى ما يريده . جعلها كالسفراء الذين يصلحون بين القوم حتى يزول ما بينهم من الأحقاد ."[٣]

وثمة أمر نبّه عليه البطليوسي في شرحه وهو تكرار المعرّي لكثير من معانيه في مواضع مختلفة من شعره مستخدما عبارة : ورد هذا المعنى في مواضع من شعره ، أو قوله : وقد ذكر نحو هذا ، أو وهذا مثل قوله .[١] ولا يكتفي البطليوسي بالإشارة إلى المواضع التي تتكرر فيها معاني المعرّي ، بل يلجأ إلى عقد موازنة بين معاني المعرّي نفسه ، من ذلك قوله : وقد قال ما هو أبلغ من هذا في موضع آخر . أو هذا خلاف قوله في موضع آخر .[٢] مما يعكس تتبعه الدقيق لكل ما جاء به المعرّي في شعره ، ومدى تمكنه من أدواته النقدية التي أفادته كثيرا في شرحه .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المسائل النحويّة والصرفيّة:

ولم يكتفِ البطليوسي بالوقوف على الألفاظ والمعاني في شعر المعرّي وطريقة توظيفه لها ، بل نجده يشير إلى كثير من المسائل النحوية التي وردت في شعره مبيناً رأي النحاة فيها ، وكأنه بذلك يبرر للمعرّي استخدامه للنادر أو الشاذ من اللغة أو النحو ، من ذلك قوله معلقا على قول المعرّي :

ولَوْ أنّ النَّخيلَ شَكِيرُ جِسْمِي ... ثَناهُ حَمْلُ أنْعُمِكِ الجِسَامِ

---

[٣] المصدر نفسه ، ٣/١١٧١ – ١١٧٢

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣/ ١٣٩٠، ١٣٩١، ٤/١٦٠٠ ، ١٤٦٠.

[٢] المصدر نفسه ، ١/٧٩ ، ٥٥٢

" وأنعُم : جمع نِعمة ، كما قالوا شِدّة وأشُدّ . هذا قول سيبويه . وأجاز غيره أن يكون جمع نُعْم . وهو بمعنى النّعمة ، وكلاهما نادر ؛ لأن فُعْلاً المضموم الفاء ليس بابه أن يجمع على أفُعل ، ولم يأتِ من ذلك إلا فُفْل وأقفل."[٣] فهو يناقش ويحاور ليدلي برأيه بعد ذلك . ومنه قوله :

تَطَلّعَ مِن جِدَارِ الكَأْسِ كَيْما يُحَيّي أوْجُه الشَّرْبِ الكِرَامِ

"... واستعار للكأس جدارا ، وإنّما الجدار في الأصل للحائط . والشرب : جمع شارب وهو اسم للجمع عند سيبويه ، وهو عند الأخفش جمع وليس باسم ."[١] فهو بذلك يشير إلى تمكّن المعرّي من النحو ومعرفته بآراء النحاة مما يصعب تخطيئه ، كقوله معلقا على كلمة " رويداً " في بيت المعرّي :

سِرْ إنِ اسْطَعْتَ في الهواءِ رُوَيْداً يالا اختيالا على رُفَاتِ العِبَادِ

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"رُويداً : كلمة معناها الترفق والترسل ، وهي عند البصريين تصغير " إرواد " على جهة الترخيم . والفرّاء يراها تصغير " رُود " غير مرخمّة وحجته قول الشاعر :

يكاد لا تثلم البطحاءَ كأنّه ثَمِلٌ يَمشِي على وطْأتُه رُودِ"[٢]

كما توقف البطليوسي في شرحه لكثير من شعر المعرّي عند الإعراب مبينا دوره في إيضاح المعنى وخدمته مستنداً في رأيه على أقوال العرب ، من ذلك وقوفه على قول المعرّي :

---

[٣] المصدر نفسه ، ١٤٧١/٤

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١٤٤٥/٤

[٢] المصدر نفسه ، ٩٧٥/٣

"تَمَنّـــــــتْ قُوَيْـــــقاً والـــصَّـــرَاةُ تُـــــــرَابٌ لَهَـــا مِـــنْ أيْنـــــــقٍ

حِيالَـــــهَا وجِـــــمَالِ

وقوله " تراب لها " دعاء عليها حين آثرت قَويقا على الصّراة ، جهلا منها ، وأكثر ما تقــول العرب في هذا المعنى : تُرْبا له ، وتُرْبٌ له ،نصبا ورفعا . وقد يقولون : تُرابا وتراب ، وهو قليل في كلامهم ... والمراد بقولهم " تُربا له " الخيبة مما يأمُله . وقيل : المراد به أن يُصْرَع ويُقْتَل فيسقط على وجهه وفمه ... وإنما قال " ترابٌ له " فرفع ، لأن الرفع في هذا أبلغ مــن النصب وإن كان النصب أكثر استعمالاً ؛ لأنه إذا نصب فإنما هو داعٍ وسائلٌ أن يقع بها ذلك ، وإذا رفع جعله بمنزلة الشيء الذي قد وقع وثبت ، وإن كان لا ينفك من معنى الدعاء رفعا ونصبا."[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المسائل النحويّة التي خدمت معنى المعري و أشار إليها البطليوسي فــي شــرحه التقديم والتأخير ، مبينا أن المعرّي لا يأتي به دونما غرض ، فهو يعرف كيف يستخدم ألفاظه وكيف يأتي بالمعاني منها ، من ذلك تعليقه على قول المعرّي :

"سَلَـــــمٌ إلـــــــــى اللهِ فكُـــــلُّ ســـــــاعَةٍ أو ســـــــرَّكَ مـــــن

الـــــذّي عِنْـــــدِهِ

... وقدم الإساءة على المسرة لأنه في رثاء ومخاطبة مُصاب ، فكان أحسنَ في الصنعة . ولو قدم المسرّة ما كان معيبا ، ولكنه اختار الألبق بالحال ."[١] ومن الأمور التــي أشــار إليهــا البطليوسي في شرحه ، وتوقف عندها الضرورات الشعرية مبينا رأي النحاة فيها ومشيراً إلى الصواب فيها. كقوله في بيت المعرّي :

---

[٣] المصدر نفسه ، ١١٦٥/٣ – ١١٦٦

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١٠٢٦/٣

فَأرَّقَـــــــــنَا طُرُوقـــــــــــكَ لا مـــؤَرِّقـــــــــةُ الهُجُـــــــودِ ولا أُثَيْـــــــلٌ أُثـــــَالُ

" ... وبيت ابن أحمر :

أبـــــو حَنَـــــشٍ يؤرِّقنـــــــــا وعَـــــــــــبَّادٌ وآونـــــــــــةً وَطلـــــقٌ أُثـــــــالا

أنشده سيبويه شاهداً على ترخيم الاسم في الشعر ضرورة من غير أن يكون منادى . وذكر أنه أرد " أثالة " فحذف الهاء وجعله في موضع رفع عطفا على " عباد " . وأما أبو العباس المبَّرد فزعم أنه غير مرخم ... وزعم أن " أُثالا " ليس بمعطوف على الضمير المنصوب في يؤرقنا " وهذا غلط والصحيح ما قاله سيبويه ...فيكون " أثالا " في بيت أبي العلاء مرخّما على وجه الضرورة ."[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما توقف عند الضرورات الإعرابية في شعر المعرّي ، من ذلك قوله في بيت المعرّي :

مَانَســيتُنّ هَالِــكاً فـــي الأَوَانِ الـــــْ خـــــَالِ أوْدَى مِنْ قَبْـــلِ هُلْـــكِ إيّـــادِ

" يعني بالهالك الهديل الذي قدّمنا ذكره ، والخالِ : الماضي ، وحذف منه الياء اكتفاءً بالكسرة منها ، وهو جارٍ عند سيبويه مجرى الضّرورة والفرّاء يراها لغة ."[١]

كما كان لابن السِّيد وقفة مع المسائل النحويّة ومناقشتها وإبداء الرأي فيها، كان له وقفة مع بعض المسائل الصرفيّة أيضا ، كقوله في بيت المعرّي :

---

[٢] المصدر نفسه ، ١٦٦٢/٤ – ١٦٦٣

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٩٨١/٣ – ٩٨٢

فَسَقْيـــاً لِكـــأسٍ مِـنْ فَـمٍ مِثـــلِ مِـــنَ الـدُّرّ لَـمْ يَهْـــمُمْ بتَقْبيلـــهِ خاتـــَمٍ خـــَالُ

" ... والخال : المتكبّر المختال . أراد أنه ممنوع لا يُوصَل إليه . وفي قولهم : " رجل خال " ثلاثة أقوال : قيل وزنه فَعِلٌ بكسر العين ، وأصله خَوِلٌ ، على مثال بَطِر وأشِـر ، فانقلبـت الواو ألفا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها . وقيل : هو اسم فاعل من خالُ يَخُولُ إذا تكبَّر ، وأصله خائِل ، فقُلب فقيل خالٌ ، كما قيل لاثٌ ، وهو مقلوب من لائث . وهذا القول فيه نظر ؛ لأنـه كان ينبغي أن يكون منقوصاً بمنزلة قاضٍ ، غير أنّ العرب ربما رفعت المنقوص كأنه غلـطٌ منهم ، وذلك نادر لايكاد يُعرف . والقول الثالث : إن الخال هو التكبر نفـسه ... ، والخـال بمعنى التكبّر مشهور في اللغة"[٢] . وثمة أمثلة عدة على ذلك منها :

سَمِعْـــــتُ نَعيَّهـــا صَمِّـــمكتبةي الجامعة الا وإنْ قَـــــال العَـــــــــوَاذلُ لا صَمَـــــَامِ هَمـــــــَام

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" صمام : اسم للداهية و جاز أن يبنى من الفعل الرباعي فعال ، وإنما حكمه أن يكـون مـن الثلاثي ، كما قالوا : دراك ، وهو من أدرك ، لأن الهمزة جائزة ، والأجود أن تكون مـشتقة من قولهم : صممت الشيء إذا سددتَه . يقال : صمّ الكُوّة بحجر ، وصمّ القارورة إذا سد فاها ، فتكون مبنية من فعل ثلاثي ، وتؤدي معنى الصمم بعينه ؛ لأن الصمم إنما هو انسداد الآذان ...، وقد قال أهل المعاني في معنى وصفهم لها بالصمم قولين آخرين غير ما قلناه : أحدهما أن " صمام " هي الحية التي لا تجيب الراقي ولا تُصغي إلى رُقاة ..."[١]

المسائل البلاغية:

---

[٢] المصدر نفسه ، ١٢١٨/٣

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ،٤ / ١٤١٣ – ١٤١٤

لم يشغل الجانب البلاغي حيزاً كبيراً من شرح البَطَلْيَوْسي لشعر المعــرّي ،إذ جــاءت عنايته ببيان قيمة المعنى والتوقف عند أفكاره أكثر من عنايته ببيان وجوه البلاغة في شعره. إلا أن البطليوسي أثبت في شرحه بعض الآراء النقديّة المتعلقة بهذا الجانب لا سيّما فيما يتعلق بالتشبيه والاستعارة ، حيث تَعَقّب البطليوسي تشبيهات المعرّي ، مظهراً إعجابه بها لكونها من بديع التشبيه . قال معقباً على قول المعرّي :

إذا بَــصُــــرَ الأميـــــــرُ وقـــــــدْ بِأعْلَـــى الجـــوَّ ظـَـنَّ عَلَيْـــــه نَضـــــاهُ آلا

" ... الآل : السراب ، شبّه به ماء السيف الذي يرى عليه . وهو من التــشبيه البــديع ؛ لأن السراب شيء لا يتحصّل ، كما أن ما يرى على السيف من الماء شيء لا حقيقة له ." [٢]

ونجده في مواضع أخرى يضيف إلى عبارة من بديع التشبيه عبارة تظهر تفوق المعرّي على غيره من الشعراء الذين تناولوا مثل تشبيهه ، من ذلك رأيه في قول المعرّي:

كأنّ الدَّبَـــــى غَرْقَــى بهــا غَـــيْرَ أعْــيُنٍ إذا رُدَّ فيهـــــــــا نَاظـــــــــرٌ يَسْتبِينـــــــُها

" ... يقول : إذا نظر الناظر إلى هذه الدّرع ورأى مساميرها ، خُيّل إليه أنها غديرٌ غَرِقت فيه جراد ، فليس يبدو منها إلاّ عيونُها . وهذا من التشبيه البديع . وقد شَبّهت الــشعراء مــسامير الدروع بحَدَق الجراد ، ولكنهم لم يبلغوا هذا المبلغ."[١] ومن ذلك نصّه على ما أخذه المعــرّي من غيره إلا أنه زاد فيه زيادات حسنة ، أضفت على البيت جمالاً ورونقا . إذ يقــول معقبــا على قول المعرّي :

---

[٢] المصدر نفسه ، ١ / ١٠٣ انظر ١ / ٣٠٨

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٢/٩٠١ – ٩٠٣

أوْ نِـــسْـــوَةُ الزِّنْـــــــــــــجِ لِلرَّقْـــــــــــــصِ قُـــضـــبٌ

بِأَيْمـــــانِها ذَهَبِيـــّاتُ

" ... شبّه السحاب لما فيه من سَواد المطر وحركة البرق ولمعانه بخيلٍ بُلْقٍ عربيّــة تمــشي ومعها أولادها ، فهي ترمحها بأرجلها ، أو بنسوة من الزّنج يرقُصْن وفي أيمــانهنْ قُــضبانٌ مُذْهبةٌ . وقد سبقه الشعراء إلى نحو من هذا التشبيه... فأخذ أبو العلاء هذه التــشبيهات وزاد فيها زيادات حسنة : فمنها ذكر القُضُب الذهبيّة ، ومنها تخصيصُه الخيلَ العربيّة."[٢]

ولا ينسى البطليوسي أن ينبّه على المعاني المطروقة في تشابيه المعرّي كتشبيه الرسوم بالأسطر.[٣] كما لا يكتفي بالإشارة إلى المواضع التي ظهر فيها إبداع المعرّي في اســتخدام التشبيه ، بل ينوه إلى المواضع التي فاق بها الشعراء ، ويعــد مبتكرهــا الأول. مــن هــذه المواضع قوله في بيت المعرّي :

كَلِـــمٌ كَنَظـــمِ العِقْد يَحْـــسُنُ تَحْـتَهُ مَعْـــنَاهُ حُـــسْنَ المــاءِ تَحْــتَ

حَبَابِـــهِ

" أما تشبيه الكلام بالدّرّ فكثير قد تَجاذبه الناس قديما وحديثا ، وأما تشبيه المعنى تحت اللفــظ بالماء تحت الحَبَاب فلا أعرف له نظيراً في شيء من شعر المتقدّمين ولا المتــأخرين . وقــد أشار الشعراء إليه ، وإن كانوا لم ينُصّوا عليه ، ... فولّد أبو العلاء من ذلك أن شبّه الكــلام بالحَبَاب ؛ لأن الشيء إذا أشبه الشيء فقد أشبه ما يُشبهه . والشاعر إذا كان ذا ذكاء كفاه أقلُّ تنبيه وأيسر إيماء."[٤]

---

[٢] المصدر نفسه ، ٨٣٩/٢ – ٨٤٠

[٣] المصدر نفسه ، ١١١٧/٣ ، انظر، ١٠٥٣ ، ١٢١٨

[٤] المصدر نفسه ، ٧١٨/٢ – ٧١٩

ففي شرحه لهذا البيت يبين البطليوسي ما ابتكره المعرّي وما ولّده من تشبيهات من سبقه من الشعراء وهي تعكس ذكاءه وفطنته. ومن التشبيهات المبتكرة التي نبّه عليها البطليوسي حيث نعتها بالمخترع قوله في بيت المعرّي :

واهْجُمْ عَلَى جُنْحِ الدُّجَى ولو أنّه أَسَدٌ يَصُولُ مِنَ الهِلَالِ بِمِخْلَبِ

"... شبّه الليل في هوله بأسدٍ يَصول ،وشبّه الهلال بِمخْلبه وهو تشبيه مُخترع لا أحفظه لغيره ."[١] كما توقف البطليوسي عند تشبيهات المعرّي المبتكرة نجده في مواضع أخرى يشير إلى إغراقه في التشبيه ، وذلك بإقحامه التشبيه على التشبيه الذي ورد في مواضع كثيرة من شعره ، جاء بها المعرّي ليظهر تميزه وتفرده عن غيره من الشعراء ، من ذلك ما لحظه البطليوسي في بيت المعرّي:

تُبِينُ قَرَارات المِيَاه قَوارِيرُ في هَامَاتها لم نَوَاكِزاً تُلَفَّع

" ... وفي هذا البيت شيء يسمى إقحام التشبيه على التشبيه ، وتصيير المجاز كالحقيقة ؛ وذلك أن العيون ليست قوارير على الحقيقة ، وإنما تُسمّى بذلك على معنى التمثيل ، فجعل القوارير اسما لها حين كثر تشبيهها به ، وشبهها بقرارات المياه النواكز ، فأدخل تمثيلاً على تمثيل ، وتخييلا على تخييل . وفي شعره من هذا النوع مواضع كثيرة ".[٢]

وإذا كنّا نتفق مع من قال بأن إقحام التشبيه على التشبيه شيء لا يتقبله الذوق الفني ، ويتناقص مع وظيفة التشبيه في الإيضاح والتنوير مما أدى إلى تعقيد كثير من شعر المعرّي ،

---

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١١٣٢/٣

[٢] المصدر نفسه ، ١٥١١/٤ – ١٥١٢، انظر ٢ / ٨٤٠ ، ٩٠٤

إلا أننا نخالفه في كون مصدر هذه التشبيهات المركبات النفسية المعقدة في شخصية المعـرّي التي سيطرت عليه [٣] ، إذ يمكننا إرجاعها إلى ثقافة المعرّي الواسعة وإلى نفسية شـاعر سوي يسعى إلى التميز.

ومن أنواع التشبيه التي توقف عندها البطليوسي ما أسماه بالتشبيه المعكوس أو المقلوب ، من ذلك ما لمحه في قول المعرّي :

كَـــأنّ جَنَاحَهَـــــا قَلْـــــــــبُ ولِيـــــكَ كُلَّمـــــــا اعْتَـــــــكَرَ المُعَـــــادي الجَنـــــَانُ

" وقوله : " كأن جناحها قلب المعادي " إنّما جرت العادة أن يشبَّه خفقان القلب بخفقان جنـاح الطائر ... ، فعكس أبو العلاء التشبيه مبالغة في المعنى ."[١] فقد أدرك البطليوسي أن المعرّي قد يأتي بالتشبيه مقلوباً مخالفا الواقع أو الحقيقة مضطراً .من ذلك تعليقه على بيت المعرّي :

ويوجـــدُ الصّـــقرُ في الدَّرْماء معتقِداً رأي امرئ القيس في عمـرو بـن دَرْماءِ

" فأراد المعرّي أن الشّيعة يقولون : إن إمامهم المنتظر ، إذ ظهر ملأ الأرض عـدلاً ، كمـا ملئت جوراً ، وبدّلهم الزمان من البؤس بالنعماء ، وذهب ما في الصدور من الحقد والشحناء ، حتى تأمن الأرنب من سطوة الصّقر ، كما أمن امرؤ القيس حين استجار بعمرو . وكان ينبغي أن يقول : رأي عمرو بن درماء في امرئ القيس ، لأن عمراً هو المشبه بالصقر ، وامرؤ القيس هو المشبه بالأرنب ، فلم يمكنه ذلك ، فَقَلَب لما فهم ما أراد ."[٢]

---

[٣] محمد مصطفى بالحاج : شاعرية أبي العلاء ص ١٢٠

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٢٠٤/١ ، ٢٠٦

[٢] المصدر نفسه : شرح المختار ، ص ٥١ – ٥٢

وعلى الرغم من إعجاب البطليوسي بتشبيهات المعرّي ودقته في الوصف إلا أننا نجده يبدي رأيه في توظيف بعض الألفاظ مخالفاً بها المعرّي . والغرض من التوجيه إتمام الغرض الفني من التشبيه معللاً السبب ، كقوله معلقا على بيت المعرّي :

ويُكْنَى بِاسْمِهِ عَنْ كُلِّ مَجْدٍ وَكُلُّ اسمٍ كنايَتُهُ فُلانُ

"... شبه دخول الرُّمح في المطعون بدخول الأفعوان في المكان الضيقِ ولو اتّفق له ذكر الحية أو الأرقم أو الأسود أو نحو ذلك لكان أكمل للتشبيه ، لأن الأفعوان قصير ، والرمح طويل . ولكن الذي حسّن ذلك أنه لم يقصد إلى الطُّول والقصر ، إنّما قصد إلى تمثيل السلوك بالسلوك ."[١]

جميع الحقوق محفوظة

وإذا كان البطليوسي في البيت السابق يبدي رأيه في اختيار الألفاظ لإتمام التشبيه ، فإنه في هذا البيت يثبت مأخذاً للنقّاد على أبي العلاء ،عدّوه عيبا في التدرج والانتقال . يقول المعرّي :

إن يكُنْ عِيدَهُمْ بِغَيْرِ هِلالٍ فَالِهلالُ المُضِيءُ وَجْهُ الأَمِيرِ

" هذا البيت مَعيبٌ عند أهل النَّقد ، لأنه قال قبل هذا : أنت شمس الضحى ثم شبهه هاهنا بالهلال ، فحطّه مراتب كثيرة عما أعطاه أولاً "[٢]

ولم يقتصر البطليوسي في التنبيه على التشبيه عند المعرّي ، بل نجده ينبّه على الاستعارة أيضا ، مبديا إعجابه بها مثنيا عليها من ذلك رأيه في قول المعرّي :

---

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٢٢٠/١

[٢] المصدر نفسه ، ٢٣٢/١

وقَدْ أَغْتَـــــدِى واللّيْـــــلُ يَبْكِـــــي على نَفْســـه والنَّـــجْمُ فـــي الغَـــرْبِ

تَأَسُّـــفاً مائـــلُ

" وصْفُه اللّيلَ بأنّه يبكي على نفسه تأسُّفا ،من بديع الاستعارة ، ومليح الإيماء والإشـــارة ... شبّه اللّيلّ بالذي قد أشرف على حَتْفِه ، فهو يبكي على نفسه ؛ لأن الليل يـــشبّه حـــين إقبالـــه بالشاب المقبّل الشباب ، وعند انقضاه بالشيخ المُشْفِي على الهلاك والـــذّهاب "[٣] . ويَظهـــرُ استحسان البطليوسي لاستعارات المعرّي في مواضع كثيرة مشيراً إلى المَبَتكَر منها كقوله في :

وكَأَنَّ حُبَّـــــكِ قَالَ حَظـــُّكَ في السُّـــرَى فالْطـــــــمْ بأيْـــدِي العـــيسِ وَجْـــهَ السَّـــبَسَبِ

" والسَّبْسَب والبَسبس : القَفر الذي لا شيء فيه ... العِيس : الإبل التي يُخالِط بياضها حُمرة ، ... . وشبه قَرْع أيدي الإبل الأرضَ القَفر بلَطم الخُدود ، فذكر اللّطم لذكره الوجـــه . وهـــي استعارة مليحة ، لا أحفظها لغيره ."[١]

ولا يكتفي البطليوسي بإبداء إعجابه باستعارات المعرّي بل يشير إلى مصدرها فمنها ما ورد

في الشعر القديم والحديث ، لكن أبا العلاء زاد فيه زيادة مليحة [٢]، ومنها مـــا اســـتمده مـــن التراث وقصص الأنبياء مما يعكس ثقافته شارحاً وثقافة المعرّي شاعراً ، من ذلك قوله معلقا على قول المعرّي :

---

[٣] المصدر نفسه ، ٥٣٨/٢ – ٥٣٩

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١١٣١/٣

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٦٩٥

بَكَى سَامِرِيُّ الجَفْـنِ أن لامَـــــــسَ لـــه هـــــدْبُ عَيـــنٍ مـــسَّهُ الكَرَى بِسِـــــجَال

" وهذه استعارة مليحة انتزعها من أمر السامريّة من اليهود ، وذلك أن موسى عليه السلام لمّا قال للسامريّ صانع العجل : إنّ لَكَ في الحَيَاة أن تقول لا مِسَاس . ابتلاه الله عزّ وجل وذريّته بالتقّذُّر ، فإذا لامس رجل منهم إنسانا اغتسل . فأراد أبو العلاء أنّ جفنَ هذا المشتاق لاينام ، فكأنه يعتقد في ملامسته النوم له ما تعتقده السامريّة في ملامسة من لامـــسهم ، فـــإذا باشـــره الكَرى بكى ليغتسل بسِجال من الدمع ."[٣]

موقف ابن السِّيد من عقيدة أبي العلاء المعرّي :

أثار المعرّي جدلاً كبيراً بين الأدباء والعلماء والنّقاد ، فتعددت مواقفهم واختلفت آراؤهم تجاه عقيدته ودينه ، فمنهم من وجه إليه أسهم الاتهام والتكفير ، ومنهم من وقف مدافعاً عنـــه منزّها إياه عما علق به من اتهامات . وقد كان لابن السِّيد البَطَلْيَوْسي موقف منصف من أبي العلاء . فثمة مواضع أثنى فيها عليه مثبتا تدينه وإيمانه ، ومواضع أخرى ينكر فيهـــا عليـــه مغالاته ومبالغته في بعض الأمور ، دون تكفيره واتهامه وهي مواضع قليلـــة جـــداً . فمـــن المواضع التي تثبت تدين المعري وإيمانه بالله عز وجل ما صرّح به البطليوسي في قوله .

" وكان المعرّي متديّنا كثير الصيام والصدقة ، تُسمع له بالليل هَيمنة لا تُفهم ، وكان لا يقرع أحد عليه الباب حتى تطلُع الشمس ، فإذا سمع قَرعَ الباب علم أن الشمس قد طلعـــت ، فقطع تلك الهيمنة وأذن في الدخول عليه ، وكان لا يرى أكل اللحم ولا شُـــرب المُـــسكر ولا النكاح ، وكان ذا عفة ونزاهة نفس ، إلا أنه كان مخالفا لما عليه أهل الـــسنة " [١]. ويـــسوق

---

[٣] المصدرنفسه ، ١١٩٠/٣

[١] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٣ / ١١٩٦

البطليوسي الأدلة تلو الأدلة ينفي بها الاتهام عن المعرّي ، ويثبت براءته مما نسب إليه. فبعد شرحه لقول المعرّي :

إذا غُيِّبَ المَيـــتُ اسْتَســـرَّ حَدِيثـــهُ ولم تُخبـــرِ الأفكـــارُ عَنْـــهُ بمـــا يُغْنِـــي

" يقول : ... ولم يَرد أنه غير مُتيقِّن بالبعث والقيامة ، وإنما أراد أنه غير متيقن بما يقضي الله به من هَلكة أو سلامةٍ ، وهذا أمرٌ قد تحيّر فيه الصالحون ، وإن كانوا لا يشكّون فـي أنهـم مبعوثون".[٢]

بل يأتي بدليل من شعر المعرّي نفسه يؤكد إيمانه بيوم القيامة ، إذ يقول فـي شـرحه لبيـت المعرّي :

أكَـذّب القـومُ بـالميزان أن سـمِعوا أنّ القيامـة فيهـا عـادلٌ يَـزِنُ

وقـد وجـدنا مقـالَ النـاس ذا فكيـف يُنكَرُ أن الفِعـل يتـزَّنُ زِنَـةٍ

" يقول : كيف ينكر المنكرون أن في القيامة ميزانا توزن به الأعمال لأن الوزن عندهم إنما يصح في الأجسام التي توصف بأنها خفاف وثقال . وقد وجدنا الوزن يوصف به الكلام الذي لا خفة فيه ولا ثقل ، فكيف لا يصح أن يوصف به العمل ."[٣]

وثمة مواضع كثيرة تطرق إليها البطليوسي في شرحه تدل على إيمان المعرّي بالله ، من ذلك تعليقه على قول المعرّي :

فـإن ربـك عـدلٌ فـي حكومتـه لا يُؤلم العقلَ مـن جـور إذا ألمَـا

---

[٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٩١٦

[٣] ابن السيد: شرح المختار ، ص ٣٧٤

فارفـــض كـــلامَ أُنـــاسٍ ضـــــللّوا وكلُّـــهم بـــسهـــام الـــــقولِ قـــد أمـــــما كُلِمـــــَا

"هذا ردٌّ على من نسب إلى البارىء تعالى الجَور والعبث ، وزعم أن أمر العالم لا يجري على نظام ، وعلى من يرى أن إيلام الأطفال من فعل الطبيعة ، ومن قال إنه عقوبة على ما تقـدم في الأعصار السالفة من ذنوبهم" . [١] .

لقد كان لثقافة البطليوسي العالية ، وقراءته العميقة لشعر المعرّي ، وفهـم طبيعتـه[٢] ، دور في إبعاده عن الانجراف في تيار المتهمين للمعرّي والمبالغين في تكفيره ، نظراً لفهمهم الخاطئ لكثير من شعره . إلا أنه أنكر عليه أموراً تعرض فيها للإسلام من ذلك :

قَبْـــلَ أن تُخْلـــــقَ الـــسَّـمَواتُ أو مَـــــــــــرُ أَفْلاكُهـــــــــــنَّ تـــــــؤْ بالـــــدّوَرَانِ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"تحت هذا الكلام معنى نكره التَّصريح به والإفصاح عنه . وقد غلا في مدح هذا الشيعيِّ غُلوّاً تجاوزَ فيه الحدود ، وذكر من حماقات الشيعة واعتقاداتهم الفاسدة ما كان يجب له أن يُضرب عنه ، ولا يدنِّس شعره بشيءٍ منه . وليته اعتذر من ذلك كما فعل في قصيدة أخرى ."[٣]ومن ذلك رأيه في قول المعرّي :

ولَـــــوْلا قَوْلُـــــكَ الخَـــــلاّقُ لكـــــانَ لَـــــنَا بطَلْعَـــــتِك رَبّـــــي افتـــــتَانُ

---

[١] ابن السِّيد : شرح المختار ، ص ٢٧٦

[٢] انظر شروح السقط ، ٩٧٩/٣ ، ١١٩٦ – ١١٩٧ ، شرح المختار ، ص ٦١ ، ١٦٧

[٣] ابن السِّيد : شروح السقط ، ١ / ٤٤٨

"هذا غلوٌّ شديد نعوذ بالله منه"[٤]. لقد بدا البطليوسي في آرائه منصفا ، إذ نظر إلى شعر المعرّي نظرة الناقد الواعي الذي ينقد لأجل البناء ، فيقف على محاسن شعر المعـرّي مبـديا إعجابه بها والثناء عليها . فكل رأي صدر عنه سلبا كان أو إيجابا كان موضوعياً .

ردُّ البَطَلْيَوْسي على ابن العربي :

كتب أبو بكر بن العربي رسالة يعترض فيها على شرح البَطَلْيَوْسي لـشعر المعـرّي ، متهما البطليوسي بالتعسف وعدم الإنصاف ، وبأنه لا يحسن الـنظم و النثـر ، ولا يعـرف الأوزان والنحو واللغة ؛ لوجود لحن في حروف بعض الأبيات ، مما اضطر البطليوسي إلى تأليف رسالته الموسومة "بالانتصار ممن عدل عن الاستبصار" ، يردُّ فيها على اعتراضـات ابن العربي التي يعيدها إلى فساد بعض الأبيات التي أفسدها ناسخ الديوان بالزيادة والنقصان ، فتوهّم ابن العربي أنها من البَطَلْيَوْسي ، فتوقف عندها منبّها عليها ومبينا وجه الصواب فيها ، فردّ عليه البَطَلْيَوْسي مع علمه بأن المعارضات والمناقضات من وسائل العلماء وأساليبهم ، إلا أن اعتراض ابن العربي أثاره وأزعجه إذ يقول : " ولولا أن يظن بنا هذا الرجل – وفقـه الله – عجزاً عن الانتصاف والانتصار كما توهم علينا الجهل بالإعراب وكسر الأشعار ، لصمتنا عن مراجعته صمت الرجم ، ولم نتشاغل بتصريف لسان في مجاوبته ولا قلم ، ولكن سـوء معاملته أحوج إلى الكلام "[١] .

وكان البطليوسي قد أشار في شرحه إلى اطلاعه على أكثر من نسخة لشعر المعـرّي ، مبيّنا الرواية الصحيحة ومصوّبا الرواية الخاطئة ، من ذلك قوله بعد شرحه لبيت المعرّي :

---

[٤] المصدر نفسه ، ١ / ١٩٩

[١] ابن السيد : الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ، تحقيق حامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية – القاهرة ، ١٩٥٩م ص٢ .

إذا قِيـــلَ بَحـــــرٌ فَهـــــوَ مِلْـحٌ وأَنْـــتَ نَمِيـــــرُ الجُـودِ عَـذبُ الشَّمَائِلِ

مُكَـدّرٌ

"... وقع في نسخ السقط " فهو مُرّ مكدّر " ، وليس بصحيح ؛ لأن مـاء البحـر لا يوصـف بالمرارة ، وإنما يوصف بالمُلوحة "[٢]. ومن ذلك قوله :" ووقع في نسخ سقط الزنـد " إلـى حازم " بالزاي معجمة وهو غلط والصواب " حارم " بحاء وراء غير معجمتين وهو واد قريب من أنطاكيا "[٣]. ونجده في مواضع أخرى يثبت صحة الروايتين كروايته لأحد أبيات المعرّي إذ يقول :" ورويناه عن أبي العلاء " ضبّ العَرار " وهو بَهار البّر ، ورأيته في بعض النسخ " العراد " بالدال غير المعجمة ، وكلاهما صحيح ؛ لأنّ الضباب تألف العرار والعراد وتحـب أكلهما "[١] .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد نجده –أحيانا – يفضل رواية على رواية أخرى مع صحة الروايتين ، كتفضيله لروايـة قينه بعد القينه بالقاف على قينه بعد الفينه لأنها أحسن في المعنى وأبلغ[٢].لقد كـان لاطـلاع البَطَلْيَوْسي على نسخ شعر المعرّي ، وما اتّصف به البَطَلْيَوْسي من معرفـة باللغـة والنحـو والعروض ، ومِرَاسه بعلوم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام دور في رد اعتراضات ابن العربي على شرحه ، ومبينا ما وقع فيه من أخطاء ، إذ يقول :" فقد كتبت بخطك في معارضتك إيّانا أشياء صحَّفتَ فيها وحرفت، وكسرت صحيح الوزن ، ولحنت أقبح لحن ، فنحن نتوخى فيهـا معك مناقشة الحساب ، ونعاتبك أشدّ ما يكون العتاب "[٣] .

---

[٢] ابن السيد : شروح السقط ، ٣/ ١٠٧٥

[٣] ابن السِّيد : شروح السقط ، ٤/ ١٦٢١ ، انظر ١/ ١٣٨ ، وشرح المختار ، ص ٢٢

[١] ابن السيد : شروح السقط ، ٤/ ١٥٦١ ، ١٦٧٨، انظر ٣/ ١٢٠١

[٢] المصدر نفسه ، ٤/ ١٦١٥، انظر ٤/ ١٧٣٣ ، و شرح المختار ، ص٧٣

[٣] ابن السيد : الانتصار ، ص٣

ومن المواضع التي أخذها البطليوسي على ابن العربي مظهراً لحن ابن العربي فيها قوله : " وجدنا من خطئك أنك لما وصلت إلى قوله :

فَلَـــولاكَ بعـدَ اللهِ مـا عـــُرف ولاثـــَارَ بـــين الخافقيـــن النـــّدى قـتَامُ

أنكرت قولنا : إن الخافقين هما المشرق والمغرب ، وكَتِب في طرة الكتاب ، لتعلمنـا بوجـه الصواب: المعلوم أن (الخافقان) جانبا الأرض من الهواء . فأردت تخطئتنا من وجه واحد ، فأخطأت أنت من ثلاثة أوجه : أحدها أنك رفعت الخافقين ، وهما منصوبان بأن ، ثم صححت عليهما ، فكان تصحيحك على اللَّحن أشد من اللَّحن ... "[٤]

ومن مآخذ البطليوسي على ابن العربي قوله : " ورأيناك لما وصلت إلى قول المعرّي :

فَلَـــــــكٌ دائـــــــرٌ أبَـــقـى وَنيـــقـةً أو يـــُفرّق الفَـــــتَيَانُ فتيـــــــاه

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كتبت في الطرة (يفرقُ) بالرفع فما هذا الغلط ، أبقاك الله ؟ أليست (أو) هذه هـي التـي ينتصب بعدها الفعل ، في نحو قولهم : لألزمنّك أو تقضيني حقي ، أو لأسيرن في الـبلاد أو استغنى ... "[١]

ومن الملاحظ – بعد الاطلاع على ما جاء في رسالة البطليوسي – أن أساس الخـلاف بينه وبين ابن العربي يعود إلى الاختلاف في رواية كلٍّ منهما لشعر المعرّي ، فالبطليوسـي روى شعر المعرّي عن أبي الفضل البغدادي وعبد الدائم مرزوق القيرواني . أما ابن العربي فقد روى شعر المعرّي عن التبريزي . كما يعود الخلاف بينهما إلى طبيعـة فهمهـا لـشعر

---

[٤] المصدر نفسه ، ص٦-٧

[١] ابن السيد : الانتصار ، ص١٣ ، وانظر ص١١

المعرّي . إذ يتبين من شرح البطليوسي لشعر المعرّي . ومن رده على ابن العربي أنه أكثر دقة وعمقا في فهم أبيات المعرّي من ابن العربي ، مستدلاً على ما يقول بالأدلة والبراهين من القرآن والحديث والشعر وأقوال العرب والفلاسفة وعلماء الكلام .[٢] فهو يأتي باعتراض ابن العربي عليه أولاّ ، ثم يأتي برده ، وبذلك استطاع أن يحتفظ بالكثير من آراء ابن العربي التي لم يسعفنا الزمن بالاطلاع عليها .فمن الأخطاء التي ردّها البَطَلْيَوْسي إلى الرواية قوله : " رأينا لما وصلت بالنظر إلى قول المعرّي :

فكأني ما قلتُ والليلُ طفلٌ وشبابُ الظَّلَمَاء في العُنفوان

لَيلتِي هذه عَرُوسٌ من ج عليها قلائدٌ من الزَّمان

كتبت في الطرة : صوابه وروايته : والبدر طفل ، وحكيت عن شيخك أنه فسره فقال : يعني أول الشهر .وقد رأيت هذه الرواية في بعض نسخ السقط ،فلم أعرج عليها ، وأنزلتها منزل الخطأ ، لأنه كلام متناقض ، وذلك أنه لا يصح أن يوصف بالطفولية إلا الهلال ، لأنه في أول نشئة ، فأما البدر فلا يجوز أن يقال له طفل ؛ لأن اسم البدر يقع عليه في حال تمامه وامتلائه ... وأما الليل فإنه يُشبّه في أول انبعاثه بالطفل ، وفي حين انتصافه أو استحكام ظلامه بالكهل ، وفي حين إدباره بالشيخ"[١] ، ويأتي بأدلة على ما يقول من أقوال الشعراء . كما يعلل سبب تغليط استخدام البدر أو ذكر كلمة البدر في هذا الموضع.

ومن ذلك ردَّ البطليوسي على اعتراض ابن العربي له برواية بيت المعرّي :

---

[٢] انظر الانتصار ، الاستشهاد من القرآن ص ١٧ ، ٢٦ ،٣٤ ،٤٢ ،٤٣ ، الحديث ص ٣٥ ،٤٣ ، الشعر ص٤٠ ، أقوال العرب ٤٣ ، الفلاسفة ص٤٣ ،٤٨ ،٤٩ ،٥٠

[١] ابن السيد : الانتصار ، ص ١٤ – ١٥

"باللَّه يا دهـــــــــــرُ أَذِقْ غُرابَـــــها مَوتـــــاً مــن الصُّبــح بِبازٍ كُــرَّز

يقول : " فإنك وجدت الباء في بازٍ قد سقطت عليها نقطة ، فتوهمت أنَّا رويناه " ناز " بالنون ،فكتبت في الطرة صوابه : " بباز " فهلا قرأت الشرح فرأيت كلامنا على البازي ، وتمثيلنـــا هذا البيت بقول ..." ويتابع بعد ذلك رده مبينا سوء ظن ابن العربي به وبعلمه ، فيقول : " وما هذا الحيف – أبقاك الله – في الحكم والميل إلى حيز الظلم ، أظننتنا جهالاً بهذا القدر ، كما توهمت أننا ممن يكسرون وزن الشعر ؟ وهلاّ دلَّك كتابنا هذا على أن لنا حظا من كثير مــن العلوم وتَصرُّفا في الحديث منها والقديم ، وقد ضَمَنّا معنى بيت المعرّي في شعر صغناه أيام الصبا ، وقبل أن يعظنا واعظ النهى ، ونحن نستغفر الله منه ، ونسأله التجاوز عنه "[٢].

وثمة مواضع نبّه البطليوسي عليها ابن العربي تبين أن المعرّي كان قد غير بعض ألفاظ أشعاره عندما تقدمت به السن ، وهذا ما ذكره التبريزي في مقدمته لشرح سقط الزند مما أدى إلى تغير الرواية من ذلك قول البطليوسي : "ورأيناك لما انتهيت إلى قول المعرّي :

وقـــد تبيّـــــنَ قـــــــــَدري أنَّ أبَا الرضـــى سَوف تُرضِـــيني عـــن مَعْرِفـــــَتي القَدَر

ذكرتَ أن شيخك أبا زكريا إنما قرأه على المعرّي (من تعلمين سترضيني عــن القــدر) . ومثل هذا – أبقاك الله – لا يُعد خطأ ، وإنما هو لفظ قاله أبو العلاء ، ثم غيّره كما غيّر كنية الممدوح الذي مدحه ... " [١] ؛ ليبين بعد ذلك أن هذا الموضع ليس الوحيد الذي يغيّــر فيــه المعرّي ألفاظه بل يقول : " وكذلك فعل بأشياء كثيرة من شعره في آخر عمره ، أنها أشياء

---

[٢] المصدر نفسه، ص ١٨ – ١٩

[١] ابن السِّيد : الانتصار ، ص ٢٩

أسقطها بالجملة ، ومنها ما ذكر بعضَه وحذف بعضه ، ومنها ما غيّر لفظه إلى لفظ آخر إستقباحا له "[٢]

ويرى البطليوسي أن المعرّي قد لجأ إلى تغيير بعض ألفاظه لأنها تفتح باب التأويل كلفظة قذف إذ يقول :" ورأيناك لما وصلت بالقراءة والتصفح إلى قوله :

فإن لقيتُ ولـيداً والـنّوى يومَ القيامة لم أعْدَمْه

كَثَبٌ تَبكيتا

ذكرت أن رواية شيخك " قذف " . وهذا من الألفاظ التي ذكرنا أن المعرّي غيرها في آخر عمره ، لما فيها من قبح التأويل والقال والقيل، لأن الكثب : القرب وهو الشيء القريب أيضا ، والقذف ضده ... وإذا قال قذف ففيه استبعاد ليوم القيامة " [٣]

كما أشار البطليوسي إلى أخطاء ابن العربي في الوزن وعدم فهمه للعروض. فمن مآخذه على الوزن قوله " ورأيناك قد زدت في القصيدة المهموزة بيتا فاسد الوزن وهو :

أنت يا آدم السرب حواء فيه أو

حواؤك أدماء

هكذا وجدناه بخطك وقد اسقطت منه جزءاً فأفسدت وزنه وصوابه :

أنت يا آد آدم السِّرب وْك حواء فيه أو

حوّا إدْمَاءُ

وهذا البيت إنّما أسقطناه من الشعر متعمدين لإسقاطه ، لما فيه من الاستخفاف بآدم ، وهكذا فعلنا بكثير من شعره ، وإنما ذكرنا ماله تأويل حسن ، فكيف أفسدت علينا الكتاب بإثباته منه ،

---

[٢] المصدر نفسه ، ص٣٠

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٣

وكان يحب لك أن تتنزه عنه كما تنزهنا " [١].وهو بهذا يبين أنه لم يقم بشرح كل لزوميات المعرّي حيث استثنى منها واستبعد كل ما يؤدي إلى اتهام المعرّي والطعن في عقيدته .

وكما تطرق البطليوسي إلى الأمور النحوية التي اعترض عليه فيها ابن العربي تطرق إلى الأمور اللغويّة . إذ يقول : " ورأيناك – أعزك الله – لما انتهى بك النظر إلى قوله :

فذكَّرني بدرُ السّماوةِ شَفاً لاحَ من بدر السماوَةِ بادناً بَالِ

أنكرتَ السَّماوة الثانية ، وكتبت السماءة بالهمزة ، فلم أنكرتها علينا ؟ أحسبت أنها لا تقال ، أم حسبت أنها اليق بالبيت ، وكلا الأمرين لنا فيه الظهور عليك ، لأن أهل اللغة حكوا أنه يقال سماء وسماءة بالهمز ، وسَماوة وسَماة على وزن قطاة . فمن قال سماءة فهمز بناها على سماء ، فهمز كما همزت السماء ، ومن قال سماوة بالواو بناها على الفعل الذي هو سما يسمو ... وإما من طريق الترجيح بين اللفظتين ، قال فإن السماوة أحسن لوجهين :أحدهما أنه أفصح اللغتين لأنها أكثر استعمالاً وأوسع مجالاً ... والوجه الثاني أنها أليق بالبيت لما يقدم في صدره من ذكر السماوة الأخرى ، فأفسدت على الرجل التجنيس الذي جرى إليه ، وحام فكره عليه . فما هذا الخلاف والعناد ، وأين النظر الحسن والانتقاد "[٢]، فمناقشته هذه لابن العربي تعكس تمكنه من اللغة وقدرته على المجادلة والنقاش.

ولم يقتصر البطليوسي في مناقشته لابن العربي على الأمور النحويّة واللغويّة والعروض ، بل تعدى هذه الأمور إلى مناقشته بأمور تتعلق بالروح والنفس والجسد والدهر والزمان [٣]، فناقشه فيها كمناقشة الفلاسفة وعلماء المنطق والكلام لها . فهو يرى أن من تعاطى تفسير

---

[١] ابن السيد : الانتصار ، ص ١٦

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٥

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤١ ، ٤٦ – ٤٩

كلام المعرّي وشعره لابدّ من معرفته بمذاهب المتفلسفين والمتشرعين وبآراء أهل اللغة والنحو وأصحاب المعاني بما تتضمنه من خلاف ومن اتفاق ، بالإضافة إلى معرفته بالأخبار والأنساب وأنواع الآداب ؛ لأنه من غير هذه المعرفة لا يستطيع تفسير شعر المعرّي حق تفسيره وبَعُدَ عن معرفة ما يُومى إليه كلامه [١]. وهذا ما أوقع ابن العربي في أخطاء كثيرة كان بإمكانه تجنبها لو قرأ شعر المعري بعمق وشمول .

فمناقشة البطليوسي لابن العربي تُظهِر بشكل جلي مدى فهمه وراجحة عقله ، وتمكنه من زمام اللغة ، ومعرفته بالنحو والصرف والعروض وأقوال العرب والنسّابين ، واطلاعه على آراء أهل المنطق والفلسفة وعلماء الكلام ،و يدلنا على ذلك ما ذكرته المصادر من تأليفه لكتاب "الحدائق في المطالب الفلسفية العويصة " وما بثه من آراء فلسفية في شرحه لشعر المعرّي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[١] ابن السيد : الانتصار ، ص ٤٧

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة أثر أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ، وعرضت في فصلها الأول لملامح التأثير المشرقي في الأدب الأندلسي ، مبينة شغف الأندلسيين بكل ما هو مشرقي ، والذي تمثل في اطلاق الأندلسيين للكثير من الألقاب المشرقية على شعرائهم وكتّابهم ، وتقليدهم في كتبهم ومناهجهم ، بالإضافة إلى ازدهار الحركة الثقافية في عصري الإمارة والخلافة وبلوغها الأوج في عصر الطوائف .

كما بينت الدراسة دور الرحلات في تنشيط الثقافة في الأندلس وفي إدخال الكثير من المؤلفات المشرقية إلى الأندلس من بينها مؤلفات المعرّي ، متتبعة سند الروايات المشرقية والأندلسية لأدبه ، فخلصت إلى وصول خطبة الفصيح وسقط الزند إلى الأندلس في حياة المعرّي ، في حين وصلت باقي مؤلفاته إلى الأندلس قبل انتهاء القرن الخامس الهجري على يد أبي بكر بن العربي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتطرقت الدراسة في فصلها الثاني إلى آراء عدد من الباحثين بأدب المعرّي ، مبينة إغفال الكثير من النقّاد لذكره وذكر مؤلفاته في كتبهم ، باستثناء ثلاثة مؤلفين حفلت كتبهم بالكثير من الآراء النقديّة حول أدب المعرّي ، وهذا يعكس إعجابهم به ، وهم ابن بسام في كتابه الذخيرة وابن عبد الغفور في كتابه الإحكام وابن السِّيد البطليوسي في شرحه لسقط الزند .

كما أثبتت الدراسة في فصلها الثالث تمثل شعراء الأندلس وأدبائه لأدب المعرّي وتاثرهم به بطرق متنوعة ، فاقتصروا على مضامين وأغراض شعرية دون غيرها ، ولا سيما تلك التي تتعلق بالفكر والفلسفة والاعتبار بالماضي والنظرة التأملية للحياة والموت،وإن

لم يكن تناولهم لهذه المضامين بالعمق نفسه الذي جاء عند المعرّي . غير أن أكثر تأثرهم في شعره انصبّ على معانيه وألفاظه وتضمين أبيات من شعره في مؤلفاتهم النثرية والشعرية .

وقد خلصت الدِّراسة كذلك إلى أن نثر أبي العلاء قد حظي بالنصيب الأكبر من معارضات الأندلسيين النثرية لا سيما رسالة ملقى السبيل ، وأرجعت الدراسة ذلك للتمكن اللغوي للمعرّي وإلى ما اتسمت به رسائله من سمات على صعيد الشكل والمضمون . إلا أن إغفال النقّاد لأدب المعرّي وضياع الكثير من المؤلفات الأندلسية فوّت علينا فرصة الاطلاع عليها والتعرف إلى أوجه التقارب والتباعد والتماثل بينها وبين أدب المعرّي.

المصادر والمراجع

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المصادر والمراجع

- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، (ت٦٥٨هـ /١٢٦٠م).

- **تحفة القادم** ، أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

- **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهرّاس ، دار الفكر ، بيروت ، (١٩٩٥) .

- **الحُلة السّيراء** ، ط٢ ، (تحقيق حسين مؤنس) ، القاهرة ، دار المعارف (١٩٨٥) .

- **ديوانه** ، قراءة وتعليق عبد السلام الهرّاس ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،(١٩٩٩) .

- **مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعرّي** ، ط١ ، نشرها صلاح الدين المنجد ضمن كتابه رسائل ونصوص ، دار الكتاب الجديد ، بيروت، (١٩٦٣) .

-**المقتضب من كتاب تحفة القادم** ، ط٣ ، (تحقيق إبراهيم الأبياري) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،(١٩٨٩).

- ابن الأحمر ، أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الخزرجي ، (ت٨٠٧هـ) . **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان** ، (محمد رضوان الداية) ، دار الثقافة ، بيروت ، (١٩٦٧)

- الأعمى التطيلي ، ابو جعفر بن أحمد بن عبد الله ، (ت٥٢٥هـ) . **الديوان** ، (تحقيق إحسان عباس) ، دار الثقافة ، بيروت ، (١٩٦٣).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الرسائل الجامعية

- أمين ، أحمد (١٩٦٢). **ظهر الإسلام** ،(ط٣) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.

- الأهواني ، عبد العزيز ، (**١٩٥٥**) . كتب برامج العلماء في الأنـــدلس . **مجلـــة معهـــد المخطوطات العربية** ، جامعة الدول العربية ، المجلد الأول، الجزء الأول .

- الباقلاني ، محمد تن الطيب ، (ت٤٠٣هـــ) . **إعجاز القرآن** ، ط١ ، تعليق محمد خفاجي ، دار الجيل ، بيروت، (١٩٩١).

- بالحاج ، محمد مصطفى (١٩٨٤) . **شاعرية أبي العلاء المعرّي في نظر القدامي**، طبعة جديدة . الدار الغربية للكتاب .

- بدوي ، أحمد أحمد (١٩٦٠) . **أسس النقد الأدبي عند العرب** . (ط٢) . القاهرة : مكتبة نهضة مصر.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ابن بدرون ، أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله ، (١٣٤٠هـــ) . **شرح قصيدة ابن عبدون** ، ط١ ، مطبعة السعادة .

- ابن بسام ، علي بن بسام الشنتريني ، (ت٥٤٢هـــ) . **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، ط١ ، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة ، بيروت ، (١٩٩٧).

- ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك ، (ت٥٧٨هـــ /١٠٨٣م) . **الـــصلة** ، ط١، (تحقيـــق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ،القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،(١٩٨٩).

- بهجت ، منجد مصطفى ، (١٩٨٨) . **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطـــة** ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.

- بوزويتية ، حسناء الطرابلسي ، (٢٠٠١) . **حياة الشعر في نهايـــة الأنـــدلس** . (ط١) . صفاقس : دار محمد علي الحامي .

- البيومي ، محمد رجب ، (١٩٨٠) . **الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير** ، السعودية : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إدارة الثقافة والنشر .

- جرّار ، صلاح محمد ، (١٩٧٧). **يحيى بن بقي حياته وآثاره** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن

- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ) . **دلائل الإعجاز** ، علق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- الجندي ، محمد ، (١٩٦٢) . **الجامع في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره** ، دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي

- ابن الحداد الأندلسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي ، (ت٤٨٠هـ) . **ديوانه** ، ط١، (تحقيق يوسف علي طويل) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، (١٩٩٠) .

- ابن حمديس ، أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر ، (ت٥٢٧هـ) . **الديوان** ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (١٩٦٠) .

- الحُميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتُّوح (ت٤٨٨هـ /١٠٩٥م) . **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** ، ط٢ ، (تحقيق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (١٩٨٩) .

- الحميري ، أبو الوليد اسماعيل بن محمد ،(ت٤٤٠هـ) .**البديع في وصف الربيع** ، ط١،(تحقيق عبد الله عبد الرحيم عيلان) ، دار المدني ، جدة ،(١٩٨٧) .

- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد (ت٥٠٩هـ) .

-**قلائد العقيان ومحاسن الأعيان** ، ط١ ، (تحقيق حسين خريوش) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، (١٩٨٩) .

- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلسي** ، ط١ ، (تحقيق محمد علي الشوابكة) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٩٨٩) .

- ابن أبي الخصال ، **رسائل ابن أبي الخصال** ، ط١ ، (تحقيق محمد رضوان الداية) ، دار الفكر دمشق ، (١٩٨٨) .

- خضر ، حازم عبدالله ، (١٩٨١) . **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين** ، بغداد : دار الرشيد .

- ابن الخطيب ، لسان الدين السلماني ، (ت٧٧٦هـ). **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، (تحقيق محمد عبد الله عنان)، دار المعارف ، مصر .

- خفاجي ، محمد عبد المنعم، (١٩٩٢) . **الأدب الأندلسي التطور والتجديد** ،بيروت : دار الجيل.

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ) . **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ... ، طبعة فريدة منقحة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،(١٩٩٩) .

- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، (ت٦٨١هـ) . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت .

- ابن خير الأموي ،(ت٥٧٥هـ) . **فهرسة ابن خير** ، ط١ ، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (١٩٨٩) .

- الداية ، محمد رضوان .

- (١٩٩٣) . **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس** ،(ط٢) .بيروت : مؤسسة الرسالة .

- (٢٠٠٠) . **في الأدب الأندلسي** ، (ط١) . بيروت : دار الفكر المعاصر ، دمشق : دار الفكر

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ابن دراج القسطلي ، أحمد بن محمد ، (١٩٦١) . **الديوان** . ط١ ، (تحقيق محمود علي مكي) ، دمشق ، المكتب الإسلامي .

- الراجكوتي ، عبد العزيزالميمي ،(١٣٤٤) . أبو العلاء والأندلس . **الزهراء** ، القاهرة ، الجزء الأول ، المجلد الثاني .

- ابن أبي الربيع . برنامج ابن أبي الربيع ،(١٩٥٥) . تحقيق عبد العزيز الأهواني . **معهد المخطوطات** ، المجلد الأول ، الجزء الثاني .

- أبو الربيع الكلاعي ، سليمان بن موسى ،(٢٠٠١) . **جهد النصيح وحظ المنيح في مساجلة أبي العلاء المعرّي في خطبة الفصيح** ، ط١ ، (تحقيق ثريا لهي) ، منشورات كلية الآداب ، الرباط .

- ابن رشيق ، الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) . **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، ط٣ ، محمد محي عبد الحميد ، (١٩٦٤) .

- الرُّعيني ، أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي (ت٦٦٦هـ) . **برنامج شيوخ الرعيني** ، (تحقيق إبراهيم شبّوح) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، (١٩٦٢) .

- أبو ريّان ، محمد علي (١٩٧٢) . **تاريخ الفكر الفلسفي** ،(ط٤) . القاهرة :دار الجامعات المصرية

- الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن ، (ت٣٧٩هـ) . **طبقات النحويين واللغويين** ، ط٢ ، (تحقيق محمد أبو الفضل) ، دار المعارف ، القاهرة .

- ابن زَمْرَك ، أبو عبدالله محمد بن يوسف ، (ت٧٩٣هـ) . **الديوان** ، ط١ ، (تحقيق محمد توفيق النّيقر) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، (١٩٩٧).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ابن زيدون ، (ت٤٦٣هـ). **الديوان** ، مع دراسة تفصيلية عن الشاعر بقلم نديم مرعشلي، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت.

- السرقسطي ، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري ، (ت٤٠٠هـ) . **المقامات اللزومية** ، (تحقيق بدر أحمد ضيف) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، (١٩٨٢).

- السعدني ، مصطفى . **البناء اللفظي في لزوميات المعرّي** ، الاسكندرية : منشأة المعارف .

- ابن سعيد ، علي بن موسى ، (ت ٦٨٥هـ) .

- **رايات المبرزين وغايات المميزين** ، تحقيق عبد المتعال القاضي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، (١٩٧٣) .

- **المُغرب في حُلى المغرب** ، ط٤، (تحقيق شوقي ضيف) ، دار المعارف ، مصر.

- السعيد ، محمد مجيد ، (١٩٨٠) . **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس**، العراق : دار الرشيد

- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ، (ت٥٦٢هـ) . **الأنساب** ، قدم له محمد أحمد حلاّق ، طبعة جديدة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (١٩٩٩) .

- ابن السِّيد البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٥٢١هـ) .

- **الانتصار ممن عدل عن الاستبصار** ، (تحقيق حامد عبد المجيد)، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، (١٩٥٥) .

- **التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في آرائهم** ، (تحقيق أحمد حسين كحيل) ، دار الاعتصام ،(١٩٧٨) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **شرح المختار من لزوميات أبي العلاء** ، (تحقيق حامد عبد المجيد) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (١٩٩٠) .

- **شروح سقط الزند** ، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعرّي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (١٩٤٦) .

- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، (ت٩١١هـ) . **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، ط٢ ، (تحقيق محمد أبو الفضل) ، دار الفكر ،(١٩٧٩) .

- السيوفي ، مصطفى محمد ، (١٩٨٥). **ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري** ،(ط١) . بيروت : عالم الكتب .

- الشافعي ، حامد (١٩٩٨) . **الكتب والمكتبات في الاندلس** ،(ط١) . القاهرة : دار قباء .

- الشايب ، أحمد .

- **أبو العلاء شاعرٌ أم فيلسوف** ، (المهرجان الألفي لأبي **العلاء المعرّي**) ،بيروت : دار صادر .

- (١٩٥٤) . **تاريخ النقائض في الشعر العربي** ، (ط٢) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

- الشُّبيبي ، محمد رضا ، (١٩٨٤) . أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصريّة ونصوصه العربية ،(ط٢) . بيروت : دار اقرأ .

- شريط ، عبدالله ، (١٩٨٣) . **تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب** ، (ط٣) . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب

- ابن شريفة ، محمد ،(١٩٨٦) . **أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة** ، بيروت : دار الغرب الاسلامي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- الشكعة ، مصطفى ، .(١٩٧٥). **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه** .(ط٣) . بيروت دار العلم للملاين

- صاعد بن أحمد التغلبي (ت٤٦٢هـ) . **طبقات الأمم** ، منشورات المكتبة الحيدرنة ومطبعتها بالنجف تقديم محمد بحر العلوم ، (١٩٦٨) .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت٧٦٤هـ) .

- **نكت الهميان في نكت العميان** ، تحقيق أحمد زكي بك ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، (٢٠٠٠) .

- **الوافي بالوفيات** ، (ط٢) . باعتناء س . ديدرينغ ، فرانز شتايز ، ٢+٣ج ، (١٩٧٤ ،١٩٦٢) .

- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد ، (ت٥٩٩هـ /١٢٠٣م) . **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** ، (تحقيق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، (١٩٨٩).

- ضيف ، أحمد، (١٩٢٤) . **بلاغة العرب في الأندلس** .(ط١). القاهرة: مطبعة مصر .

- ضيف ، شوقي . **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** .(ط١).القاهرة : دار المعارف .

- عباس ، إحسان .

- (١٩٩٣) **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)** . (ط١) . عمان : دار الشروق

- (١٩٧١) **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** . بيروت : دار الأمانة.

- العبدري ، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت بعد ٦٨٨هـ) . **رحلة العبدري** ، (تحقيق محمد الفاسي) ، جامعة محمد الخامس.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

- اين عبدالغفور الكلاعي ، أبو القاسم محمد ، (ت٥٦٢هـ) . **إحكام صنعة الكلام** ، (تحقيق محمد رضوان الداية) ، دار الثقافة ، بيروت ، (١٩٦٦) .

- أبو عبدالله المراكشي ، (١٣٠٣م) . **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ،(تحقيق إحسان عباس) ، دار الثقافة ، بيروت ، السفر الخامس القسم الثاني ، وتحقيق (محمد بن شريفة) السفر الأول ، القسم الأول .

- عدنان ، قصي (١٩٩٩) . **فن المقامات بالأندلس نشأته وتطوره وسماته** . (ط١) . عمان : دار الفكر .

- ابن العديم ، (ت٦٦٠هـ) . **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، (تحقيق سهيل زكار) ، دمشق (١٩٨٨) .

- ابن عذارى ، محمد المراكشي ، (ت٦٩٥هـ) . **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمعرب** ط٣ ، (تحقيق ج . س كولان و إ. ليفي بروفنسال) ، دار الثقافة ، بيروت ، (١٩٨٣).

- العكش ، إبراهيم علي، (١٩٨٦) . **التربية والتعليم في الأندلس .(ط١)** .عمان : دار عمار ، دار الفيحاء

- علقم ، حسن عبد الرحيم ، (١٩٨٦) . **الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن

- العلي ، عدنان عبيد . **المعرّي في فكره وسخريته** ، عمان: دار أسامة .

- عليان ، مصطفى ، (١٩٨٦) . **تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري** ، (ط٢) . بيروت : مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- العماد الأصفهاني ، عبدالله بن محمد ، (ت٥٩٧هـ) . **خريدة القصر وجريدة العصر** ، (تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم) ، دار نهضة مصر ، الفجالة .

- عناني ، محمد زكريا ، (١٩٩٥) . **في الأدب الاندلسي** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

- عياض ، القاضي ، (ت٥٤٤هـ) . **الغُنبة (فهرست شيوخ القاضي عياض)** ، ط١ ، (تحقيق ماهر جرّار) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، (١٩٨٢) .

- الغبريني (ت٧١٤هـ) .**عنوان الدّراية** ، ط١ ، (تحقيق عادل نويهض) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، (١٩٩٩) .

- غومت ، إميليو غرسيّة ، (١٩٧٤) . **مع شعراء الأندلس والمتنبي** . (ط١) . عابدين : مكتبة وَهبَة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ابن الفرضي، عبدالله بن محمد ،(ت٤٠٣هـ / ١٠١٣م). **تاريخ علماء الأندلس** ، ط٢ ، (تحقيق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (١٩٨٩) .

- ابن فركون ، أبو الحسن أحمد بن سليمان ، (١٩٨٧) . **الديوان** ، ط١ ، تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط .

- فضل ، صلاح ، (١٩٨٥) . **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية** . (ط١) . مؤسسة شباب الجامعة .

- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، (ت٦٤٦هـ). إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (١٩٥٠).

- كراتشوكوفسكي (١٩٧٥) . **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

- لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية بإشراف طه حسين ، (١٩٤٢) . **تعريف القدماء بأبي العلاء** ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .

- المتنبي ، أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ) . **شرح ديوان المتنبي** ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (١٩٨٨).

- محمود ، نافع (١٩٩٠) . **اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري.** (ط١) بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة .

- المراكشي ، محي الدين عبد الواحد بن علي ، (ت٦٤٧هـ) . المعجب في تلخيص أخبار العرب ،(تحقيق محمد زينهم محمد عزت) ، دار الفرجاني ، القاهرة ، (١٩٩٤) .

- المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ، (ت٣٨٤هـ) . **معجم الشعراء** ، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، دار إحياء الكتب العربية ، (١٩٦٠)

- المعرّي ، أحمد بن عبدالله بن سليمان (٤٤٩هـ) .

- **اللزوميات (ديوان لزوم ما لا يلزم)** ، (تحقيق عمر الطبّاع) ، دار الأرقم ، بيروت ، (٢٠٠٠) .

- **الصّاهل والشّاحج** ، ط٢ ، (تحقيق عائشة عبد الرحمن) ، دار المعارف ، القاهرة ، (١٩٨٤) .

- **الفصول والغايات** ، ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتي ، دار المعارف ، تونس .

- **ملقى السبيل (منشورة في كتاب رسائل البلغاء)** ، اختيار محمد كرد علـــي ، ط٣ (١٩٤٦) .

- المقّري ، أحمد بن محمد (١٠٤١هـــ) .

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، طبعة جديدة ، (تحقيق إحسان عباس) دار صادر ، بيروت ، (١٩٩٧) .

- **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، (تحقيق مصطفى السقا وآخـــرون) ، مطبعـــة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، (١٩٤٠) . .

- منشاوي ، محروس (١٩٨٦). **أبو نواس الأندلسي** . (ط١) القاهرة : دار الفكر العربي .

- ميدان ، أيمن ،(٢٠٠٣) . تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الاندلسي . **مجلة الأفق** ، القاهرة – السنة الرابعة ، العدد ٣٦

- نوفل ، محمد محمود ، (١٩٨٣) . **تاريخ المعارضـــات فـــي الـــشعر العربـــي** . (ط١) بيروت: مؤسسة الرسالة .

- الهرامة ، عبد الحميد عبدالله ، (١٩٨٣). **الأعمى التطيلي حياته وأدبه** . (ط١) . طرابلس : المؤسسة العامة للنشر والتوزيع .

- الوادي آشي ، محمد بن جابر القيسي ، (ت٧٤٩هـــــ) . **برنـــامج الـــوادي آش** ، ط٣ ، (تحقيق محمد محفوظ) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، (١٩٨٢).

- اليظي ، صالح ، (١٩٨١) . **الفكر والفن في شعر أبـــي العـــلاء المعـــرّي** ، جامعـــة الإسكندرية

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

The Influence of abu alaa al-Maari on

The Andalusian literature….

by

Hanaa Mustafa abu al-Rub

Supervisor

Prof . Salah Jarar

Abstract

Abu alaa al- Maari is a reputed figure in the Arabic literature and the Andalusians have been aware of his literature, thoughts, types and organisms..The influence of al-Maari on the Andalusian literature appears mostly on his immitating his works.

This thesis consists of four chapters, the first chapter proves the theory of influencing on the Andalusian literature by the Arabic East literature .

The resemblences appears firstly on the names, nicknames, and the methods of writing and Secondly the cultural movement spread in Andalus .

Besides , the study discusses the role of travels on providing the Andalusian with popular Arabic books of the East, especially al- Maari literature .

The second chapter studies the critical Andalusian thoughts over the contents of al-Maari literature .. like Ibn Bassam ,Al- Kula'ai and the Batlyawsi..

The conclusion shows the analogism on the Contexts which prove the admire of Andalusian on al-Maari literature ; on cultural types ,

epislemological Contents and formal frames by heuristic reading of texts which appear the similarity between them .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية